

عَقَائِدُ الْأَوَّلِيَّةِ

مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الجزء الأول

تأليف
السيد مرتضى العسكري

المجمع العالمي للأئمة الهدى

عَقَائِدُ الْإِسْلَامِ

مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



عَقَائِدُ الْإِسْلَامِ

مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

تَأَلَّفَ

السَّيِّدُ مُرْصَى الْمَسْكُونِ

الْمَجْتَمَعُ الْعَالَمِيُّ لِأَهْلِ النَّبِيِّ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المجمع العالمي للأئمة الأطهار



العنوان: بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسين

ت: ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٧ - ٠٠٩٦١٣٨٢٣٦٢٠

المستودع: حارة حريك - خلف كنيسة مار يوسف - بناية دار الزهراء

الأهمل إلى

إلى أول مسلمة آمنت بالله ورسوله (ص) وبذلت في سبيل الإسلام النفس
والنفس حتى فارقت الحياة.

إلى أولى أمهات المؤمنين الطاهرات (ع).

إلى أم عترة الرسول (ص) وذريته الباقية.

إلى أم فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين (ع).

إلى جدّتي خديجة عليها السّلام أهدي ثواب هذا الكتاب. سائلاً المولى
جلّ وعلا أن ينفع به المسلمين إنّه سميعٌ مجيبٌ.

مرتضى العسكري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة ١ - ٤).

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء ٩).

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم ٣٠).

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ* فَإِن حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِن أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ* قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران ١٩ - ٢٠ و ٨٣ - ٨٥).

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة ٣).

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، والسلام على أصحابه المنتجبين.

وبعد: فقد أستعنت الله وقمت بتأليف هذا الكتاب رجاء أن يحقق لي الأهداف الآتية:

أ - لما رأيت المدارس الفكرية البشرية خالفت القرآن الكريم مدى العصور فيما تقولته عن بدء الخلق، وأن أصحاب الأنظمة الاجتماعية بنت عليها ما شرعت من قوانين للمجتمع البشري التي تناقض الأحكام القرآنية وأستندت إليها كذلك جيلاً بعد جيل، وأن ذلك أدّى ببعض علماء المسلمين إلى أن يقوموا بشتى المحاولات للتوفيق بين نظريات المخلوقين عن بدء الخلق وما أعلن الخالق عنه في القرآن الكريم وأستند إليه الوحي في ما أنزل من تشريع، وأدّت تلك المحاولات إلى أنعدام الرؤية الصحيحة لما بيّنه القرآن الكريم عن بدء الخلق وصلة الخلق بالله الخالق الرَّبّ.

لما رأيت كلّ ذلك قمتُ في بحوث هذا الكتاب بمحاولة متواضعة في أستنباط بعض ما قاله القرآن الكريم عن الله الخالق الرَّبّ وأسمائه الحسنی،

وبعض ما قاله عن الخلق وعن صلته بخالقه منذ بداية خلقه إلى يوم المعاد، دون أيّ انحراف عنها إلى شيءٍ مما قاله أصحاب النظريات من الخلق. فإن كنتُ قد نجحتُ في هذه المحاولة المتواضعة فله الحمدُ على ما وفق، وله الشكر على ما أنعم، وإن كنت قد زلت في بعض عملي فإنه من قصوري وأسأله تعالى أن يتجاوز عني بفضلِهِ وكرمه.

ب - بعد مناقشتي في المجلد الثاني من مجلّدات (القرآن الكريم وروايات المدرستين) روايات مدرسة الخلفاء التي أسندت إلى رسول الله (ص) أنه أجاز تبديل أسماء الله في القرآن الكريم، بعضها ببعض، وجدت أن إيفاء البحث حقّه بحاجة إلى دراسة مقارنة بين موارد استعمال أسمين من أسماء الله، في القرآن الكريم بتفصيل.

وكان في دراستي أسمى: (الإله) و(الرّب) في هذا الكتاب مثلاً يوضح مبلغُ بعد هذا القول عن الحقّ والصواب، وعدم صحة نسبة تلك الروايات إلى رسول الله (ص) وأصحابه.

وأيضاً، كنّا بحاجة - لدراسة روايات النسخ بمدرسة الخلفاء في ذلك الكتاب - إلى دراسة النسخ في مسيرة الرسل كما جاء في هذا الكتاب.

ج - بعد أن أنتهينا في المجمع العلمي الاسلامي من تنظيم ما أردنا تنظيمه من الكتب الدراسية للحوزات العلمية، ولم أجد كتاباً يفي بحاجة أهل العصر في دراسة العقائد الإسلامية، أستعنتُ الله وقمتُ بتقديم بحوث هذا الكتاب رجاء أن تسدّ هذا الفراغ بإذنه تعالى.

د - لما رأيت - بعد قيام الجمهورية الإسلامية - تطلّعاً من الناس في كلّ

مكان إلى معرفة الإسلام في بلادهم، وما شاهدت من هجرة جماهير المسلمين إلى بلاد الغرب وأنقطاع صلنهم بمنابع الإسلام في بلدانهم، رأيتُ من الواجب علينا أن نقدّم سلسلة من الكتب لتعليمهم الإسلام في مستويات فكرية مختلفة. فاستعنتُ الله وقمتُ بوضع مخطّط لذلك، من ضمنه سلسلة (قيام الأئمة بإحياء السنّة)، وطبع الجزء الأوّل منه تحت عنوان: مصطلحات اسلامية، وجعلته مقدّمة لهذا الكتاب.

وفي هذا الكتاب عندما تقدّمت إلى رحاب القرآن الكريم للقيام بدراسة عقائد الإسلام، وجدتُ القرآن العظيم قد عرض عقائد الإسلام بسلاسة يفهمها كل لبيب عربيّ اللسان بلغ سنّ الرُّشد، وأصبح مخاطباً فيه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.

غير أنّ العلماء أعتمدوا في تفسير القرآن فلسفة الفلاسفة، وعرفان المتصوّفة، وكلام المتكلّمين، وروايات إسرائيلية، وأخرى رويت عن رسول الله (ص) دون أن يقوموا بتمحيصها، وأوّلوا ما ورد في القرآن الكريم بها، وبذلك جعلوا من عقائد الإسلام طلاسماً وألغازاً وأحاجي لا يفهمها غير من مارس حلّها بطرق رسمها العلماء في علوم البلاغة والمنطق والكلام والفلسفة وأمثالها، وأدّى عملهم ذلك إلى تفرقة المسلمين إلى معتزلة وأشاعرة ومرجئة و... و... والخ.

هـ - كذلك وجدت عقائد الإسلام في القرآن الكريم سلسلة متّصلة الحلقات يهدي بعضها إلى بعض، وهي في مجموعها وحدة منسجمة الأجزاء يكمل بعضها بعضاً.

وعندما عرضها العلماء في تأليفهم فصلوا بعضها عن بعض، فأختفت بذلك حكمة عقائد الإسلام عن دارسيها.

وللأسباب التي ذكرتها سرت في بحوث الكتاب وفق المنهج الآتي:

منهاج البحث

استقيت - في بحوث هذا الكتاب - عقائد الإسلام من معين القرآن الكريم. وبما أن الله تعالى أنزل كتابه المجيد بلغة العرب، وقال سبحانه وتعالى:
أ - في سورة يوسف:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الآية ٢).

ب - في سورة الشعراء:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الآيات ١٩٣ - ١٩٥).

ولُبَّعدنا عن لغة العرب في عصر نزول القرآن الكريم، رجعت أحياناً في تفسير الآيات إلى معاجم اللغة.

ورجعت لمعرفة تفسير الآيات إلى روايات السيرة والحديث التي قمت بتمحيصها في مؤلفاتي الأخرى، ودرست القليل منها عند قيامي بهذه البحوث.

ومن ثم أعتمدت في بحوث الكتاب ثلاثة أنواع من تفسير القرآن الكريم:

١ - التفسير بالمأثور: (أي المروي) مثل ما فعله السيوطي (ت ٩١١هـ) في الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور، والبحراني (ت ١١٧٠هـ أو ١١٠٩هـ) في تفسيره البرهان، غير أنني اعتمدت ما ثبتت عندي صحته، والسيوطي ذكر كل ما وجد من رواية وفيها ما يناقض بعضها بعضاً، وقد ناقشت بعضاً مما رواه.

ورجعت في الأحاديث التي اعتمدتها إلى ما لدى عامة المسلمين من كتب الحديث، من صحاح ومسانيد وسنن وغيرها، ولم اقتصر على ما لدى مذهب إسلامي دون آخر، وأحياناً قمت بدراسة مقارنة بين حديث وآخر ورأي اعتمد حديثاً وآخر مع إسناد الرأي إلى صاحبه، ودعمت رأيي بما لدينا من دليل عليه.

وفي دراية الحديث أتمدت نهج مشايخ الحديث إلى القرن السادس الهجري كما بيّنته في بحث: (أئمة أهل البيت وضعوا مقاييس لمعرفة الحديث) في المجلد الثالث من معالم المدرستين.

٢ - التفسير اللغوي: كما فعله السيوطي في أعتاده على ما رواه عن ابن عباس وغيره.

ولما كان علماء اللغة - أحياناً - يطيلون البحث بإيراد المعنى الحقيقي للكلمة مع المعاني المجازية لها، تجنبت ذلك وأوردت مما ذكروا في معنى الكلمة ما يناسب سياق الآية، وتركت إيراد غيره مما ذكره.

٣ - التفسير الموضوعي: مثل ما فعله الفقهاء في تفسيرهم: (آيات الأحكام).

والأنواع الثلاثة من التفسير هي الصحيحة والمروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولما كان في آيات القرآن الكريم أكثر من مقصد واحد غالباً، فإني أذكر من ألفاظ الآيات ما يخص مقصد البحث، وأحذف ما عداه ليسهل على الدارسين استيعاب البحث، ومن ثم قد يتكرر ذكر آية أو آيات في بحث بعد بحث حسب تناسب معانيها مع موضوعات البحوث. وكذلك قد يتكرر ذكر معنى اللفظ القرآني بعد الموضع الثاني عن الموضع الأول بما يسبب نسيان المعنى أو لتغيير معنى اللفظ في الموضع الثاني عن معناه في الموضع الأول وفي ذكر الروايات رجعت أحياناً بالإضافة إلى الروايات التي تفسر الآيات إلى روايات فيها شرح وتوضيح لبعض أطراف البحث لمسييس الحاجة في استيعاب جميع جوانب البحث إليها. واستشهدت في بعض البحوث بما جاء في التوراة والإنجيل مصداقاً لما ذكرناه وخاصة في:

أ - أخبار الأنبياء؛ لأنّ في العهدين أقدم نصّ تاريخي عن سيرة الأنبياء قبل النبي الخاتم (ص)، وقد استشهد الله جلّ ذكره في القرآن الكريم بما جاء في التوراة في خبر تحريم إسرائيل على نفسه ما حرّم، بقوله تعالى في سورة آل عمران ٩٣ : ﴿كُلِّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ونترك من أخبارهما ما نسب فيه إلى الله جلّ ذكره ما هو منزّه عنه وإلى رسله وأنبيائه ما هم منزّهون عنه، وكذلك نترك ما يخالف العقل والعلم.

ب - ما جاء فيهما من بشارات ببعثة النبي الخاتم (ص) كما استشهد القرآن الكريم ببشارة عيسى (ع) ببعثته في قوله تعالى في سورة الصف ٦ : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾.

وتجنّبت في التعبير - ما أمكنني - ذكر الإصطلاحات العلمية في البحوث، وبدّلتها بما يفهمه القارئ العربيّ اللّسان غير المتخصّص بتلك العلوم. وأقتصر على ذكر الأقوال في موضوع البحث بالقول الذي نختاره مع بيان دليله. وأحياناً أختار رأياً مجانباً لآراء من سبقني من العلماء وأقدّم الدليل على ما اخترته بإذنه تعالى.

ثمّ إنني سلسلت عقائد الإسلام في هذا الكتاب - كما وجدتها في القرآن الكريم - مجموعة متناسقة يكمل بعضها بعضاً، ويهدي البحث المتقدّم إلى موضوع البحث المتأخّر، وبذلك تدرك عقائد الإسلام وحكمتها، ولذلك لا يتيسّر أستيعاب البحث المتأخّر في هذا الكتاب قبل أستيعاب ما جاء في البحوث المتقدّمة عليه، كما يرى ذلك في مخطط البحوث الآتي:

مخطّط البحوث

- ١ - الميثاق: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ».
- ٢ - بحوث الألوهيّة:
 - أ - هل خلق الخلق مصادفة ؟
 - ب - معنى الإله.
 - ج - معنى «لا إله إلاّ الله».
 - د - أَلِلّٰه بنات وبنون.
- ٣ - أصناف خلق الله في القرآن الكريم:
 - أ - الملائكة.
 - ب - السموات، والأرض وسماؤها.
 - ج - الدواب.
 - د - الجنّ والشیاطین.
 - هـ - الإنسان.
 - و - شرح الآيات وتفسيرها من الروايات.
- ٤ - بحوث الربوبية:
 - أ - الربّ.
 - ب - وما ربّ العالمين؟
 - ج - أنواع هداية ربّ العالمين لأصناف الخلق:

أولاً - التعليم المباشر لصنف الملائكة.

ثانياً - التسخير للمُسَخَّرَات.

ثالثاً - الإلهام الغريزي للحيوان.

رابعاً - التعليم بالوحي بواسطة الرسل للإنس والجن.

٥ - الدين والإسلام.

٦ - مُبَلِّغُونَ عَنْ اللَّهِ وَمُعَلِّمُونَ لِلنَّاسِ.

آدم إلى آباء النبي من ذرية اسماعيل.

٧ - صفات المبلِّغين عن الله.

٨ - معارك الرسل مع أممهم حول ربوبية ربِّ العالمين وتشريع الإسلام

لهم.

٩ - النسخ في مسيرة الرسل أصحاب الشرائع بعد آدم (نوح وإبراهيم

وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين):

أ - وحدة شرايع آدم ونوح وإبراهيم.

ب - مصطلحا النسخ والآية ومعناهما.

ج - تفسير آية ﴿ماننسخ من آية...﴾ ، وآية ﴿وإذا بدلنا آية مكان

آية﴾.

د - اختصاص شريعة موسى ببني اسرائيل.

هـ - إنتهاء أمد شريعة موسى (ع) ببعثة خاتم الأنبياء.

و - معنى النسخ في شريعة نبي واحد.

١٠ - ربِّ العالمين يجزي الإنسان بآثار عمله:

أ و ب - في الدنيا والآخرة.

ج - عند الممات.

د - في القبر.

هـ - في المحشر.

و - في الجنة والنار.

ز - جزاء الصبر.

ح - توارث جزاء العمل.

١١ - الشفاعة جزاء لبعض الأعمال.

١٢ - حبط الأعمال جزاء لبعض الأعمال.

١٣ - مشاركة الجن والانس في أمر جزاء الأعمال.

١٤ - من صفات الربّ، أسماؤه:

أ - ذُو الْعَرْشِ وَرَبُّ الْعَرْشِ.

ب - الرَّحْمَنُ.

ج - الرَّحِيمُ.

د - معنى الاسم.

١٥ - والله الأسماء الحسنی:

أ - الله.

ب - معنى الكرسي.

ج - معنى العبد والعبادة.

(مايتبع بحث الأسماء والصفات).

١٦ - مشيئة الله ربّ العالمين.

أ - معنى المشيئة.

ب - في الرزق.

ج - في الهداية.

د - في الرحمة والعذاب.

١٧ - البداء أو يمحو الله مايشاء ويثبت:

أ - معنى البداء.

ب - البداء في مصطلحات علماء العقائد الإسلامية.

ج - البداء في القرآن.

د - في روايات مدرسة الخلفاء.

هـ - في روايات مدرسة أهل البيت (ع).

١٨ - الجبر والتفويض:

معنى الجبر والتفويض والإختيار.

١٩ - القضاء والقدر.

أ - معاني القضاء والقدر.

ب - روايات أئمة أهل البيت (ع) في القضاء والقدر.

ج - أسئلة وأجوبة.

٢٠ - خلاصة وخاتمة. أسلوب القرآن في طرح عقائد الاسلام.

أسأله تعالى أن يجعل الكتاب معيناً لمن أراد أن يأخذ عقائد الإسلام من القرآن الكريم بيسر وسهولة، ووسيلة لمن شاء من المسلمين أن يتركوا التفرقة ويوحّدوا كلمتهم حول راية القرآن. وصدق الله العظيم حيث يقول في سورة النساء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ (الآيتان ١٧٤ - ١٧٥).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

- ١ -

الميثاق

ميثاق الإله الرَّبِّ مع بني آدم

أ - آية: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

ب - حركتا المعدة والدماغ في طلب الطعام والمعرفة.

ج - تفسير الآية.

د - المحيط والوالدان لا يجبران الإنسان على أمر.

(١) و (٢)

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وحركة الدماغ

أخذ الله سبحانه الميثاق من ذرية بني آدم كما أخبر عن ذلك وقال في سورة الأعراف:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى، شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾
(الآيتان ١٧٢ - ١٧٣).

نحتاج في تفسير هاتين الآيتين إلى المقدمة الآتية:
عندما ينفصل الطفل عن بطن أمه وينقطع منه الحبل الذي كان متصلاً بسرته لنقل الغذاء من جسم أمه إليه، تدفعه غريزة الجوع إلى التحرك لطلب الغذاء، فيتشنج جسمه كما يظهر ذلك على سحنات وجهه، فيبكي ويصرخ ولا يهدأ حتى يلتقم الثدي ويدر اللبن في فمه ويجري منه إلى معدته، وتستمر هذه الغريزة في دفع الإنسان للتحرك والعمل الدائب في طلب الطعام طوال حياته. ويشارك الحيوان الإنسان في هذه الغريزة والتي نسميها بحركة المعدة في طلب الطعام، وهي الغريزة الأولى التي تدفع الإنسان إلى التحرك والعمل في الحياة، وبعد ذلك بسنوات تتدرج الغريزة الثانية بالنمو فيه وذلك بعدما ينمو الطفل ويصبح صبيّاً وتتدرج خلاياه الدماغية في التحرك لطلب طعام المعرفة، عندئذ يلفت نظره وجود كل موجود وحدث كل حادث يراه ويوجه السؤال إلى والديه

عن سبب وجود الحادث. فإذا رأى الشمس - مثلاً - تغرب في الأفق يسأل أبويه ويقول:

أين تذهب الشمس في الليل؟

وإذا رأى عيناً نابغة في أسفل الجبل يجري منها الماء، يسألها:

من أين يأتي هذا الماء؟

وإذا رأى الغيوم تسير في السماء يسألها:

أين تذهب هذه الغيوم؟

وهكذا يطرد أنتباهه للموجودات وحركاتها وإيراده السؤال عن أسبابها من والديه أو أي إنسان آخر أكبر سنّاً منه يصحبه، وهذه هي الغريزة الثانية التي تدفع الإنسان إلى التحرك لإشباع نهم هذه الغريزة، وهذه الغريزة في حقيقتها هي حركة العقل البشري في سبيل كسب المعرفة عن طريق البحث لمعرفة أسباب الحوادث، ويطرد عمل هذه الغريزة طوال عمر الإنسان في البحث عن سبب وجود كلّ موجود، وسبب حركة كلّ موجود وسبب سكونه. وهذا هو السبيل الوحيد لكسب المعرفة الإنسانية واكتساب جميع العلوم البشرية. وينتهي بحث الإنسان عن سبب وجود الموجود إلى معرفة موجد الموجودات أي وجود الإله الخالق، وفي بحثه عن سبب حركة الموجودات وسكونها إلى معرفة موجد النظام لحياة كلّ موجود، مثل سير القمر حول الأرض، والأرض حول الشمس، أو حركة الذرة في داخلها وحركة الكريات البيض والحمراء في الدم، وإلى ما لا يعدّ ويحصى من أنظمة الحركة والسكون للموجودات، يهتدي الإنسان في هذا النوع من البحث إلى أنّ للموجودات في عالمنا الأرضي والسماوي وما بينهما ربّاً نظّم حياة كلّ فرد من الموجودات، وهذا معنى قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ...﴾ الآية.

(٣)

تفسير الآية

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، أي عندما أخذ الله من كل فرد من بني آدم ذريته ونسلت الذرية من ظهر أبيه ﴿أَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾؛ استشهد كل فرد منهم على نفسه وسأله بها وهبه من فطرة البحث عن أسباب وجود كل موجود وأسباب حركة كل موجود وما أدركه بعقله أن لكل مخلوق خالقاً ولكل منظم منظمًا، وهي الغريزة الفطرية التي بها يمتاز الإنسان عن كل ما عداه من مخلوق، وبها يستنتج ويتعلم ما لا يتعلمه غيره من المخلوق كما يأتي بيانه في تفسير ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ إن شاء الله تعالى.

(٤)

المحيط والوالدان لا يجبران الإنسان على أمر

بالغريزة التي جبلهم الله عليها ﴿أَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ وأجابوا بلسان الفطرة - أيضا -: (بلى شهدنا)، وهذا هو معنى الحديث المروي عن رسول الله (ص):

«كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ يَهُودَانِيَّةً وَيُنَصْرَانِيَّةً»^(١).

(١) مادة (الفطرة) من سفينة البحار.

وفي رواية أخرى بعدها: «وَيَمَجِّسَانِهِ»^(٢).

أي أن كل إنسان يولد على فطرة معرفة الربوبية كما يأتي شرحها إن شاء الله تعالى، وأن والديه يحرفانه عن فطرته السليمة، ويدخلانه في دين اليهود أو النصارى أو المجوس المنحرفين عن دين الفطرة والمحرفين لدين الله جل اسمه، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وإنما أشهدهم على الإيمان بالرَّبِّ دون الإشهاد على الإيمان بالإله لأنَّ الإيمان بالرَّبِّ المشرِّع لنظام الحياة للخلق يستلزم الإيمان بوجود الإله الخالق لهم دون العكس، كما يأتي بيانه ضمن تفسير: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ إن شاء الله تعالى.

أشهدهم الله تعالى بذلك على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ولم تنتبه لربوبيتك، ولم تُقم لنا حجة عليها، ولم تكمل عقولنا لندرك بها الربوبية.

أو يقول قائل منهم: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾. أي: إنما نشأ آباؤنا قبلنا على الشرك بالالوهية والكفر بالربوبية، وكُنَّا ذُرِّيَّةً

(٢) اللفظ لمسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة الأحاديث:

٢٢ - ٢٥، ص: ٢٠٤٧ - ٢٠٤٩.

وصحيح البخاري كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ١ / ١٦١ - ١٦٢، وباب ما قيل في أولاد المشركين، ١ / ١٦٧، وكتاب التفسير، تفسير سورة الروم، ٣ / ١١٦، وكتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ٤ / ٩٦.

وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب في ذراري المشركين، ٤ / ٣١٦ - ٣١٧، الحديث: ٤٧١٤.

وسنن الترمذي كتاب القدر، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة، ٨ / ٣٠٣.

وموطأ مالك، كتاب الجنائز باب جامع الجنائز ١ / ٢٤١، ح: ٥٢.

ومسند أحمد ٢ / ٢٣٣ و ٢٥٣ و ٢٧٥ و ٢٨٢ و ٣١٥ و ٣٤٦ و ٣٩٣ و ٤١٠ و ٤٨١ و ٤٣٥ / ٣

و ٢٤ / ٤.

جئنا إلى الدنيا من بعدهم لانعرف شيئا من الحياة، وهم الذين وجهونا إلى الكفر بالالوهية والشرك بالربوبية، فنشأنا على ماربونا ووجهونا، فالذنب ذنبهم وتقع التبعة عليهم: ﴿أَفْتَهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمَبْطُلُونَ﴾؛ أفتعذبنا بما ربانا عليه الآباء والأمهات، وذلك ما يعبر عنه في عرفنا اليوم بأثر المحيط على الطفل خاصة وعلى الإنسان بصورة عامة، وقال الله سبحانه: ليس لكم أن تقولوا ذلك لأننا فطرناكم على غريزة البحث عن الأسباب. وبذلك اكتشف الخلف بعد السلف ما لم يعرفه الأسلاف، وكانوا ينكرون بعضها ويكفرون ببعض مثل؛ قوة البخار، وطاقة الكهرباء، وسير النور، ودوران الكواكب بعضها حول بعض وإلى مايتعسر إحصاؤها من أمثالها مما تمكن الخلف من إثبات بطلان أقوال السلف وعقائدهم حولها.

وهكذا قال الله تعالى لنا: بما فطرناكم عليه من غريزة البحث عن الأسباب ومنحناكم العقل الذي تميزون به الصحيح من الخطأ والحق من الباطل، أتمننا الحجّة عليكم، وليس لكم أن تقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنا أشرك أبائنا واتبعناهم وأثر فينا محيطنا. وقد ضرب الله تعالى مثلاً في القرآن الكريم على تمكن الإنسان من مخالفة المحيط الذي نشأ فيه كما جاء في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنَاتَيْنِ ﴿ (الآيات ١٠ - ١٢).

كانت آسية في أسرة كافرة ومحيط كافر وزوجة لمن يدّعي الألوهية والربوبية. إذاً فإن آسية كانت ربة وآلهة على حدّ زعم قومها، ومع ذلك فإنها

خالفت قومها وأسرتها وزوجها وآمنت برّب العالمين، وتبرأت من فرعون وعمله وقالت: ﴿نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي قومها، وقاومتهم حتى استشهدت في سبيل الإيمان برّب العالمين.

وكذلك كانت كلّ من امرأة نوح وامرأة لوط في بيت نبيّ يدعو الخلق إلى ربّ العالمين، فكفرتا برّب العالمين وبزوجيهما. وكان أكثر خلافاً منهنّ للمحيط ابن نوح الذي أخبر الله تعالى عنه في سورة هود (ع) أنّه عصى أباه نوحاً (ع) لما ركب السفينة فقال:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرِقِينَ﴾ (الآيتان ٤٢ - ٤٣).

إنّ كلّاً من زوجة نوح ولوط خالفت زوجها، وإنّ ابن نوح (ع) خالف أباه وأمتنع من ركوب السفينة وهو يرى آثار عذاب الله: (الأمواج التي ظهرت كأنها الجبال) متابعة منها ومنه لهوى النفس.

وإنّ امرأة فرعون خالفت قومها وأسرتها وزوجها مخالفة منها لهوى النفس وأتباعاً لأمر ربّها، وإنّ مريم (ع) ابنة عمران صدّقت بكلمات ربّها وكتبه وهي في أسرة مؤمنة. إذاً إنّ الأسرة والمحيط لا يقسران الإنسان على الكفر أو الإيمان، وإنّا توجد في الإنسان الرغبة في متابعة المحيط كما أخبر الله في سبعة مواضع من كتابه الكريم، أنّ الأمم قالت لأنبيائها إنّها تتّبع آباءها في عبادة الأصنام والملائكة، مثل ما جاء في خبر إبراهيم (ع) مع قومه:

أ - في سورة الأنبياء:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (الآيات ٥١

ب - في سورة الشعراء:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ
أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ
يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (الآيات ٦٩ - ٧٤).

وجاء في خبر موسى (ع) مع قومه في سورة يونس:

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ *
قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (الآيتان ٧٧ - ٧٨).

ومثل ماجاء في خبر خاتم الأنبياء مع قومه في:

أ - سورة المائدة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (الآية ١٠٤).

ب - سورة لقمان:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ
يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (الآيات ٢٠ - ٢١).

ج - سورة الزخرف:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الآيات ١٩ - ٢٢).

د - وجاء في خبر الأمم السابقة في قوله تعالى في السورة نفسها:

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ قَالَ أُولُو جُنَّتُكُمْ بَأْهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ
 آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُكْذِبِينَ﴾ (الآيات ٢٣ - ٢٥).

شرح الكلمات^(٣)

- ١ - التمثال: ما صُنِعَ من فلز أو نُحِتَ من حجر أو خشب يحاكي به ما خلق الله، أو يُرمز به إلى شيء من ذلك.
- ٢ - عاكفون: ملازمون للمعبد ومقيمون فيه لعبادة الأصنام.
- ٣ - تلفتنا: تَصَرَّفْنَا.
- ٤ - سعير: السعير: لهيب النار أو النار الملتهبة، والمراد منه في الآية: نار جهنم.
- ٥ - يَخْرُصُونَ: يكذبون.
- ٦ - أُمَّة: الأُمَّة: كل جماعة يجمعهم أمر ما، ديناً واحداً كان أو زماناً واحداً أو مكاناً واحداً.
- ٧ - المترف: المتنعم؛ المتوسّع في ملاذ الدنيا وشهواتها والذي أبطرتة النعمة فبغى.

تفسير الآيات

في هذه الآيات أخبر الله سبحانه أن خليله إبراهيم (ع) سأل قومه قائلاً لهم: ماهذه التماثيل التي أنتم عاكفون على عبادتها؟ هل يسمعونكم حين

(٣) رجعنا لتفسير الألفاظ المذكورة في المتن إلى مفردات الراغب أولاً، ثم إلى معجم ألفاظ القرآن الكريم، ثم لسان العرب، ثم المعجم الوسيط.

تدعونهم؟ أو ينفعونكم أو يضرونكم؟ قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون!
وأخبر عن موسى أنه قال لقوم فرعون: أتقولون للآيات التي هي حق إنها
سحر؟ فقالوا: أجبنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا!

وأخبر عما جرى لخاتم الأنبياء مع مشركي قريش فقال تعالى:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ، قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.
وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ
مُنِيرٍ﴾ (الحج ٨).

وإن كفار قريش كانوا يعبدون الملائكة ويزعمون أنها إناث - بنات
الله -، فيسأل سبحانه وتعالى على سبيل الاستفهام الاستنكاري ويقول: أشهدوا
خلق الملائكة ورأوا أنهم خلقوا اناثاً؟ أم أنزل الله عليهم كتاباً مثل التوراة
والإنجيل ذكر فيه ذلك، فهم به مستمسكون؟ لا لم يقولوا ذلك بل، قالوا: إنا
وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون.

وأخبر الله سبحانه رسوله (ص) مسلياً له، وقال تعالى: وكذلك ما أرسلنا
قبلك في مدينة ممن بعثوا لإندار الناس إلا وقد قال المترفون في المدينة إنا وجدنا
آباءنا على دين وإنا نقتدي بهم، فقال لهم الذي بعثه الله لينذرهم: أولو جنتكم
بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا: إنا بما أرسلتم به كافرون.

إذاً فإن العصبية القومية الجاهلية هي التي توجد هوى في نفس الإنسان،
وتجعلها تخالف فطرته السليمة التي تهديه إلى معرفة الإله الخالق والربّ المربي
للخلق!

خلاصة البحث

إذا كانت نفس الإنسان طُلَّعة^(٤) تبحث عن المعرفة طوال حياته، كما تطلب معدته الشرهة الطعام طوال حياته، فإنه عندما يبحث عن سبب حركة كل متحرك ووجود كل موجود؛ يحكم عقله بأن لكل حركة سبباً محركاً، ولكل مخلوق منظم وجوده، ومُتَزِن بموازن محكمة الصنع؛ خالقاً، والخالق اسمه الإله. إذاً ليس لأحد من الناس أن يقول يوم القيامة:

﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

أو يقول:

﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ لأن مثلهم في ذلك مثل الناس في الحياة الدنيا، فإن الناس كانوا يعيشون قبل كشف الطاقة الكهربائية في ظلام دامس، وبسبب ما أوتوه من غريزة البحث توصل الأبناء إلى كشف الطاقة الكهربائية، وكذلك الشأن في كشف كل جيل من المكتشفات العلمية ما لم يبلغها أسلافه، ولهذا السبب ليس لأحد أن يقول: كان آباؤي في ظلام الشرك أو الإلحاد - إنكار الخالق - واتبعتهم اضطراباً، أضف إلى ذلك أن الله أتم الحجة على الناس بارسال الرسل لتذكير الغافلين، كما قال سبحانه لخاتم أنبيائه (ص) في سورة الغاشية: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الآيات ٢١ - ٢٢).

وَسَمَّى الْقُرْآنَ بِالذِّكْرِ، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النُّحْلِ: ﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الآية ٤٤).

وفي البحث القادم ندرس ما أجمالنا ذكره هنا بالتفصيل بحوله تعالى.

(٤) نفس طُلَّعة: كثيرة التطلع إلى ما تهواه، والمعنى هنا: كثيرة التطلع إلى كسب المعرفة.

-٢-

بحوث الإلهية

أ - هل خلق الخلق مصادفة؟

ب - معنى الإله

ج - معنى لا إله إلا الله

الإله هو الخالق، ولا خالق غير الله.

ولا يعبد غير الخالق.

أي: لا خالق ولا معبود غير الله الأحد.

إذاً: لا إله إلا الله.

د - أَلِلَّه بنات وبنون؟

أ - هل خلق الخلق مصادفة؟

في الناس من يقول ما خلاصته: إنَّ الخلق والنظام وجدا مصادفة دون أن يكون للخلق خالق وللنظام منظم، أي أنهم قالوا:
إنَّ ما لا يعد ولا يحصى من الخلق خُلِقَ (بطريق المصادفة) أي إنَّ الذرات تلاقت وتجمعت على نسبٍ وأوضاع خاصة (عن طريق المصادفة) فكوّنت العناصر الأصلية: (الأوكسجين والهيدروجين و... و... الخ.) ثم تلاقت هذه العناصر وتجمعت وتمازجت (بالمصادفة) على نسب صالحة (بالمصادفة) وفي مدد كافية (بالمصادفة) وأجواء ملائمة (بالمصادفة)، فتكوّنت هذه الأنواع التي لاتعد ولا تحصى من الخلق، وخلقت الحياة من هذه المصادفات!!!

ونذكر المثال الآتي لإيضاح زيف هذا القول بحوله تعالى:

خذ عشر كريات صغار بحجم واحد، رَقِّمَهَا من ١ - ١٠ ثم ضعها في كيس وهزّها هزّاً شديداً، ثمَّ حاول أن تسحبها من الكيس حسب ترتيبها من ١ - ١٠.
إنَّ احتمال سحب الكرية رقم ١ هي بنسبة ١ إلى ١٠، واحتمال سحب رقم ١ ورقم ٢ متتابعين هي بنسبة ١ إلى ١٠٠، واحتمال سحب الكريات المرقمة: ١ و ٢ و ٣ متتالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠، واحتمال سحب الكريات المرقمة: ١ و ٢ و ٣ و ٤ متوالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠٠، وهكذا حتى يصبح احتمال سحب الكريات العشر بترتيبها الأول أي من ١ إلى ١٠ هي بنسبة ١ إلى عشرة

إذا كان هذا رأي العلم في تحقق إخراج عشرة أعداد متوالية من كيس واحد مصادفة، فما رأي العلم في إيجاد هذه النظم التي نعلمها اليوم لما لا يعد ولا يحصى من الخلق؟! وهل يصح لعاقِل أن يقول: خَلقت جميعها مصادفة، وأصبح لكل فرد منها جزيئة، ولكل جزيئة من أجزائها هذه النظم مصادفة؟! وصدق الله العظيم حيث يقول:

أ - في سورة الحجر:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (الآية ١٦).

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

مَوْزُونٍ﴾ (الآية ١٩).

ب - في سورة البقرة:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي

تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِهَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الآية ١٦٤).

إي وربي إن في خلق السماوات والأرض، والنظام المتقن في بروج السماء

وكواكبها، والميزان المحكم في كل مانبت من الأرض لآيات لقوم يعقلون.

ولكن هوى النفس يمنع الإنسان العاقل من التعقل!!!

(٣) العلم يدعو للايمان، ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٣ هـ، ص ٤٩، بتصرف.

تأليف: أ. كريسي موريسون A. CRESSY MORRISON ترجمة محمود صالح الفلكي.

رد به على مؤلف كتاب: الانسان يقوم وحده MAN STANDS ALONE وسماه: الانسان

لا يقوم وحده MAN DOES NOT STAND ALONE.

ب - معنى الإله

أولاً - في معاجم اللغة:

موجز ما في المعاجم حول الـ «إله»:

«إله» على وزن كتاب من مادة إِلَه يَأْلَهُ بمعنى عبد، يعبد، عبادة: أي أطاع إطاعة بتذلل وخضوع، ثم إن لفظ «إله» كـ «كتاب» مصدر واسم مفعول معاً، فكما أن الكتاب مكتوب، فإن الذي جاء بمعنى «مألوه» يأتي أيضاً بمعنى: معبود أو مُطاع.

إذاً إله في اللغة يعني:

١ - العبادة: بتذلل وخضوع.

٢ - الإطاعة المطلقة.

كان ذلكم معنى (إله) في اللغة.

ثانياً - في محاورات العرب:

جاء الإله في محاورات العرب بمعنىين:

١ - إِلَه: أي أجرى للمعبود العبادات الدينية مثل: الصلاة والدعاء وتقديم

القرابين. و(الإلهاء) على وزن كتاباً: بمعنى المألوه أي المعبود الذي يُعبد وتُجرى له الطقوس الدينية كما أن الكتاب يرد بمعنى المكتوب. والعرب تسمي كل

ما يُعبد: (إِلَهاً)، وجمعها: (الآلهة) خالقاً كان ذلك الإله أو مخلوقاً، مثل الأصنام والتماثيل والشمس والقمر والأبقار التي يعبدها الهنود.

٢ - يأتي الإله أحياناً بمعنى المطاع^(١) كما جاء في القرآن الكريم في قوله

تعالى:

١ - في سورة الفرقان:

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الآية ٤٣).

٢ - في سورة الجاثية:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ (الآية ٢٣).

والمعنى في الآيتين: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾: أي أطاع هوى نفسه،

ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة القصص:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (الآية ٥٠).

٣ - في سورة الشعراء في حكاية قول فرعون لموسى (ع):

﴿لَنْ اتَّخَذَ إِلَهاً غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الآية ٢٩).

ويدل على ذلك (أي على أن فرعون وقومه كانت لهم آلهة يعبدونها) كما

حكى عنهم سبحانه وتعالى في سورة الأعراف فقال:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ (الآية ١٢٧).

إن الآلهة التي ذكرت هنا كانت معبودات فرعون وقومه، يقربون لها

القرايين ويُجرون لها الطقوس الدينية. أمّا فرعون نفسه فقد كان إلهاً، أي مطاعاً.

ومن المحتمل أن فرعون - أيضاً - كان يدّعي لنفسه الألوهية بالمعنى

(١) راجع مادة (أَلَه) في مفردات الراغب. وكتاب «التحقيق في كلمات القرآن».

الأول، كما جاء عن بعض الأ أقوام أنهم كانوا يزعمون أن ملوكهم من سلالة الآلهة (شمساً كانت أو غيرها)، ويجرون لهم بعض الطقوس العبادية.



كان ذلكم معنى الإله لدى العرب وغيرهم من الأ أقوام البائدة والحاضرة.

ثالثاً - في المصطلح الإسلامي:

الإله في المصطلح الإسلامي من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المعبود، وخالق الخلق. وقد جاء في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي مع وجود قرينة تدل على أن المقصود معناه اللغوي، مثل قوله تعالى في سورة الحجر:

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (الآية ٩٦).

فإن لفظي: (آخر) و(مع الله) في الآية يدلان على أن المقصود من الإله: معناه اللغوي: المطاع والمعبود، وجاء مطلقاً في معناه الاصطلاحي في آيات كثيرة أخرى من القرآن الكريم، والتي تحصر الألوهية في الله سبحانه كما سنذكره مفصلاً في البحث الآتي.

واجمع القول في معنى الإله ما نقله ابن منظور في مادة (اله) من لسان العرب عن أبي الهيثم أنه قال:

قال الله عز وجل: ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وما كان معه من إله إذا لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بما خَلَقَ. قال: ولا يكون إلهاً حتى يكون مَعْبُوداً، وحتى يكون لعبده خالقاً ورازقاً ومُدَبِّراً، وعليه مقتدراً، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبِدَ ظُلْماً، بل هو مخلوق ومُتَعَبَّد.

ج - معنى لا إله إلا الله

إنَّ معنى الإله في القرآن الكريم يتَّضح بالتدبُّر في الآيات التي جاءت في دحض أقوال المشركين في الألوهية وحصرها في الله العلي القدير، وما حكاها من محاورات الأنبياء معهم حولها، كما نراها في الآيات الآتية من سورة المؤمنون. قال الله سبحانه:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا* ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون ١٣ - ١٤).

شرح الكلمات أ - سُلَالَةٌ:

سَلُّ الشَّيْءِ من الشَّيْءِ: انتزعه وأخرجه برفق، يقال: سَلُّ الشَّعْرَةَ من العَجِين. والسُّلَالَةُ: الصُّفْو الذي ينتزع برفق، وسمَّيت النطفة سلالة لأنها مستخلصة من الغذاء.

ب - نُطْفَةٌ:

النُّطْفَةُ: القليل من الماء. وسمِّي ماء الرجل والمرأة (أي منيهما): نطفة.

ج - قَرَارٌ:

قَرَّ الشَّيْءُ في مكانه قَرَارًا: إذا ثبت ثبوتاً جامداً مستقراً. وأريد به مقر

د - مَكِين:

مَكَنَ الشيء مكانه: استقر وثبت في موضعه لا يتزلزل فهو مكين.

والمعنى: جعلنا النطفة في مقرّها - الرحم -.

هـ - الْعَلَق: الدم الجامد الغليظ الذي يعلق بها مسّه، والقطعة منه علقه.

و - مُضْغَة:

مضغ اللحم: حرّكه في فمه وقطّعه بأسنانه ليبتلعه، ويقال لقطعة اللحم التي

هي قدر ما يمضغ: مُضْغَة، ومن ثمّ يقال للجنين في بطن الحامل حين يصير قطعة

لحم قدر ما يمضغ في الفم: مضغة بعد أن كان علقه.

ز - أَنْشَأ:

أَنْشَأَ الشيء: أوجده وأحدثه وربّاه.

وأنشأ الله الخلق: خلقهم وربّاهم.

تفسير الآيات

ولقد خلقنا الانسان من صفو منتزع من طين الأرض، ثم جعلناه نطفة في

مكان مستقر وهو الرحم، ثم صيّرنا النطفة دماً جامداً غليظاً يلزق بها مسّه، ثم

صيّرنا ذلك الدم الجامد لحماً كالمضوغ وبقدر ما يحويه الفم.

ثم صيّرنا المضغة عظماً.

فكسونا العظام لحماً، ثم صيّرناه خلقاً آخر له أعضاء وروح، فتبارك الله

أحسن الخالقين الذي خلق هذا المخلوق.

عود على بدء:

يأتي بعد الآيات: (١٢ و ١٣ و ١٤) من سورة (المؤمنون) ذكر بعض المخلوقات التي سخرت للإنسان، ثم الحديث عن أنواع مخلوقات الله، ثم يقول تعالى في السورة نفسها:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الآية ٢٣).

ثم يذكر إنشاء الأمم الأخرى التي خلقها الله عز وجل، ويفصل بيان كفرها حتى الآية الحادية والتسعين التي يقول فيها:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾ (الآية ٩١).

وهكذا نرى في هذه الآيات أن الصفة البارزة للألوهية هي (الخالقية)، ولهذا نجد أن الله عز وجل يسأل المشركين بعد قوله تعالى في سورة الأحقاف:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الآية ٣).

قائلاً: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ...﴾ (الآية ٤).

وكذلك الأمر في قوله تعالى:

أ - في سورة الرعد:

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ (الآية ١٦).

ب - في سورة الرعد أيضاً:

﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الآية ١٦).

ج - في سورة المؤمنون:

كما مر أعلاه.

د - في سورة النحل:

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الآية ١٧).

ويتكرر هذا المعنى في الآية (٢٠) من سورة النحل والآية (٣) من سورة الفرقان و(١٩١) من سورة الأعراف.

في كل هذه الآيات نجد التحدي ومحاجة المشركين في مسألة توحيد الالهية بأحدية الخالق، ففي الآية الأولى يسأل الله عز وجل الكفار ويقول: أروني ماتدعون من دون الله ماذا خلقوا لكم من الأرض.

وفي الآية الثانية يقول:

هل جعلتم لله شركاء لأنكم وجدتم لهم مخلوقات مثل مخلوقات الله وتشابه عليكم خلق الله بخلق غيره؟

ويتساءل في الآية الثالثة ويقول:

هل يستوي من يخلق مع من لا يخلق؟

وكذلك يقول عز وجل:

ما كان معه من إله.

وفي آية أخرى - أيضاً - يقول:

قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

هكذا نرى القرآن الكريم يحتج في مقام الاستدلال على المشركين الذين يعبدون آلهة أخرى ويشركونهم في العبادة مع الله الواحد الأحد، ويقول إن خلق الخلق خاص بالله، والآلهة الأخرى ليست لها أية قدرة على الخلق.

ومن ثم ندرك أن الصفة البارزة للإله هي الخالقية.

وفي الآيات التالية يظهر ذلك بشكل أوضح، حيث قال الله تعالى:

أ - في سورة الأنعام:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ (الآية ١٠٢).

ب - في سورة هود:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ﴾

(الآية ٦١).

ج - في سورة فاطر:

﴿هَلْ مِّن خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾

(الآية ٣).

د - في سورة الفرقان:

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ...﴾ (الآية ٣).

هـ - في سورة الحج:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الآيتان

٧٣ - ٧٤).

إنَّ الله تعالى يخاطب في هذا الموضع من القرآن الكريم كلَّ الناس الذين

يدعون آلهة من دون الله ويقول لهم:

استمعوا لهذا المثل: إنَّ الذين تدعون من دون الله (فراعنة كانوا أم أبقاراً

أم آلهة أخرى) لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً.

إنَّ أيَّ فرعون من الفراعنة وأية بقرة معبودة من الأبقار، وأيَّ إله آخر من

آلهة الناس، لَن يَخْلُقُوا أقدر حشرة يعرفها الناس (كلَّ الناس) ومنتشرة في

مجتمعات الناس كلها، ويتقدَّر منها الناس كلَّ الناس!

لَن يستطيع أي واحد من تلكم الآلهة أن يخلق وحده ذبابة قدرة، ولن

تستطيع كل الآلهة لو اجتمعت وتظاهرت على خلق ذبابة واحدة.
وان يسلب الذباب تلکم الآلهة: (أبقاراً كانت، أو فراغنة، أو آلهة أخرى)
شيئاً فلن تستطيع استنقاذه منه، فلو أمتصّ الذباب - مثلاً - من بقرة من آلهة
الهندوس دماً لما أستطاعت تلك البقرة من آلهة الهندوس أن تستنقذ حقّها: دمها
المسلوب.

کم هي عاجزة وضعيفة تلك البقرة من آلهة البشر؟! وکم هو عاجز وضعيف
من يطلب حاجة من هذه الآلهة الضعيفة! ضعف الطالب والمطلوب؟! وأخيراً
ماقدروا الله حق قدره، الله الذي خلق الخلق أجمعين إنّه لقويّ عزيز.
وبناءً على هذا فإن الخلق كلّ من الله تعالى وحده، وهو الذي يخلق الخلق
ويوجد كلّ موجود ويحيي ويميت، وهو مالك كلّ شيء.

فلا يوجد مؤثر آخر في عالم الخلق غير الله تعالى كي نتجه إليه في طلب
حاجتنا، ومن ثمّ يجب أن نعبد وحده ونطلب الحوائج منه وحده.
والآيات التالية - أيضاً - توضّح هذا المعنى حيث يقول الله تعالى في:

أ - سورة الأنعام:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ
اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ (الآية ٤٦).

ب - سورة الأعراف:

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (الآية

١٥٨).

ج - سورة القصص:

﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (الآية ٧١).

د - سورة الزمر:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (الآية ٦).

هـ - سورة الدخان:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الآية ٨).

و - سورة طه:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الآية ٩٨).

ز - سورة الإسراء:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (الآية

٤٢).

ح - سورة مريم:

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (الآية ٨١).

ط - سورة الأنبياء:

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ (الآية ٤٣).

ي - سورة يس:

﴿ءَاتَاخِذْ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنْهُ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا

وَلَا يَنْقُذُونَ﴾ (الآية ٢٣).

ك - سورة يس - أيضاً :-

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ﴾ (الآية ٧٤).

ل - سورة هود:

﴿فَمَا أَغْنَتْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ (الآية ١٠١).

وهكذا يصرّح القرآن الكريم بأنّ كلّ أنواع خلق الخلق مخصوص بالإله الواحد، من إنزال المطر، وإنبات النبات، وشفاء الأمراض، والنصرة على العدوّ المقتدر، وإزالة الفقر، كلّ هذه الأمور وأمثالها، وكلّ فعل آخر في الوجود إنّما هو من الله تعالى وحده، فهو الإله الحقيقي للعالم، ليس له شريك في قدرته وأفعاله، وهو أحد لا شبيه له: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وهو الله عز وجلّ.

كما وصف نفسه جلَّ اسمه وقال تعالى في:

أ - سورة النساء:

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (الآية ١٧١).

ب - سورة المائدة:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ (الآية

٧٣).

ج - سورة النحل:

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّهَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ (الآية ٥١).

ولما كانت الألوهية لله وحده فالعبادة إذاً لا تكون إلا له وحده، ولا يجوز

عبادة غيره معه كما قال تعالى في:

أ - سورة طه:

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (الآية ١٤).

ب - سورة الأنبياء:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ﴾ (الآية ٢٥).

وصدق الله العظيم حيث يقول في سورة النمل:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ

ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ* أَمَّنْ

جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ

حَاجِزاً ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ* أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ* أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي

ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى

اللَّهُ عَسَىٰ يَشْرِكُونَ* أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٠﴾ (الآيات ٦٠ - ٦٤).
إِذَا فَاِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ لِلَّهِ بَنَاتٌ وَبَنُونَ كَمَا
زَعَمَهُ مِنْ نَدَرَسِ قَوْلِهِ فِي مَا يَأْتِي بِحَوْلِهِ تَعَالَى.

- د -

أَلِلّٰه بنات وبنون؟

قال بعض المشركين في عصر الرسول (ص): إِنَّ
الملائكة بنات الله!

وقال بعض اليهود: إِنَّ عزيراً ابن الله!
وقد انقرض الفريقان وبادوا.

وقالت النصارى: إِنَّ المسيح ابن الله!
وَأَنْتَ يكون لله بنات وبنون ولم يتَّخذ صاحبة ليكون
له ولد!

1840

1841

1842

1843

1844

1845

1846

أَلِلّٰه بنات وبنون؟

في القائِلين بتعدد الآلهة من خرقوا الله بنات وبنين كما أخبر الله سبحانه عنهم فقال:

أ - في سورة الصافات:

﴿فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَهُمْ الْبَنُونَ﴾ (الآية ١٤٩).

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (الآية ١٥٠).

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمْ لَيَقُولُونَ﴾ (الآية ١٥١).

﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الآية ١٥٢).

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (الآية ١٥٣).

﴿مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (الآية ١٥٤).

ب - في سورة الزخرف:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ

شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ (الآيتان ١٩ - ٢٠).

﴿أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾ (الآية ١٦).

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾

(الآية ١٧).

إنَّ أولئك المشركين عبدوا الملائكة في عبادتهم اللات والعزى ومناة، الأصنام الثلاثة التي كانوا يعتقدون أنها تماثيل للملائكة كما أخبر عنهم الله سبحانه

وتعالى في سورة النجم حيث قال:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾
(الآيات ١٩ - ٢٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ (الآية ٢٧).
﴿وما لهم به من علم إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (الآية ٢٨).

ومنهم من كان يعبد الجنَّ كما أخبر الله سبحانه عنهم وقال:

أ - في سورة الأنعام:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الآيتان ١٠٠ - ١٠١).

ب - في سورة سبأ:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾
(الآيتان ٤٠ - ٤١).

وأولئك المشركون الذين عبدوا الملائكة قد انقضوا وبادوا وبقي ذكر عملهم.

وبقي إلى عصرنا من الذين قالوا بأنَّ لله ولداً النصارى؛ كما أخبر الله عنهم وقال في:

أ - سورة التوبة:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ

بَأَفْوَهِهِمْ يُضَاهِتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ (الآية)

ب - سورة النساء:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ (الآية ١٧١).
﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ (الآية ١٧٢).

ج - سورة المائدة:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٢-٧٦﴾ (الآيات ٧٢ - ٧٦).

د - وقال فيها - أيضاً :-

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ (الآية ١٧).

هـ - سورة آل عمران:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (الآية ٥٩).

و - سورة مريم:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (الآيات ٨٨ - ٩٣).

وقد ردَّ الله سبحانه أقوالهم جميعاً بقوله تعالى في سورة الإخلاص:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الآيات ١ - ٤).

شرح الكلمات

أ - إفكهم:

الإفك: الكذب والافتراء، والصرف من الحق إلى الباطل.

ب - كظيم:

الكظيم معناه: شديد الشعور بالغم والكرب.

ج - ضيزى:

ضاز وضأز: جار في الحكم، وقسمة ضيزى: قسمة جائرة.

د - سلطان:

السلطان هنا بمعنى: الحجّة والبرهان.

هـ - خَرَقُوا:

خرق الشيء: ادّعه كذباً.

و - بَدِيعُ:

بدع الشيء: أنشأه وبدأه على غير مثال سابق.

وبدع السموات والأرض: أي موجدتها بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا

مكان. ولا يقال لغير الله بديع.

ز - يُضَاهَتُونَ:

ضاهاهُ: شابهه، ويضاهتُونَ: يشابهون ويشاكلون.

ح - إِدَا:

الإدّ: الداهية والشيء المنكر والأمر الفظيع.

ط - هَدَّ:

الهدُّ: الهدم الشديد، وهو نقض البناء واسقاطه.

ي - الْمَسِيحُ:

لقب عيسى بن مريم (ع) بالمسيح تعريب (مشيحا) بالعبرانية لأنه كان

يمسح الأبرص والأكمه، فيبرءان باذن الله تعالى.

ك - الكلمة:

المخلوق الذي خلقه الله تعالى بكلمة (كن) أو نحوها دون توسط المألوف

من أسباب الخلق. وقد اطلقت الكلمة بهذا المعنى على عيسى (ع) لأن الله

خلقه بها كما قال سبحانه:

أ - مخاطباً زكريّا (ع):

﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ (آل عمران / ٣٩).

ب - ومخاطباً مريم عليها السلام:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران / ٤٥).

ج - وفي الآية المذكورة:

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾.

وإطلاق الكلمة على عيسى (ع) من قبيل إطلاق السبب على المسبب.

ل - صَدِيقَةٌ:

الصَّدِيق: من لا يكذب قط؛ من لا يتأتى منه الكذب، لتعوده الصدق، من

صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله، والصديقون: هم دون الأنبياء في الفضيلة.

م - عَبْدًا:

العبد هنا: المملوك الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا حياة ولا موتاً.

ن - الصَّمَدُ:

الصَّمَدُ: الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

أي: لم يخرج منه شيءٌ كثيفٌ كالولد وسائر الأشياء الكثيفة تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعتريه همٌ وحزن وخوف وبكاء ورجاء ورغبة وبهجة وضحك وجوع وشبع وسأم. ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من نظائرها مثل: الدواب من الدواب، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار.

ولم يتولد من شيء كالنار من الجمر، ولم يصدر من شيء مثل الكلام من

اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، والضوء من الشمس، والنور من القمر.

لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع

الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى

ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

تفسير الآيات

في الآيات الآتية أخبر الله سبحانه عن بعض اليهود في عصر الرسول (ص) أنهم قالوا: عزيز ابن الله، وهؤلاء بادوا كما باد المشركون الذين كانوا يقولون في عصر الرسول (ص): إن الملائكة بنات الله. وبقي النصارى حتى عصرنا الحاضر يقولون في المسيح، كما أخبر الله عنهم وقال:

﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾.

وقالت: إن الله ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، وليس يدرى كيف يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً. إن النصارى شابهوا الذين كفروا في قولهم هذا؛ وبهذا القول اعتقدوا بأن المسيح هو الله. وما المسيح إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وكانت أمه صديقة، وكانا يأكلان الطعام كسائر البشر، ومن يأكل الطعام لابد له من التغوط كسائر من يأكل الطعام وليس بإله، بل كان عيسى ابن مريم كلمة الله؛ ألقاها إلى مريم. وإن كانت النصارى تقول: إنه ابن الله لأنه ولد بلا أب؛ فإن مثله عند الله كمثّل آدم الذي خلقه من تراب ثم قال له كن فكان. وإن يك يُجعلُ لله البنون، تعالى الله عما يصفون، فإنّ آدم أحرى أن يكون لله ابناً. ومعاذ الله من هذا القول الباطل بل أنّهما - آدم وعيسى - والملائكة والجنّ والإنس والسموات والأرضون من خلق الله. وصدق الله حيث يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

(التوحيد ١ - ٤).

وقال الامام في جواب كتاب أهل البصرة يسألونه عن الصمد) فكتب

إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فلا تخوضوا في القرآن بغير علم، ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله (ص) يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار وان الله سبحانه وتعالى قد فسر الصمد، فقال الله احد الله الصمد ثم فسرهُ فقال: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الاشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا يتشعب منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والهَم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسامة والجوع والشبع تعالى الله ان يخرج منه شيء وان يتولد منه شيء كثيف أو لطيف ولم يولد ولم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج الاشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة والنبات من الأرض والماء من ينباع والثمار من الاشجار ولا كما يخرج الاشياء اللطيفة من مراكزها كالבصر من العين والسمع من الاذن والشم من الانف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب كالنار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء مبدع الاشياء وخالقها ومنشيء الاشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذا لكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد^(١).

(١) البرهان في تفسير القرآن / البحراني / ج ٤ . ص ٥٢٥ .

نتيجة البحث

في القائلين بتعدد الآلهة من قال: أن الملائكة بنات الله؛ مثل مشركي قريش، وأولئك قد بادوا وانقرضوا.

ومنهم من قال: أن عزيزاً ابن الله؛ مثل بعض اليهود في عصر الرسول (ص)، وأولئك أيضاً بادوا وانقرضوا.

ومنهم من قال: أن عيسى بن مريم ابن الله وأن الله ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، ولاتزال النصارى تقول ذلك.

ومنهم من كان يعبد الجن، وأولئك اختلفت أقوالهم ومذاهبهم في الجن في العصور المختلفة.

وقد أبان الله زيف أقوالهم في القرآن مثل قوله عن عبادة الملائكة، أنهم حين يقولون: أن الملائكة بنات الله وأنهم اناث، أشهدوا خلق الملائكة ورأوها اناثاً؟ وقوله في المسيح وأمه: إنهما كانا يأكلان الطعام في حين أنا نعلم أن آكل الطعام يلزمه خروج الغائط منه؛ والأكل والتغوط من صفات البشر. وقال سبحانه: أن مثل عيسى في ولادته بغير أب كخلق آدم من تراب بغير أب ولا أم.

وأن عيسى والملائكة والجن ومن في السموات والأرض كلهم عبيد الله. وأن الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.



كذلك يستدل القرآن بحصر الإلهية أي الخالقية في الله جل اسمه وحده لا شريك له، وأن ماعدا الخالق الواحد الأحد المتعال مخلوقون لله، وسوف ندرس في البحث الآتي بإذنه تعالى أصناف خلق الله حسب تسلسلهم في الوجود.

(٣)

أصناف خلق الله في القرآن الكريم

- أ - الملائكة.
- ب - السموات والأرض والكواكب.
- ج - الدواب.
- د - الجنّ والشیاطین.
- هـ - الإنسان.
- و - شرح الآيات وتفسيرها من الروایات.

- ١ - الملائكة

ومفرده الملك: صنف من خلق الله لهم أجنحة وحياة وموت، وهم عباد يعبدونه ويعملون بأمره، ولا يعصونه، وأحياناً يتمثلون بصورة إنسان عند أداء واجبه، ويختار الله منهم رسله، كما أخبر تعالى عن كل ذلك وقال عز اسمه في:
أ - سورة فاطر:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية ١).
ب - سورة الزخرف:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ (الآية ١٩).
ج - سورة الشورى:

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (الآية ٥).
د - سورة النحل:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (الآية ٥٠).
وقال عن تمثيلهم بصورة الإنسان:

١ - لمريم (ع) في سورة مريم:

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لِكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (الآيات

٢ - لِإِنزَالِ الْعَذَابِ عَلَى قَوْمِ لُوطَ (ع) فِي سُورَةِ هُودَ:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ خَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطَ *... وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ *... قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ...﴾
(الآيات ٦٩ - ٨١).

٣ - لِنَصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ كَمُقَاتِلِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرَ:

فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ (الآية ٩).
وجاء بعدها:

﴿إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الآية ١٢).
وفي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (الآيتان ١٢٤ - ١٢٥).

ويختار منهم رسلاً كما قال تعالى في سُورَةِ الْحَجِّ:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الآية ١٧٥).

ومنهم من يرسلهم بالوحي كما قال تعالى في:

أ - سُورَةِ التَّكْوِيرِ:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ

أَمِينَ ﴿ (الآية ١٩ - ٢١).

ب - سورة البقرة:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (الآية ٩٧).

ج - سورة الشعراء:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ﴾ (الآيات ١٩٢ - ١٩٤).

د - سورة النحل:

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى

وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (الآية ١٠٢).

هـ - سورة البقرة:

﴿وَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (الآيتان ٨٧

و ٢٥٣).

وينزلون بالتقدير في ليلة القدر، كما قال سبحانه في سورة القدر:

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (الآية ٤).

ومنهم الرقيب العتيد للإنسان، كما قال سبحانه في سورة ق:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ

إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (الآيات ١٦ - ١٨).

ومنهم ملك الموت، كما قال سبحانه في سورة السجدة:

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (الآية

١١).

ومنهم أعوان ملك الموت، كما قال سبحانه في:

أ - سورة الأنعام:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الآية ٦١).

ب - سورة النحل:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا أَلْسَلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾ (الآيتان ٢٨ - ٢٩).

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الآية ٣٢).

وأخبر الله سبحانه عن شأنهم يوم القيامة، وقال في:

أ - سورة المعارج:

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (الآية ٤).

ب - سورة النبأ:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (الآية ٣٨).

وفرض الله علينا وجوب الإيمان بهم كما قال تعالى في سورة البقرة:

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (الآية ١٧٧).

وقال فيها أيضاً:

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (الآية ٩٨).

شرح الكلمات

أ - فاطر:

فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ: خلقهم وبدأهم فهو فاطر.

ب - حَنِيد:

حَنَدَ اللَّحْمَ: شواه بين حجرين فاللحم حنيد.

ج - نَكَرَهُمْ:

استوحش منهم ونفر.

د - مُرْدِفِين:

أَرْدَفَهُ: أركبه خلفه وهو مُرْدِف.

وملائكة مردفين: أي يأتون فرقة بعد فرقة متتابعين.

هـ - ثَبَّتُوا:

ثَبَّتَ: دفع عنه أسباب الوهن والتزعزع وقوّاه وأبقاه مستقراً.

و - مُسَوِّمِينَ:

سَوَّمَ الشيء: جعل عليه علامة فهو مسوم.

والملائكة مسومين: معلّمين أنفسهم أو خيولهم بعلامات.

ز - مَكِين:

مكين من الملائكة: عظيم القدر والمنزلة.

ومكين هنا بمعنى صاحب قرب ومنزلة عند الله.

ح - مُطَاع:

مطاع من الملائكة: الملك الذي يأمر أعوانه من الملائكة فيطيعونه.

ط - الْبَيِّنَات:

آيات بيّنات: واضحات ظاهرات.

ي - حَبْلُ الْوَرِيد:

تشبيه لعرق الوريد بالحبل.

ك - الْمُتَلَقَّيَانِ:

الملكان الموكَّلان بمراقبة المرء وتسجيل ما يأخذانه عنه من أقوال وأفعال

في كتاب يلقاه يوم القيامة منشوراً.

ل - رَقِيب:

حافظ مُراعٍ.

م - عَتِيد:

أعددت الشيء واعتدته: أحضرته وهيأته للأمر فهو معتدّ وعَتِيد.

ن - تَوَفَّاهُمْ:

توفي الله أو الملك الانسان، اذا قبض روحه بإماتته.

س - الرُّوح:

الرُّوح: ما به حياة الأجساد وإذا خرج من الإنسان أو الحيوان مات،

ولا يمكننا معرفة حقيقته، كما أشار الله تعالى إلى ذلك وقال في سورة الإسراء:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

قَلِيلًا﴾ (الآية ٨٥).

ويضاف إلى الله تشريفاً أو بمعنى الملك، مثل قوله تعالى للملائكة:

١ - في خبر خلق آدم (ع) في سورة الحجر:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الآية ٢٩).

٢ - في خبر خلق عيسى بن مريم (ع) في سورة التحريم:

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (الآية

١٢).

فإنّ مثل نسبة الروح إلى الله هنا كمثل نسبة البيت إلى الله في قوله

لابراهيم في سورة الحج: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ (الآية ٢٦)، فَإِنَّ إضافة البيت الحرام إلى الله تشريعاً له عن سائر بقاع الأرض، وكذلك شأن إضافة الروح إلى الله في الآيتين المذكورتين.

والروح - أيضاً -: مابه حياة النفوس وهداها، مثل الوحي والنبوة والشرايع الإلهية والقرآن خاصّة، كما قال سبحانه في:

١ - سورة النحل:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (الآية ٢).

٢ - سورة الشورى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ (الآية ٥٢).

إِنَّ الروح الذي أوحى إلى رسول الله هو القرآن، والروح غير الملائكة، كما ورد ذكره في قوله تعالى في:

١ - سورة القدر:

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (الآية ٤).

٢ - سورة المعارج:

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (الآية

٤).

وسياقي بيانه عن الإمام علي (ع) إن شاء الله تعالى.

ع - الأمين:

الأمين: هو الثقة المؤتمن على تبليغ الوحي، وقد وصف الله الملك الروح

بالأمين في قوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (الآيتان

١٩٣ - ١٩٤).

ف - القُدُس:

قدس قدساً: طُهر، وروح القدس: روح الطهر، وقد وصف الله الملك الروح - أيضاً - بالقدس في قوله تعالى:

١ - في سورة البقرة:

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (الآيتان ٨٧ و٢٥٣).

٢ - في خطابه لخاتم الأنبياء (ص) في سورة النحل:

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (الآية ١٠٢).

ص - تَعْرُجُ:

عَرَجَ الشيء عُرُوجاً: ارتفع وعلا، وعرج مثل درج بمعنى مشى مشي الصاعد في درجه.

تخيّلات عن عالم الغيب

في أمثال هذه البحوث عن عوالم الغيب كثيراً ماتجري من قبل أناس في مختلف مستويات المعرفة محاولات متنوعة لمعرفة ماورد في القرآن الكريم والحديث الشريف من ذكر عوالم ماوراء المحسوس قياساً على المشهور من عالم المادة، فيهيّمون في عالم الخيال، ويُسَمُّون تخيلاتهم بالعلم والمعرفة. وفي ما يأتي نبين سبب ذلك بإذنه تعالى:

وسائل العلم والمعرفة

إنّ وسائلنا لمعرفة الأشياء والعلم بها تنحصر في نوعين:
النوع الأول: ما يميّزه بحواسّنا، وبما أنّ حواسّنا خلقت لنميّز بها الموجود

في عالمنا المادي المحسوس بالحواس، فهي لاتعمل في غير عوالم المحسوسات المادية.

النوع الثاني: مانعرفه عن طريق النقل والحكاية؛ مثل مانعلم بها في بلد لم نره عن طريق النقل والحكاية، وتُحدُّ معلوماتنا في هذا النوع بحدود المنقول لنا، ويحصل لنا هذا النوع من المعرفة بثبوت صدق ناقل الخبر عما يُحدِّث به. ومن هذا النوع من المعرفة ماحدِّثت به رسل الله وأنبياءه صلوات الله عليهم أجمعين عن عوالم السموات فوق النجوم والكواكب وعالم الملائكة وعالم الجن ومشاهد يوم القيامة، وفوق كل ذلك ماحدَّثونا به من صفات الله تقدَّست أسماؤه، ويحدِّث هذا النوع من العلم بحدود ماينقلونه لنا، بعد أن ثبت لدينا صدق نبوتهم ورسالتهم عن الله سبحانه وتعالى. ولا يمكن أن نخضع أي شيء مما حدَّثونا به عن تلكم العوالم بتشخيص حواسنا له.

خلاصة البحث

الملائكة صنف من خلق الله وجنوده وعباده، لهم أجنحة وحياة وموت، ويتمثلون أحياناً في صورة إنسان عند أداء واجبهم، وهم على درجات من الفضل مثل: الروح الأمين، وروح القدس، ويختار الله منهم رسلاً لتبليغ الوحي، وإنزال مقدّرات الإنسان في ليلة القدر، ومنهم الملكان اللذان يسجّلان عمل الإنسان، ومنهم ملك الموت وأعوانه، ويحشرون يوم القيامة، ويقومون بها يأمرهم الله به ولا يعصونه.

ولما كانت وسائلنا للعلم والمعرفة تنحصر بنوعين:

أ - المشاهد المحسوس: وهذا مانعرفه ونميزه بتشخيص الحواس له.

ب - المنقول لنا: مثل ماينقل لنا عن أمور في بلد لم نره، ويشترط في طريق المعرفة الثانية أن نطمئن إلى صدق ناقل الخبر لنا.

وبما أن عوالم الملائكة والجن والروح ويوم القيامة وبدء الخلق ليست من العوالم المحسوسة المشهودة لنا، فلا طريق لنا لمعرفة إلا بما تنقله رسل الله لنا بعد أن ثبت صدق رسالتهم من قبل الله. وماتقوله أصحاب النظريات عن هذه العوالم إن هو إلا تخيلات وظنون لاتغني من الحق شيئاً.

وما جاء من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ و﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ لايعني أن ذلك الماء كان مثل الماء الذي نشاهده اليوم على الأرض مكوناً من (أوكسجين وهيدروجين) بالنسب المعينة، وإن الدخان كان متصاعداً من النار كالدخان الذي نشاهده اليوم، بل قد يكون المراد تشبيه ذلك الماء بالماء الذي نشاهده اليوم، والدخان بالدخان الذي نشاهده اليوم متصاعداً من النار، وسوف يأتي معنى العرش في بحث الربوبية إن شاء الله تعالى، ونذكر معنى السماء والسموات في القرآن الكريم في البحث الآتي بحوله تعالى.

- ٢ -

السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضُ وَسَمَاؤُهَا

أولاً - السماء والسَّمَوَاتِ:

أ - السماء .

١ - في اللغة العربية :

سما الشيء يسمو سموّاً وسماً: علا وارتفع وتطاول، وسما كل شيء أعلاه، وكل شيء اظلك فهو سما.

٢ - في القرآن الكريم:

جاء ذكر السماء بلفظ الواحد في القرآن الكريم، وأريد به تارة الجو الذي فوق الأرض ومحيط بها، مثل قوله تعالى في:

١ - سورة النحل:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ (الآية ٧٩).

٢ - سورة البقرة:

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾ (الآية ٢٢).

وإنّ الإنسان يرى بالعين المجردة كيف يطير الطير في جو سما الأرض، وكيف ينزل الغيث من الغمام المسخر في سما الأرض، وقد يصعد الإنسان جبلاً فيرى الشمس في السماء أعلاه تشرقه والغمام دونه في سما الأرض التي تعلو الأرض وتحيط بها.

وتارة يأتي لفظ السماء في القرآن الكريم ويُراد به ما علا الأرض من الكواكب والسموات السبع، كما قال سبحانه في:

١ - سورة البقرة:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (الآية ٢٩).

٢ - سورة النمل:

﴿وَمِمَّنْ غَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الآية ٧٥).

٣ - سورة الأنبياء:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السُّجُلِ لِلْكِتَابِ...﴾ (الآية ١٠٤).

فإن المراد من السماء في هذه الآيات كل ما علا الأرض وكانت الأرض تحته، أي السموات السبع وما دونها مما علا الأرض.

ب - السموات:

جاء لفظ السموات في القرآن الكريم وأريد به السموات السبع، كما قال

سبحانه في سورة البقرة:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ

سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الآية ٢٩).

ثانياً - الأرض:

جاء ذكر الأرض في القرآن الكريم (٤٥١) مرة بلفظ الواحد، وورد معطوفاً

على السموات مرة واحدة، في قوله تعالى في سورة الطلاق:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...﴾ (الآية ١٢).

ونفهم من التماثل بينهما هنا التماثل في الخلق وليس في العدد، وإذا اكتشف

للأرض سبع طبقات؛ عندئذ لقائل أن يقول بأن المراد من التماثل بين السموات

السبع والأرض تماثل في عدد طبقات الأرض والسماء. وسماء الأرض هو الحد المحيط بالأرض والذي مر ذكره في سورة النحل/ ٧٩.

ثالثاً - بدء الخلق:

جاء ذكر بدء خلق السموات والأرض في آيات متعددة، ولا بد من أخذ تفسيرها ممن قال الله في شأنه في سورة النحل:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (الآية ٤٤).

وقد رويت أحاديث كثيرة في بيان بدء الخلق عن رسول الله (ص)، غير أن تلك الأحاديث لم تُدرَس من قبل العلماء سنداً وممتناً؛ مثل أحاديث الأحكام وآيات الأحكام، ولا يتسع المجال هنا لدراستها.

وإذا أقتصرنا في الدراسة على ما يفهم من ظواهر الآيات مع الاستفادة مما تطمئن النفس إلى صحته من الروايات، أو ما يغلب على الظن صحتها، نستعين الله ونقول:

بدء الخلق

وصف الله سبحانه وتعالى بدء الخلق وما كان بعده بقوله في:

أ - سورة هود:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾

(الآية ٧).

ب - سورة يونس:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ (الآية ٣).

ج - سورة الفرقان:

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الآية ٥٩).

د - سورة الأنبياء:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ

الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الآية ٣٠).

هـ - سورة البقرة:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ

سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الآية ٢٩).

و - سورة فصلت:

﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ

رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْنٍ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ

أَتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى

فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزِينًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿
(الآيات ٩ - ١٢).

ز - سورة الطلاق:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...﴾ (الآية ١٢).

ح - سورة النازعات:

﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا
وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ
أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (الآيات ٢٧ - ٣٣).

ط - سورة الشمس:

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ (الآيتان ٥ - ٦).

ي - سورة الحجر:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ (الآيتان ١٩ - ٢٠).
ك - سورة طه:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي
النُّهَى * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (الآيات
٥٣ - ٥٥).

ل - سورة البقرة:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الآية ٢٢).

م - سورة نوح:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (الآية ١٥).

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا* لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (الآيتان ١٩ - ٢٠).

ن - سورة الغاشية:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الآيات ١٧ - ٢٠).

س - سورة النمل:

﴿أَمْنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ* أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الآيتان ٦٠ - ٦١).

ع - سورة الأنبياء:

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ* وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الآيتان ٣١ - ٣٢).

ف - سورة المرسلات:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا* أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا* وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِي شَامِخَاتٍ...﴾ (الآيات ٢٥ - ٢٧).

ص - سورة يونس:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ* إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (الآيتان ٥ - ٦).

شرح الكلمات

أ - اليوم:

يأتي اليوم بمعنى الزمن الممتد من طلوع الفجر أو الشمس إلى غروبها.
وكذلك الزمان المقرون به حدث من الأحداث؛ ومنها أيام الحروب وإن
امتدت إلى أيام مثل يوم الخندق، ويوم صفين.

ب - ثم:

ثم: يدل على تأخر ما بعده عما قبله بالزمان أو المرتبة أو المكان.
فالأول: مثل قوله تعالى في سورة الحديد:
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾ * ثُمَّ قَفَّيْنَا
عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿ (الآيتان ٢٦ - ٢٧).

والثاني: مثل ما جاء في جواب رسول الله (ص) لرجل سألَه وقال:
من أبرُّ؟

قال: أمك.

قال: ثم من؟

قال: أمك.

قال: ثم من؟

قال: أباك.

والثالث: قولك: ذهبت من بغداد إلى كربلاء ثم النجف.

ج - الدخان:

الدخان: ما يكون مع لهيب النار، وقد يقال للبخار وما على صورته: الدخان.

د - استوى:

استوى عليه: استولى عليه، وأستوى إليه: انتهى إليه، ويأتي مزيد بيان

لمعناه ومعنى (الرَّحْمَن) و (العَرْش) و (سَوَاه) في بحث صفات الرَّبِّ بُعيد هذا
إن شاء الله تعالى.

هـ - الرَّتْقُ:

الرتق: الضَّم والالتئام.

و - جَعَلَ:

تأتي جعل بمعنى خلق وأوجد، مثل قوله تعالى:

أ - في سورة المائدة:

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ (الآية ٢٠).

ب - في سورة النحل:

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ (الآية ٨١).

وبمعنى صَيَّره، مثل قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ (الآية ٢٢).

وبمعنى شرع وحكم وقدر، مثل قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (الآية ٤٨).

وبمعنى سَخَّر: أي هداه تسخيرًا، مثل قوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ (الآية ٦).

أي وهدينا الأنهار تسخيريًا لتجري من تحتهم^(١).

ز - الرَّوَاسِي:

الرَّوَاسِي: مفردة الراسي: الجبل الثابت الراسخ.

وأرساه: أثبتته وأرسخه في موضعه.

ح - قِضَاهُنَّ:

قِضَاهُنَّ: هنا بمعنى قَدَرِهِنَّ وَأَتَمَّ خَلْقِهِنَّ.

(١) سندرس هداية الأنواع الأربعة في البحث الآتي:

ط - أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا:

عَلَّمَ مَلَائِكَةَ كُلِّ سَمَاءٍ الْأَمْرَ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِ الْقِيَامِ بِهِ. وَسَخَّرَ سَائِرَ مَا خَلَقَ فِيهَا أَنْ يَسِرْنَ وَفَقَ النِّظَامَ الَّذِي قَدَّرَهُ لَهُنَّ.

ي - بَنَاهَا:

بَنَى الْبَيْتَ: أَقَامَهُ.

وَفِي الْآيَةِ: خَلَقَهَا مَسْوَاةً مُحْكَمَةً.

ك - السَّمَكَ:

السَّمَكَ: السَّقْفُ، وَمَسَافَةُ الشَّيْءِ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ، وَإِذَا قَصِدَ ذَكَرَ

الْمَسَافَةَ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ قِيلَ: الْعَمَقُ.

ل - سَوَّى:

سَوَّاهُ: جَعَلَهُ عَلَى كِمَالٍ وَأَسْتَعْدَادٍ لِمَا أُنْشِئَ مِنْ أَجْلِهِ.

م - أَغْطَشَ:

أَغْطَشَهَا: أَظْلَمَهَا.

ن - الضُّحَى:

الضُّحَى: طُلُوعُ الشَّمْسِ وَصَفَاءُ ضَوْئِهَا، وَارْتِفَاعُ النَّهَارِ.

وَأَخْرَجَ ضَحَاهَا: أَبْرَزَ نَهَارَهَا.

س - دَحَاهَا:

دَحَا الشَّيْءُ: أَزَالَهُ عَنْ مَوْقِعِهِ، بَسْطَةً وَمَهْدَةً. وَالْأَرْضُ دَحَاهَا: بَسَطَهَا

وَمَهَّدَهَا لِلسَّكْنِ وَالتَّقَلُّبِ فِي أَقْطَارِهَا.

ع - طَحَاهَا:

طَحَاهَا: بَسَطَهَا.

ف - مَدَّدْنَاهَا:

مَدَّدَ: بَسَطَ فِي طَوْلٍ وَاتِّصَالٍ. وَفِي الْآيَةِ: بَسَطْنَاهَا وَمَهَّدْنَاهَا لِلْعِيشِ عَلَيْهَا.

ص - موزون:

الْوَزْنُ: تقدير الأجسام بما يعادله في الثقل أو في الطول والعرض أو في الحرارة والبرودة.

وَوَزَنَ الشَّيْءَ: قدره بما يعادله، فهو موزون. والمعنى في: وأنبتنا فيها من كل شيء موزون أي: أنبتنا في الأرض من كل شيء ما يتناسب مع محيطه ولما خلق من أجله، وعلى قدر الحاجة إليه، وبما تقتضيه الحكمة في ذلك.

تفسير الآيات

معنى الآيات حسب ظواهر معاني ألفاظها، والله أعلم:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى، قبل أن يخلق السموات والأرض، كان قد خلق ماءً، لا يعرف حقيقته غيره، وكان عرشه على ذلك الماء وحده، أي أن الملائكة الذين يعملون بأمره كانوا على ذلك الماء، ولما أقتضت مشيئته وحكمته - تبارك وتعالى - أن يخلق ماعداه، بدأ خلق الأرض من ذلك الماء قبل أن يخلق السماء، ثم بدأ خلق السماء من بخار الأرض ولهبها، وتساعد ذلك البخار أو الدخان من الأرض، وكذلك فتق الله السماء من الأرض^(٢) - والله أعلم - بعد أن كانتا رتقاً، أي مُنْظَمَتَيْنِ، وصار ذلك الدخان أو البخار للأرض سماءً، وفتق تلك السماء وجعلها سبع سماوات طباقاً.

ونجد هذا التفسير في كلام الإمام عليّ (ع)، حيث قال:

(جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِر... يَبْساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ أَرْتَاقِهَا)^(٣).

(٢ و ٣) شرح نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩ وسيأتي مزيد بيان له من الروايات.
والدر المنثور للسيوطي ٤٤٤/١ والبحار ٥٨/١٠٤.

وَأَتَمَّ اللهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: أَي سِتَّةِ مَرَاهِلٍ عَمَلٍ
كَالآتِي بَيَانِهِ:

أَوَّلًا - خَلْقُ الْأَرْضِ:

خَلَقَ اللهُ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلَ فِيهَا جِبَالاً رَاسِيَاتٍ، وَفِي تَهَامِ الْأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ
خَلَقَ الشَّمْسَ فِي جَوْ السَّمَاءِ، وَأَجْرَى الْمَاءَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَدَّرَ سَائِرَ
الْأَقْوَاتِ مِنَ النَّبَاتِ وَغَيْرِهِ؛ أَي جَعَلَ فِي طَبِيعَةِ الْمَاءِ وَطَبِيعَةِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ أَنْ
يَخْلُقَ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ؛ أَي بَدَأَ خَلْقَ السَّمَاءِ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ،
وَكَانَتْ السَّمَاءُ دَخَانًا أَوْ بَخَارًا، فَارْتَفَعَ ذَلِكَ الْبَخَارُ مِنْ بَحَارِ الْأَرْضِ، أَوْ ذَلِكَ
الْلهِيبُ مِنْ بَرَائِكِنِ الْأَرْضِ، وَفَتَقَ اللهُ السَّمَاءَ عَنِ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ كَانَتَا رَتَقًا، وَرَفَعَ
سَمَكَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ - وَاللهُ أَعْلَمُ - ثُمَّ قَالَ لِتِلْكَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ:
﴿اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

فَأَتَتْ السَّمَاءُ بِهَا فِيهَا مِنَ الْمَجَرَاتِ وَكَوَاكِبِ الْمَجَرَاتِ، وَغَيْرِهَا، مِمَّا اللهُ بِهَا
عَلِيمٌ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ؛ أَي أَبْعَدَهَا مِنْ قَرَبِ السَّمَاءِ وَبَسَطَهَا وَجَعَلَ فِيهَا الْأَنْهَارَ
وَالْأَشْجَارَ وَسَائِرَ النَّبَاتَاتِ ثُمَّ الْحَيَوَانَاتِ.

وَقَضَى؛ أَي جَعَلَ السَّمَاءَ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ فَتْقِهَا عَنِ الْأَرْضِ، فَوْقَ الْأَرْضِ،
سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا؛ أَي نِظَامَ سِيرِهَا لِإِدَامَةِ بَقَائِهَا.
وَزَيَّنَ سَمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَهِيَ الْكَوَاكِبُ، وَجَعَلَ مِنَ الْكَوَاكِبِ مَا يَحْفَظُهَا مِنْ
أَسْتِرَاقِ سَمْعِ الشَّيَاطِينِ، كَمَا يَأْتِي بَحْثُهُ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَجَعَلَ الشَّمْسَ مُضِيئَةً وَالْقَمَرَ مَنِيرًا، وَقَدَّرَ الْقَمَرَ مَنَازِلَ فِي مَسِيرِهِ؛ يَنْزِلُ كُلَّ
لَيْلَةٍ مَنَزَلًا غَيْرَ مَنَزَلِهِ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ، وَيَبْتَعدُ عَنِ الشَّمْسِ حَتَّى يُوَافِقَهَا مِنْ

الجانب الآخر في شهر قمري كامل؛ وبذلك تتكون الشهور والسنون ليعلم الناس عدد السنين والحساب. وأُنبت في الأرض من كل شيء موزون، وجعل الأرض مهداً للإنسان يجمع فيها أحياءه وأمواته، ومنها يحشره يوم القيامة. وبناءً على ما ذكرنا، نستنبط من الآيات المذكورة أن الأرض متقدمة زماناً على السماوات ومقدمة رتبة - أيضاً - على ما عداها مما خلق الله، بما خلق عليها من الأنبياء والأوصياء والأولياء، وأن الله تعالى قد خلق جميع ما في السماوات والأرض لنفع أهل الأرض لمقام أوليائه عليها، فقد قال سبحانه في:

أ - سورة لقمان:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الآية ٢٠).

ب - سورة المجاثية:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً...﴾ (الآية ١٣).

ونستنبط من الآيات المذكورة - أيضاً - أن خلق أقوات الإنسان من الماء واللحوم والنبات متقدم على خلق الإنسان، كما صرحت الآيات بأن الجن خلقوا من نار السموم قبل خلق الإنس من الطين، وكذلك الملائكة خلقوا قبل الإنسان، لأنه سبحانه وتعالى قال في سورة الحجر:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ﴾ (الآيات ٢٦ - ٢٨).

ثانياً - الكواكب

أخبر الله تعالى عن البروج والكواكب والشهب فقال في:

أ - سورة الحجر:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

رَجِيمٌ * إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿ (الآيات ١٦ - ١٨).

ب - سورة الصافات:

﴿إِنَّا زَيْنًا أَلَسْمَاءَ الدُّنْيَا بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الآيات ٦ - ١٠).

ج - سورة الفرقان:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الآية

(٦١).

د - سورة يونس:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ...﴾ (الآية ٥).

هـ - سورة نوح:

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ (الآية ١٦).

و - سورة التوبة:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (الآية ٣٦) ^(٤).

ز - سورة النحل:

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (الآية ١٦).

ح - سورة الأنعام:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ (الآية

(٩٧).

(٤) ان المشهور عبارة عن زمان حركات بعض الكواكب في مسارات خاصة.

شرح الكلمات

أ - البرُوجُ:

البرُوجُ: واحدها البرج، وهي على الأرض: القصر والحصن. وفي السماء: مجموعة نجوم يمر بها القمر والشمس وغيرهما من الكواكب والنجوم. ومنها مجموعة نجوم لو رسمناها على الورق - مثلاً - ورسمنا بينها خطاً لشابهت العقرب، وهي من منازل القمر.

وللقمر في ما يرى من سيره اثنا عشر برجاً حسب اصطلاح المنجمين، وسنتحدث في آخر البحث - إن شاء الله - عن مخاطبة القرآن للناس بما يشاهدونه ويرونه عياناً.

ب - رَجِيم:

الرَّجِيم: المطرود عن الخيرات أو عن منازل الملائكة الأعلى، أو الملعون.

ج - الشَّهاب:

الشَّهاب: شعلة في الجو ترى هابطة، والجمع: الشهب، ويأتي مزيد بيان له في بحث الجنّ الآتي إن شاء الله تعالى.

د - المارد:

المارد والمريد من شياطين الجن والإنس: الطاغية المتعري عن الخيرات، والمتهادي في الشرّ والإثم.

هـ - دُحوراً:

دحره دحراً ودحوراً: دفعه وطرده وأبعده.

و - النُّجُوم:

النُّجُوم: هي النيرات التي لها ضوء مثل الشمس كما قال الله: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾، ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجاً﴾.

ز - الكواكب:

الكواكب: هي الأجسام التي تكتسب النور من النجوم، ويقال لعامة الأجسام المنيرة في السماء: الكواكب، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ (الصافات ٦).

ح - واصب:

وَصَبَ: دام ولزم، فهو واصب.

ط - خطف:

خَطَفَ الشَّيْءَ خَطْفًا: أخذه واختلسه بسرعة، والخطفة: المرة من الخطف، والمرة من استماع الشيطان للملائكة في السموات.

ي - الثاقب:

ثَقَبَ الشَّيْءَ ثَقْبًا: خرقه بآلة الثقب فهو ثاقب.

وُوصِفَ الشَّهَابُ بِالثَّاقِبِ لِنَفَازِهِ فِي الظُّلُمَاءِ كَأَنَّهُ يَثْقِبُهَا بِضَوْئِهِ.

تفسير الآيات

يفهم من الآيات التي ذكرناها في بحث السموات والكواكب: أن سماء الدنيا مكانها فوق جميع الكواكب والنجوم في جميع المجرات بجميع أبعادها الضوئية، وفوقها مكاناً السماء الثانية، وفوق الثانية الثالثة، وفوق الثالثة الرابعة، وهكذا حتى السابعة، وأن ارتفاع بعضها على بعض مكاني بخلاف العرش الذي ارتفاعه معنوي، كما يأتي بيانه في محله - إن شاء الله تعالى -، ويوجه إلى ما أشرنا سؤالا كالآتي:

١ - لماذا ذكر الله تعالى من فوائد النجوم أمثال قوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا...﴾ (الآية ٩٧).

مما يعلمه الناس أجمعون ولم يخبر عن آثارها وصفاتها التي أكتشفها العلماء

بعد عصر القرآن الكريم؟

٢ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ وَقَالَ:

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾.

وإذا كانت الكواكب زينة للسماء الدنيا فإنه يدل على أن مواقع جميع الكواكب تحت السماء الدنيا، مع أن علماء النجوم والفلك - المنجمين - سابقاً كانوا يقولون: إن مواقع أكثر النجوم فوق السماء الدنيا. فما رأي العلم في عصرنا في هذا الأمر؟

وفي الجواب عن السؤالين نقول بحوله تعالى:

الجواب عن السؤال الأول:

إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ أَسْمُهُ - أَرْسَلَ خَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِيَهْدِيَ جَمِيعَ النَّاسِ إِلَى الدِّينِ الَّذِي شَرَعَهُ لَهُمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي:

أ - سُورَةِ الْأَعْرَافِ:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً...﴾ (الآية ١٥٨).

ب - سُورَةِ الْأَنْعَامِ:

﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾ (الآية ١٩).

ولهذا السبب يخاطب جميع الناس في محاوراته بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، إذا لابد من أن يذكر من أصناف الخلق حسب الحاجة في المحادثة ما يفهمه جميع الناس في كل زمان ومكان، ويقول - مثلاً - في سورة الغاشية في مقام إقامة البرهان على توحيد الألوهية:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الآيات ١٧ - ٢٢).

وقال في سورة الواقعة في مقام إقامة البرهان على توحيد الربوبية:
﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ* لَوْ
نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ*... فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الآيات
٦٨ - ٧٠ و ٧٤).

ولو فعل خلاف ذلك وذكر - في مقام الاستدلال - نظام سيرة بلايين
الكواكب في ملايين المجرات في السماء، أو ذكر من الإنسان وحده: عينه وملايين
الخويطات فيها، ودمه وملايين الكريات البيض والحمرة فيه، ودماعه وملايين
خلاياه، وجهازه الهضمي ... و... والخ، وأنواع أمراضها وعلاجها كما تساءل
البعض مني عن سبب عدم ذكر الله هذه العلوم في كتابه وهو خالقها، وزعمها
نقصاً في كتاب الله المجيد - معاذ الله -.

ياترى لو جاء ذكر خصائص ما خلق الله كما ذكرناه فمن من الناس كان
يفهمها قبل عصر اكتشافها؟ وماذا كانت تقول الأمم لأنبيائها لو قالوا لهم
- مثلاً -: إن الأرض التي نحن عليها تدور حول الشمس، والشمس تبعد عن
الأرض ٢٣ مليون ميل، وهي بمجموعتها تقع في طرف مجرة تسمى درب
التبانة، وفي هذه المجرة ثلاثون ملياراً من النجوم، ويوجد وراء هذه المجرة مئات
الألوف من عوالم السدوم، و...الخ.

ياترى لو كانت الأمم تسمع من أنبيائها أمثال هذه الأقوال ماذا كانت
تقول لأنبيائها؟ في حين أنها نسبت إليهم الجنون لأنهم دعوهم إلى غير المألوف
عندهم من توحيد الإله، فمثلاً قال قوم نوح لنوح (ع) كما أخبر سبحانه في
سورة القمر وقال:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ... وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ (الآية ٩).

وأخبر عن الأمم مع أنبيائها وقال سبحانه في سورة الذاريات:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾
(الآية ٥٢).

وأخبر عن قريش مع خاتم الرسل (ص) في سورة القلم فقال:
﴿...وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (الآية ٥١).

ياترئى ماذا كانت تقول الأمم لأنبيائها لو سمعت منهم أمثال هذه
الأقوال؟

وكم من الناس الذين يخاطبهم القرآن كان يفهم هذه الحقائق العلمية
التي اكتشفها العلماء حتى عصرنا الحاضر وبعد اكتشافها؟!
وفي كم موسوعة علمية كان ينبغي أن تدون كل الاكتشافات العلمية التي
اكتشفها العلماء حتى عصرنا الحاضر؟!

ثم إن الله أنزل القرآن على خاتم رسله (ص) كتاب هداية يعلم الناس
كيف يعبدون الله ربهم ويطيعون أوامره ونواهيه، وكيف يتعاملون مع سائر الخلق،
وكيف ينتفعون بما خلق لهم وسخر ليبلغوا درجة الكمال الإنساني ويسعدوا في
الدارين.

ولم ينزل القرآن ليعلم الناس خصائص الهواء والماء والأرض والحيوان
والنبات، بل جعل ذلك من وظيفة العقل الذي وهبهم إياه ليهديهم إلى كل ذلك
حسب حاجاتهم في الأزمنة المتعاقبة وحالاتهم المختلفة.

ومع وجود العقل الموهوب لهم لم يكن الناس بحاجة - مثلاً - إلى أن يعلمهم
الله في كتابه المجيد كيف يفلقون الذرة، وإنما هم بحاجة إلى أن يهديهم فيه كيف
يستعملون هذه الطاقة وأمثالها - بعد أن سيطروا عليها - لما ينفعهم،
ولا يستعملونها في ما يضرهم ويبيدون الخلق إنساناً وحيواناً ونباتاً!

إذاً كان من الحكمة أن يأتي القرآن الكريم بذكر أصناف الخلق كما
جاء، ولا ينافي ما ذكرناه أن تأتي في القرآن الكريم أحياناً إشارة إلى حقائق علمية

مما أكتشفها العلماء ويكتشفونها بعد عصر نزول القرآن الكريم، كي يكون من الآيات المتجددة الدالة على أن القرآن الكريم نزل من عند خالق العالمين وربهم: «ولاتفنى عجائبه»^(٥) كما قال وصي النبي (ص).

ومن عجائبه أنه لم يأت فيه من ذكر خصائص الخلق ما يخالف حقائق العلم التي اكتشفها العلماء بعده قرناً بعد قرن.

الجواب عن السؤال الثاني:

إنّ صنفاً من العلماء في بعض العصور أولوا بعض ما جاء ذكره في القرآن الكريم ببعض النظريات الخاطئة التي كانت تعتبر في عصرهم من حقائق العلم، مثل تأويلهم السموات السبع بالأفلاك السبعة المشهورة عند العلماء سابقاً، حسب نظرية بطليموس (عاش نحو ٩٠ - ١٦٠ م) وقوله:

إنّ السموات والأرض أجسام كروية بعضها فوق بعض مثل طبقات البصل، مركزها الأرض التي يتكوّن ثلاثة أرباعها من الماء وفوقها الهواء وفوق الهواء النار، ويسمونها بالطبائع الأربع، وفوقها فلك القمر وهو الفلك الأول، ثم فلك عطارد، ثم الزهرة، ثم الشمس، ثم المريخ، ثم المشتري، ثم زحل، ويسمّون كواكبها: بالسبعة السيّارة، وأنه يحيط بها فلك الكواكب الثابتة ويسمّونها بفلك البروج، ثم الفلك الأطلسي الذي لا كوكب فيه، ويؤولون السموات السبع بأفلاك السيارات السبع عندهم، والكرسي بفلك البروج، والعرش بالفلك التاسع^(٦).

وكذلك أولوا ما جاء في القرآن والحديث حول بعض المصطلحات الإسلامية

(٥) نهج البلاغة / الخطبة: ١٨.

(٦) البحار، ٧٥/٥٨.

بالمشهور في عصرهم من آراء فلسفية وفلكية ونظريات خاطئة.
ولما كان في تلك النظريات ما يخالف صريح القرآن حاولوا الجمع بين ما جاء
في القرآن الكريم وتلك النظريات كما أخبر عنه المجلسي وقال:

(وأعلم أن ههنا إشكالاً مشهوراً، وهو أنه اتفق أصحاب الهيئة على أنه
ليس في السماء الأولى سوى القمر، وسائر السيارات كل في فلك، والثوابت كلها
في الثامن، والآية الكريمة تدلّ على أن كلها أو أكثرها في السماء الدنيا، وأجيب
عنه بوجوه)^(٧).

وسياتي ذكر الآية وتفسيرها بعيد هذا ان شاء الله تعالى، ونترك ذكر
الوجوه التي نقلها المجلسي ههنا كي لا يطول البحث في ما لا ينفع، ونقتصر على
إيراد قول كبير فلاسفة عصره؛ ميرداماد في تأويل حديث في هذا الباب:

قال المجلسي رحمه الله:
(بيان وتأويل عليل:

قال السيد الداماد - ره - في بعض تعليقاته على كتاب من لا يحضره الفقيه:

العرش هو فلك الأفلاك. وإنما حكم (ع) بكونه مربّعاً لأنّ الفلك يتعيّن له
بالحركة المنطقة والقطبان، وكلّ دائرة عظيمة منصفة للكرة، والفلك يتربّع بمنطقة
الحركة والدائرة المارة بقطبيها، والعرش وهو الفلك الأقصى والكرسي وهو فلك
الثوابت يتربّعان بمعدل النهار ومنطقة البروج والدائرة المارة بالأقطاب
الأربعة، وأيضاً دائرة الأفق على سطح الفلك الأعلى يتربّع بدائرة نصف النهار
ودائرة المشرق والمغرب، فيقع منها بينها أربعها، ويتعيّن عليها النقاط الأربع:
الجنوب، والشمال، والمشرق، والمغرب. والحكماء نزّلوا الفلك منزلة إنسان مستلقٍ

(٧) البحار، ٥٨/٧٤.

على ظهره، رأسه إلى الشمال، ورجلاه إلى الجنوب، ويمينه إلى المغرب، وشماله إلى المشرق. وأيضاً التربيع والتسديس أول الأشكال في الدائرة على ما قد استبان في مظهره، إذ التربيع يحصل بقطرين متقاطعين على قوائم، والتسديس بنصف قطر، فإن وتر سدس الدور يساوي نصف القطر، وربع الدور قوس تامة، ومانقصت عن الربع فتمتمها إلى الربع تمامها، وأيضاً الفلك الأقصى له مادة، وصورة، وعقل هو العقل الأول ويقال له عقل الكل، ونفس هي النفس الأولى ويقال لها نفس الكل، فيكون مربّعاً وأول المربّعات في نظام الوجود.

وهناك وجوه أخرى يضيق ذرع المقام عن بسطها فليتعرف (انتهى). ولا يخفى عدم موافقتها لقوانين الشرع ومصطلحات أهله^(٨).

انتهى ما ذكره المجلسي، وإنهم يسمّون أمثال هذه الأقوال بالحكمة، ويسمّون أهلها أهل الحكمة. فإنّا لله وإنا إليه راجعون!

بالإضافة إلى ما ذكرناه فسر بعض العلماء القرآن بروايات إسرائيلية، وبعضهم فسره بروايات مفتراة على رسول الله (ص) دون تمحيص، وعلى أثر كلّ ذلك، التبس أمر فهم القرآن والمصطلحات الإسلامية والألفاظ اللغوية على قارئ القرآن والحديث، كما ذكرنا بعضها في كتاب (القرآن وروايات المدرستين).

خلاصة البحث

أولاً - السماء:

السماء في اللغة:

كُلُّ شَيْءٍ أَظْلَكَ فَهُوَ سَمَاءٌ، وَسَمَاءٌ كُلُّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ، وجاء ذكر السماء في القرآن الكريم بلفظ الواحد وأريد بها تارة: الجوُّ الذي يحيط بالأرض مثل قوله تعالى: أ - ﴿...الطَّيْرُ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾.

ب - ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

وأخرى أريد بها: ما علا الأرض من الكواكب والسموات السبع مثل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.

وجاءت بلفظ الجمع؛ وأريد بها السموات السبع مثل ما جاء في الآية الماضية.

ثانياً - بدء الخلق:

أخبر الله سبحانه أنَّ الماء كان مخلوقاً قبل السموات والأرض، ونفهم من الآيات أنَّه خلق الأرض من ذلك الماء، والسموات من بخار ذلك الماء وتلك الأرض، وأنَّه أتمَّ خلقها وخلق بعض الموجودات فيها ومن ضمنها ما يحتاجه الإنسان في حياته في ستة مراحل.

وأنَّه جعل كلَّ النجوم بأبعادها الضوئية تحت السماء الدنيا.

وأنَّ الله سبحانه أخبر عبداً خلق بقدر ما في الإخبار عنه حاجة لهداية الناس، ولم تكن عقول الناس تتحمَّل من بيان بدء الخلق وحقيقة الكواكب أكثر من ذلك.

وأنَّ بعض العلماء أجهدوا أنفسهم وأولوا بعض ما جاء في القرآن من وصف

السموات والكواكب بما كان معروفاً عنها في عصرهم؛ مثل تأويل معنى
السموات بالأفلاك السبعة التي كانوا يعتقدون أنها حقيقة علمية.
وكذلك فسّروا بعض الآيات بروايات إسرائيلية كانت ولا تزال متداولة بين
المسلمين، ومن ثم انتشرت رؤية غير صحيحة عن بدء الخلق وحقيقة السموات
والكواكب وغيرهما من أصناف الخلق بين المسلمين. وسوف ندرس بعضها في
البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

- ٣ -

الدَّوَابَّ

قال سبحانه وتعالى في:

أ - سورة النور:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية ٤٥).

ب - سورة الأنعام:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الآية ٣٨).

ج - سورة النحل:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ (الآية ٤٩).

شرح الكلمات

دَبَّ دَبِيحاً فهو دَابٌّ: سار سيراً خفيفاً كسير النملة.

والدَّابَّة: كل ما دَبَّ على الأرض من صنف الحيوان، والمقصود من الدَّابَّة في

الآية: كل ذي حياة يدبُّ على وجه الأرض.

تفسير الآيات:

إنَّ الله خلق كلَّ ذي حياة يدبُّ ويتحرَّك من الماء، وما من حياة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه في الجوّ إلّا وهم أمم أمثالكم؛ فالنمل أمة لها نظام حياة كما للإنسان نظام حياة، وكذلك السمك في الماء والزواحف على وجه الأرض والحشرات في بطنها، إلى أمثالها من ذوي الحياة الحيوانية أمم أمثال الإنسان؛ لكلّ نوع منه نظام حياة، وسوف ندرس إن شاء الله تعالى في البحث الثالث من (هداية ربّ العالمين) الآتي كيف هدئ الله تلکم الأمم من الدّوابّ إلى نظام حياتها.

- ٤ -

الجنّ والشّياطين

أ - الجنّ والجنان

جنّ يجنّ جنّاً: استتر، وجنّ الشيء وعلى الشيء: ستره، كما قال سبحانه:
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ (الأنعام / ٧٦).

أي فلما ستره الليل. والجنّ والجنان خلق مستتر لا يُرى، وقد أخبر الله سبحانه عنهم وقال:

أ - عن أصلهم في سورة الرحمن:

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ (الآية ١٥).

وفي سورة الحجر:

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ﴾ (الآية ٢٧).

ب - وأنهم أمم مثل الإنسان، في سورة فصلت:

﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ (الآية ٢٥).

ج - وأن سليمان (ع) استخدمهم، في سورة سبأ:

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ

عَذَابِ السَّعِيرِ* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتِهَاتِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ (الآيتان ١٢ - ١٣).

د - وأنه كان في جنود سليمان من يستطيع أن يذهب من فلسطين إلى اليمن

ويرجع قبل أن يقوم سليمان من مقامه، في سورة النمل:
﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (الآية ٣٩).

هـ - وعن عدم علمهم بالغيب، في سورة سبأ:
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾
(الآية ١٤).

و - وعن ما كانوا عليه قبل بعثة خاتم الأنبياء (ص)، في سورة الجن:
١ - ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ (الآية ٤).
٢ - ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (الآية ٧).
٣ - ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾
(الآية ٦).

ز - وعن استراقهم للسمع بعد بعثة خاتم الأنبياء (ص)، في سورة الجن:
﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلْتَثَّ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ (الآية ٨).
﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا
رَّصَدًا﴾ (الآية ٩).

ح - وعن إسلامهم، في سورة الجن:
١ - ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طِرَاقٍ قَدَدًا﴾ (الآية ١١).
٢ - ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرُّوا رَشَدًا﴾
(الآية ١٤).

ب - الشَّيْطَان

الشَّيْطَان اسم لكلِّ عاتٍ متمرّدٍ من الإنس والجنِّ والحَيوان.

قال سبحانه في:

أ - سورة الحجر:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاها لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (الآيات ١٦ - ١٨).

ب - سورة الصافات:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثاقِبٌ﴾ (الآيات ٦ - ١٠).

ج - سورة الملك:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ (الآية ٥).

د - سورة الأنعام:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَضَعِي إِلَيْهِ أُنُودَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ (الآيتان ١١٢ - ١١٣).

هـ - سورة الأعراف:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الآية ٢٧).

و - سورة الإسراء:

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ (الآية ٢٧).

ز - سورة البقرة:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الآيتان ١٦٨ - ١٦٩).
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (الآية ٢٦٨).

ح - سورة النساء:

﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُم الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الآيتان ١١٩ - ١٢٠).
ط - سورة المائدة:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (الآية ٩١).
ي - سورة الأعراف - أيضا :-

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الآية ٢٧).

ج - إبليس

١ - في اللغة:

أَبْلَسَ يُبْلِسُ مُبْلِسٌ: حزن، تحير، يشس، سكت غمًا، انقطع في حاجته، ومنه

قوله تعالى في سورة الروم:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الآية ١٢).

٢ - في القرآن الكريم:

إبليس: اسم علم للشيطان الذي استكبر وأبى أن يسجد لآدم (ع).

والمقصود من لفظ الشيطان إذا جاء في القرآن الكريم بلفظ المفرد ومع الألف واللام هو إبليس.

وقد جاء أخبار إبليس في القرآن الكريم بلفظ إبليس في قوله تعالى في:

أ - سورة الكهف:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الآية ٥٠).

ب - سورة سبأ في قصة أهل سبأ:

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ...﴾ (الآيتان ٢٠ - ٢١).

وجاء بلفظ الشيطان في قوله تعالى في:

أ - سورة الأعراف في قصة آدم (ع):

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا... * وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الآيتان ٢٠ و ٢٢).

ب - سورة يس:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الآية ٦٠).

ج - سورة فاطر:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الآية ٦).

شرح الكلمات

أ - المارج:

المرج: الخلط.

والمارج: اللهب المختلط بسواد النار.

ب - السموم:

الريح الحارة غالباً بالنهار، سُميت بذلك لأنها تنفذ في مسام الجسم وتؤثر

فيه تأثير السم.

ج - يزغ:

زاع الإنسان يزغ: مال عن القصد وانحرف عن الحق، وعن أمر الله.

ومن يزغ منهم عن أمر الله: من ينحرف منهم عن أمر الله.

د - محارب:

مفرده المحراب: صدر المجلس أو أكرم موضع فيه.

والموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعد عن الناس.

والغرفة التي فيها مقدم المعبد.

والمساجد يُتعبَّد فيها.

هـ - جفان:

جمع جَفَنَة كالقصعة وزناً ومعنى، والجفنة خَصَّت بوعاء الأطعمة.

و - الجواب:

أوانٍ للطعام كأحواض الماء في الكبر والسعة.

ز - راسيات:

جمع راسية: ثابتة الأصل راسخة، وجمعها راسيات.

ح - العفريت: أقوى الجن وأخبثه.

ط - رَصَدًا:

رَصَدَهُ رَصْدًا ورَصَدًا: قعد له على الطريق، وتنبأ لمراقبته، فهو راصد.
والرَّصْد: الحرس.

وفي الآية رَصْدًا: أي راصدًا له.

ي - طرائق:

جمع طريقة: الحال والسيرة؛ حسنة كانت أو سيئة.

ك - قَدَدًا:

القِدَّةُ: الجماعةُ المختلفةُ آراؤها، وجمعها: قِدَدٌ.

وطرائق قَدَدًا: أي جماعات اختلفت أهواؤهم ومشاربهم.

ل - القاسطون:

قَسَطَ: جار واحد عن الحق فهو قاسط أي ظالم، والقاسطون من الجن:

الظالمون منهم الذين لم يُسَلِّمُوا.

وأَقْسَطَ: عَدَلَ.

م - رَشَدًا:

أي سددًا وبعْدًا عن الغي والضلال.

ن - السَّفِيه:

الجاهل في الدين أو النزق الخفيف عقله.

س - شَطَطًا:

شَطَّ: بعد وافرط في البعد، وشَطَّ عليه: جار عليه.

والشَّطَطُ: الإفراط في البعد والتجاوز عن الحد.

وقلنا على الله شططًا: أي قلنا على الله جوراً وبعْدًا عن الحق بافراط.

ع - يعوذون:

يعوذ به: يلتجئ إليه ويتعلق به.

ف - رَهَقًا:

رَهَقَ رَهَقًا: سَفِهَ وَطَغَى.

وَرَهَقَهُ الْمَكْرُوهُ: غَشِيَهُ، وَرَهَقَتِ الذَّلَّةُ: غَشِيَتْهُ الذَّلَّةُ.

وَزَادُوهُمْ رَهَقًا: زَادُوهُمْ طَغْيَانًا وَسَفَهَا وَذَلَّةً.

ص - دَابَّةُ الْأَرْضِ:

دَبَّ دَبًّا وَدَبِيبًا: مَشَى مَشْيًا رَوِيدًا خَفِيفًا.

وَالدَّابَّةُ: اسْمٌ لِكُلِّ حَيْوَانٍ ذَكَرًا كَانَ أَوْ اُنْثَى عَاقِلًا أَوْ غَيْرَ عَاقِلٍ، وَغُلَبَ

عَلَى غَيْرِ الْعَاقِلِ.

وَالْمُرَادُ مِنْ دَابَّةِ الْأَرْضِ هُنَا: الْأَرْضُ الَّتِي تَأْكُلُ الْخَشَبَ.

ق - مَنَسَّاتُهُ:

نَسَأَ الدَّابَّةُ: زَجَرَهَا وَحَثَّهَا عَلَى السَّيْرِ.

وَالْعَصَا الَّتِي يُنَسَأُ بِهَا الدَّابَّةُ: الْمَنَسَاةُ.

ر - الْغَيْبُ:

الْغَيْبُ: مَا لَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِ، وَمَاسْتَرٌ عَنِ الْحَوَاسِ.

وَمِثَالُ مَا لَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِ وَجُودَ الْإِلَهِ الْخَالِقِ وَالرَّبِّ الْمَرْبِيِّ الَّذِي يَتَعَلَّمُهُ

الْإِنْسَانُ بِعَقْلِهِ، وَإِعْمَالُهُ التَّدَبُّرُ فِي الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ.

وكَذَلِكَ بَعْضُ صِفَاتِ اللَّهِ وَعَوَالِمِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ الَّلَاتِي يَتَعَلَّمُهَا الْإِنْسَانُ

بِإِخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ عَنْهَا.

وَمِثَالُ الْمُسْتَوْرٍ عَنِ حَوَاسِ النَّاسِ: الْحَوَادِثُ الْكَائِنَةُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَوِ الْوَاقِعَةُ

فَعَلًا فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنِ الْإِنْسَانِ وَالَّتِي تَصِلُ إِلَى الْإِنْسَانِ بِإِخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ

كُلِّيْهَا، أَوْ بِإِخْبَارِ النَّاسِ عَمَّا وَقَعَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنِ الْإِنْسَانِ.

ش - رُجُومًا:

مَفْرَدَةُ الرَّجْمِ، وَالرَّجْمُ: وَهُوَ مَا يُرْجَمُ بِهِ.

ت - زُخْرُفُ:

زَخَرَفَ القول: زَيَّنَه بالكذب.

ث - يوحى:

الإيحاء بمعنى: الوسوسة.

خ - غُرُوراً:

غَرَّهُ غُرُوراً: خدعه وأطمعه بالباطل.

ذ - يَقْتَرِفُ وَمُقْتَرَفُونَ:

يقترف الحسنة أو السيئة: يعملها فهو مقترف.

ض - مُبَذِّرِينَ:

بَذَرَ المالَ تَبْذِيراً: ضَيَّعَهُ تضييعاً، وفرقه إسرافاً ووضعهُ في ما لا ينبغي أن

يضعه فيه، فهو مبذر، وهم مبذرون.

ظ - خُطُوات الشيطان:

خطا إلى الشيء: مشى إليه.

والخُطوة: مسافة ما بين القدمين.

ولا تتبعوا خطوات الشيطان: أي لا تقتفوا آثاره وتعملوا بوساوسه.

غ - الفَحْشاء:

الفَحْشاء: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، ويستعمل في المصطلح

الإسلامي أحيانا في الذنوب القبيحة.

آ - المَيْسِر:

القمار، وكان قمار العرب في الجاهلية بالأزلام والقداح.

والأزلام: جمع زَلَمَ: قطع من الخشب مثل السهام كانوا يكتبون على أحدها

أمرني ربِّي، وعلى الثاني نهاني ربِّي، وكان الثالث غفلاً لا كتابة عليه، فإذا خرج

ما عليه الأمر فعلوا، وما عليه النهي، امتنعوا، والغفل أجالوا الأزلام مرة أخرى.

وكانت الأزام لقريش في الجاهلية تضعها في الكعبة يقوم بها سدنة البيت.
والقِداح: جمع قدح: قطعة من الخشب طول المتر أو دونه، تعرض قليلاً
وتسوَّى لا أو نعم أو يغفل ويقرع بها.

با - سَوَّاهُمَا:

عوراهُمَا.

جا - القَبِيل:

الصنف المماثل، والجيل، والجماعة، والأتباع.

حا - فَسَقَ:

أ - في اللغة:

فسقت الرطبة من قَشَرِها: إذا خرجت، وفسق فلان ماله إذا أنفق وأهلكه.

ب - في المصطلح الاسلامي:

الْفِسْقُ: الإفحاش في الخروج عن طاعة الله وحدود شرعه.

وَالْفُحْشُ: ما عظم قبحه من الأعمال والأقوال، والفسق يعم الكفر والنفاق

والضلال، كما قال سبحانه:

أ - ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾. (البقرة / ٩٩)

ب - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. (التوبة / ٦٧)

ج - ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. (الحديد / ٢٦).

ويقابل الإيمان كما قال تعالى:

﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. (آل عمران / ١١٠).

٣ - الجن في التفسير بالمأثور:

روى السيوطي في تفسير سورة الجن وقال:

(لم تحرس الجن في الفترة بين عيسى ومحمد، فلما بعث الله محمداً صلى

الله عليه وسلّم حرست السماء الدنيا ورميت الجن بالشهب، فاجتمعت إلى إبليس فقال: لقد حدث في الأرض حدث فتعرّفوا فأخبرونا ما هذا الحدث؟ فبعث هؤلاء النفر إلى تهامة وإلى جانب اليمن وهم أشراف الجن وساداتهم، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلّم يصلي صلاة الغداة بنخلة فسمعوه يتلو القرآن، فلما حضروه قالوا أنصتوا، فلما قضى (يعني بذلك أنه فرغ من صلاة الصبح) ولّوا إلى قومهم منذرين مؤمنين لم يشعر بهم حتى نزل: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، يقال: سبعة من أهل نصيبين).

* * *

كان ذلكم بعض ما جاء من امر الجن والشیاطین وابلیس فی القرآن الکریم، وجاء فی الروایات ما یأتی:

أ - عن الإمام الباقر (ع)، أنه قال في سليمان (ع):

إن سليمان بن داود، قال ذات يوم لأصحابه: إن الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، سخّر لي الريح، والإنس، والجن، والطير، والوحوش، وعلمني منطق الطير، وآتاني من كل شيء، ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تم لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد، وأصعد أعلاه، وأنظر إلى ممالكه، فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلا يرد عليّ ما ينقص عليّ يومي، قالوا: نعم.

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره، ووقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتي، فرحاً بما أعطي، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره.

فلما بصر به سليمان (ع) قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم؟ فبأذن من دخلت؟ فقال الشاب: أدخلني هذا القصر ربّه وبأذنه دخلت، فقال: ربّه أحقّ به مني، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال (ع): وفيما

جنت؟ قال: جنت لأقبض روحك، قال: إمض لما أمرت به، فهذا يوم سروري
أبى الله عز وجل أن يكون لي سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو
متكى على عصاه.

فبقي سليمان متكئاً على عصاه وهو ميت ماشاء الله والناس ينظرون إليه
وهم يقدرون أنه حي، فافتتنوا به واختلفوا، فمنهم من قال: إن سليمان قد بقي
متكئاً على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب؟ إنه
لربنا الذي يجب علينا أن نعبد، وقال قوم: إن سليمان ساحر، وإنه يرينا أنه
واقف متكى على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك، فقال المؤمنون: أن سليمان
هو عبدالله ونبيه يدبر الله أمره بما يشاء.

فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الأرضة فدبت في عصاه، فلما أكلت جوفها
انكسرت العصا وخر سليمان من قصره على وجهه، وذلك قول الله عز وجل:
﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ
الْمُهِينِ﴾^(٣٣) (سبا ١٤).

ب - عن الامام الصادق (ع) :

عندما سئل: لأي علة خلق الله عز وجل آدم (ع) من غير أب ولا أم؟
وخلق عيسى (ع) من غير أب؟ وخلق سائر الناس من الآباء والأمهات؟
قال: «لِيَعْلَمَ النَّاسُ تَهَامَ قُدْرَتِهِ وَكِبَالَهَا، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً
مِنْ أَنْثَى مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ، كَمَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أَنْثَى، وَأَنَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٣٤).

وفي قصص الأنبياء قال:

(٣٣) البحار للمجلسي، ط. طهران، ١٤ / ١٣٦ - ١٣٧ عن علل الشرائع، ص: ٣٦، وعيون

أخبار الرضا، ص: ١٤٦.

(٣٤) البحار للمجلسي، ١١ / ١٠٨.

أمر إبليس بالسجود لآدم، فقال: يارب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله جلّ جلاله: إنّي أحب أن أطاع من حيث أريد... الحديث (٣٥).

وسئل عن إبليس:

أكان إبليس من الملائكة أم من الجنّ؟

فقال: كانت الملائكة ترى أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها. فلما أمر بالسجود، كان الذي كان (٣٦).

وسئل عن جنة آدم فقال:

جنة من جنان الدنيا يطلع عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً (٣٧).

وقال في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّتْ لَهَا سَوَاءُتُهُمَا﴾ (طه ١٢١). كانت سَوَاءُتُهُمَا لا تُرَى فَصَارَتْ تُرَى بَارِزَةً (٣٨).

سأل الزنديق أبا عبد الله (ع)، قال:

فمن أين يصل الكهانة؟ ومن أين يخبر الناس بما يحدث؟

قال (ع): إنّ الكهانة كانت في الجاهلية في كلّ فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأمور بينهم، فيخبرهم بأشياء تحدث، وذلك في وجوه شتى، من فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس وفطنة الروح، مع قذف في قلبه، لأنّ ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة، فذلك يعلمه الشيطان ويؤدّيه إلى الكاهن ويخبره بما يحدث

(٣٥) البحار للمجلسي، ١١/١٤٥.

(٣٦) البحار للمجلسي، ١١/١٤٤.

(٣٧) البحار للمجلسي، ١١/١٤٣.

(٣٨) البحار للمجلسي، ١١/١٤٥.

في المنازل والأطراف.

وأما أخبار السماء؛ فإن الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك وهي لا تحجب ولا ترجم بالنجوم، وإنما منعت من استراق السمع لئلا يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء، ويلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله لإثبات الحجّة ونفي الشبهة.

وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثم يهبط بها إلى الأرض فيقذفها إلى الكاهن، فإذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحقّ بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر ممّا كان يخبر به فهو ما أدّاه إليه شيطانه ممّا سمعه، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه، فمذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة.

واليوم: إنّما تؤدّي الشياطين إلى كهّانها أخباراً للناس ممّا يتحدّثون به وما يحدثونه، والشياطين تؤدّي إلى الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث؛ من سارق سرق، ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضاً صدوق وكذوب.

فقال: كيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود (ع) من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟ قال (ع): غلظوا لسليمان كما سخرُوا، وهم خلق رقيق غذاؤهم التنسّم، والدليل على ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الإرتقاء إليها إلّا بسلم أو سبب^(٣٩).

وقال الامام الصادق في الآباء:

الآباء ثلاثة: آدم؛ ولد مؤمناً، والجآن ولد كافراً، وإبليس ولد كافراً، وليس

(٣٩) البحار للمجلسي، ٦٣ / ٧٦ - ٧٧، عن الاحتجاج، ص: ١٨٥.

فيهم نتاج إنما يبيض ويفرخ وولده ذكور ليس فيهم إناث^(٤٠).
وسئِلَ (ع) عن إبليس:

أكان من الملائكة؟ وهل كان يلي من أمر السماء شيئاً؟
قال (ع): لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي من السماء شيئاً. كان من الجنّ
وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة تراه أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها،
فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان^(٤١).

خلاصة البحث

الجنّ والشيطان وإبليس:

أ - الجنّ:

جنّ الشيء وجنّ عليه: ستره، والجنّ والجنان: خلق مستور لا يرى. وأخبر
الله في كتابه الكريم أنّه تعالى خلقهم من لهيب النار المختلط بالسواد.
ب - الشيطان:

الشيطان اسم لكلّ عاتٍ متمرّد من الإنس والجنّ والحيوان. والمقصود من
الشيطان في هذا البحث شياطين الجنّ.
ج - إبليس:

أبلس: حزن، تحير، يئس، سكت غماً، انقطع في حجته. وإبليس في هذا
البحث هو المخلوق الجنّي الذي أبى أن يسجد لآدم.
وأخبر الله عن الجنّ أنّه سخرهم لسليمان فعملوا له تماثيل ومحاريب وقدوراً
كبيرة، وكان فيهم من يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام قبل

(٤٠) الخصال للشيخ الصدوق، ١/١٥٢.

(٤١) البحار للمجلسي، ١١/١١٩.

أن يقوم سليمان من مقامه، وأشرف عليهم متّكناً على عصاه، فتوفاه الله وبقي كذلك بعد الموت والجآن دائبون في عملهم لم يعلموا بذلك، حتى أكلت الأرضة جوف عصاه فسقط، وبذلك عُلِمَ أَنَّ الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا معذبين في عملهم كلّ تلك المدة.

وأخبر تعالى عن الشياطين أنّهم من الجنّ وأنهم كانوا يقعدون مقاعد لاستماع حوار الملائكة، ثم منعهم الله من ذلك برمي الملائكة أيّاهم بشهب تحرقهم. وكان ذلك بعد بعثة خاتم الأنبياء.

وأخبر عن إبليس أنّه وسوس لآدم وحواء حتّى أخرجهما من الجنّة. كما يأتي تفصيله في البحث الآتي بحوله تعالى.

الإنسان

أخبر الله تعالى عن بدء خلق الإنسان وقال سبحانه في:
أ - سورة الصافات:

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (الآية ١١).

ب - سورة الحجر:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الآية ٢٦).

ج - سورة الرحمن:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (الآية ١٤).

د - سورة السجدة:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَاتَشْكُرُونَ﴾ (الآيات ٧ - ٩).

هـ - سورة الحج:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (الآية ٥).

و - سورة المؤمنون:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ *
ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ
لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ *
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (الآيات ١٢ - ١٦).

ز - سورة غافر:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ
لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الآية ٦٧).

ح - سورة الطارق:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ
وَالْتَّرَائِبِ﴾ (الآيات ٥ - ٧).

ط - سورة الزمر:

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الآية ٦).

ي - سورة الأنعام:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ (الآية ٩٨).
وبشأن انتقال آدم وحواء وإبليس من حال إلى حال قال الله سبحانه في:
أ - سورة طه:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ
فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ
فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ
وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى * فَاكْلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لهما سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ

الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿ (الآيات ١١٥ - ١٢٤).

ب - سورة الأعراف:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿ (الآيات ١١ - ٢٥).

ج - سورة الإسراء:

﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا حَتَنَ لَكَ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَأَسْتَفِزُّ مَنْ أَسْطَظَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجَلَكَ وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا * (الآيات ٦١ - ٦٥).

د - سورة الحجر:

﴿قَالَ رَبُّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الآيات ٣٩ - ٤٣).

شرح الكلمات

أ - لازب:

لَزَبَ الطِّينُ: اشتدَّ وتهاست أجزاءه فهو لازب.

ب - صَلَّال:

صَلَّلَ الشيء: صَوَّتَ صوتاً فيه ترجيع. يقال: صَلَّلَ الجرس، وصلَّلَ الرعد. والصلَّال كل ما جفَّ من طين قبل أن تصيبه النار ويصير فخاراً وخزفاً.

ج - حَمَأ:

الحَمَأ: الطين الأسود الممتلئ.

د - مَسْنُون:

سَنَ الشيء: تَغَيَّرَ رائحته، صب في قالب فهو مسنون.

هـ - مُخَلَّقة:

خَلَقَ العود: سَوَّاه، فالعود مخلَّق، والخشبة مخلَّقة، ومخلَّقة وغير مخلَّقة: أي

تامة الخلق وغير تامة.

و - الصُّلْبُ والترائبُ:

صُلْبُ الرَّجُلِ : عظام ظهره الفقارية، وترائب المرأة عظام صدرها العلوية.
واكتشف ذلك العلم في عصرنا، وأشار اليه المجلسي (ره) في البحار^(٩).

ز - وسوس ووسوسة:

الْوَسْوَسَةُ: الخطوة الرديئة، الدعوة للقيام بأمر بصوت خفي، حديث النفس وهو ما يخطر بالبال ويهجس بالضمير، وإغراء الشيطان الإنسان بالشر.
تفسيره في قوله تعالى:

أ - ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (الأنعام ٤٣).

ب - ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (الأنفال ٤٨ والنحل ٦٣ والنمل ٢٤ والعنكبوت ٣٨).

ح - السوءة:

ما يقبح إظهاره وينبغي ستره، والسوءات؛ هنا كناية عن عورة الإنسان.
ط - عَزْمًا:

العَزْمُ: الصبر، يقال: مالي عنك عزم: أي صبر، ومنه الجد، والعزم - أيضا :-
عقد القلب على إمضاء الأمر.

ي - الجنة:

الجنة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض. وقد جاء بهذا المعنى

في قوله تعالى في:

أ - سورة الإسراء:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبوعًا* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ

(٩) راجع تفسير الآية بتفسير سيد قطب والبحار للمجلسي (ره).

مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا
كَيْفًا... ﴿ (الآيات ٩٠ - ٩٢).

ب - سورة سبأ:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ
رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ... * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا
وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿ (الآيات ١٥ - ١٧).

ك - الخَمْطُ:

الخَمْطُ: هو كل نبت له طعم مرّ أو حموضة تعافه النفس.

ل - أثَلٍ:

الأَثَل: شجر طويل مستقيم جيد الخشب، كثير الأغصان، متعدد العقد،
دقيق الورق طويله، وثمره حب أحمر لا يؤكل.

وُسُمِّيَتِ الْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ جَنَّةً: لشبهها بالجنة في الأرض وإن كان بينهما
بون شاسع، وتوصف جنة الآخرة بجنة الخلد لأن الداخل فيها مخلّد، ولذلك
يصف الله أهل الجنة بالخالدين. كما جاء في قوله تعالى في:

أ - سورة الفرقان:

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ... * لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
خَالِدِينَ ﴿ (الآيتان ١٥ و ١٦).

ب - سورة البقرة:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿
(الآية ٨٢).

وكذلك وجدنا الجنة استعملت في القرآن الكريم بكلا المعنيين.

أما الجنة التي أسكن الله آدم (ع) فيها ثم أهبطه منها بعد أكله من الشجرة التي نهاه عنها فقد كانت من جنان الدنيا، كما سنذكر ذلك بُعِيدَ هذا في بحث (أين كانت جنة آدم (ع) ؟) إن شاء الله تعالى.

م - تَضْحَى:

ضَحَى الرَّجُلُ: أصابه حر الشمس.

ن - غَوَى:

من معانيه: فسد عيشه، وهو المقصود في الآية.

س - طَفِقَا:

طفق يفعل كذا: أخذ يفعله.

ع - يَخْصِفَان:

خَصَفَ الشَّيْءُ عَلَى الشَّيْءِ: ألصقه به.

ف - ضَنَكَا:

ضَنَكَ عَيْشُهُ: ضاق.

ص - وُورِي:

واراه مواراةً: ستره وأخفاه.

ق - دَلَّاهُمَا:

دَلَّى الشَّيْءُ فِي الْمَهْوَاةِ: أرسله فيها، ودَلَّاهُ بغير و: أوقعه فيها أراد من تفريره.

ر - لَأَحْتَنِكَنَّ:

احتنك الفرس: جعل في حنكه - فمه - اللجام.

ش - اهْبِطُوا:

الهبوط في الإنسان: يكون على سبيل الاستخفاف، بخلاف الإنزال، فقد

ذكره الله فيما نبّه على شرفه كإنزال الملائكة والقرآن الكريم والمطر.

يقال: هبط في الشر: وقع فيه، وهبط فلان: ذلّ واتضع، وهبط من حال الغنى

إلى حال الفقر، وهبط من منزلته: سقط.

ت - استفرز:

الاستِفْرَازُ: الازعاج والاستنهاض بخفة وإسراع.

ث - بِصَوْتِكَ:

صَوْتُ فلان بفلان: إذا دعاه إلى الشر.

والمعنى: اسْتَنْهَضُ منهم للمعصية من استطعت أن تستنهضه من ذرية آدم

بوسوستك.

خ - وأجلب عليهم:

الإِجْلَابُ: السوق من السائق.

والجَلْبَةُ: شدة الصوت.

ذ - بخيلك وَرَجْلِكَ:

بفرسانك. ورجل اسم جمع للراجل، أي: اجمع عليهم ما قدرت عليهم

من مكائذك وأعوانك.

ض - وشاركهم في الأموال والأولاد:

وشاركهم في الأموال المكتسبة من الحرام والأولاد من الزنا.

ظ - وَعِذُّهُمْ:

وعدهم الباطل كنفي البعث.

غ - سلط:

سلط: السَّلاطَةُ: التمكن من القهرة والغلبة والقدرة. ويُقال لذي السَّلاطَةِ

السلطان.

ويأتي بمعنى: الحجّة والبرهان كما في قوله تعالى: ﴿أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ

سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (الأعراف ٧١).

والمعنى في ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي ليس لك القدرة

والقهر والغلبة عليهم.

تفسير الآيات

أخبر الله سبحانه في الآيات الماضية أنه تعالى بدأ خلق الإنسان - الإنسان الأول - من طين أسود نتن الرائحة صلب متماسك الاجزاء كالفخار له صليل من صلابته، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، ثم خلقه علقة وخلق من العلقة مضغة وخلق من المضغة عظاماً وكسا العظام لحماً، ثم أنشأ خلقاً آخر ونفخ فيه من روحه، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم أخرجه طفلاً ليلبغ أشده، وعندئذ جعل منه الزوجين الذكر والأنثى وجعلهما من نفس إنسانية واحدة وإن تفاوتت وظائفهما في الحياة الدنيا، ثم ليلبغا الشيخوخة وأرذل العمر، ثم يميتهما ويدخلان الأرض، ثم يُخَرَّجان من الأرض يوم القيامة إلى المحشر لِيُجْزَيَا بعملهما وفق حكمة الربّ العزيز العليم.

امتحان الله للخلق ذي العقل:

أولاً - امتحن الله الملائكة ومعهم إبليس بالسجود لآدم (ع) خليفته في الأرض، ويشعر كلام الملائكة أنهم فهموا أن المخلوق الأرضي يسفك الدماء لما سبق ذلك من مخلوق كان على الأرض وأمرهم الله بإهلاكه، كما ورد ذلك في الروايات^(١٠).

ولما أعلمهم الله بما منح هذا المخلوق من العلم وأمرهم بالسجود له سجدت الملائكة لآدم (ع) وأبى إبليس واستكبر عن السجود واحتجّ بأن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين. فأخفق في الامتحان.

(١٠) ستأتي الإشارة إليه في روايات بدء الخلق عن الأوصياء.

ثانياً - آدم وحواء:

خلق الله لآدم (ع) زوجة حواء، وأسكنهما جنة لم تكن بجنة الخلد وقال لهما: كُلا من هذه الجنة حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، وأخبر آدم أنه لا يجوع في تلك الجنة ولا يعرى، وحذّره من إبليس وقال له: إنّ هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى، فزَيّن لهما الشيطان أكل الشجرة المنهي عنها ليبيدي ما أخفي من سوءاتها - عورتيهما -، وأوهمهما أنّهما إن ذاقا الشجرة تغيّرت حالهما إلى حال الملائكة وأصبحا من الخالدين، وحلف لهما بالله على ذلك، وظنّ آدم وحواء أنّ أحداً لا يقدر على الحلف بالله كاذباً، فأوقعهما في الباطل وذاقا الشجرة فبدت سوءاتها، وأخذا يستتران عورتيهما بورق أشجار الجنة، فناداهما ربّهما: ألم أنهيكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إنّ الشيطان لكما عدو مبين؟ قالوا: ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

أين كانت جنة آدم؟

أخبر الله سبحانه أنّه جاعل خليفة في هذه الأرض، ومن أديم هذه الأرض أخذ التراب الذي خلق منه آدم، وكذلك على هذه الأرض أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأبى إبليس السجود لآدم وكذلك أدخل آدم جنة في هذه الأرض ولم ينقل آدم من هذه الأرض إلى مكان آخر بعد خلقه منها، وأمر الملائكة بالسجود له في ذلك المكان، ولم ينقله من هذه الأرض إلى جنة الخلد ليكون إخراجهم من جنة الخلد إلى هذه الأرض.

ودليلنا على ذلك بالاضافة إلى ما يدلّ عليه ظاهر الآيات أنّ الذي يدخل جنة الخلد يخلد فيها ولن يخرج منها كما تصرّح بذلك الروايات^(١١).

(١١) ستأتي الإشارة إليه في روايات بدء الخلق عن الاوصياء.

ونرى أن تلك الجنة كانت في العراق من الجزيرة العربية وأنه صحّ مانقله صاحب كتاب قاموس الكتاب المقدس عن كثرة من العلماء أن الجنة كانت في أرض الفرات^(١٢).

ويؤيد ذلك أن التوراة نصّت على تفرّع نهر جنة آدم إلى أربعة فروع، هي: نهر الفرات ودجلة وجيحون وفيشون^(١٣).

وجاء في كتاب قاموس الكتاب المقدس إن بعض الباحثين يحتمل أن جيحون وفيشون في بابل^(١٤).

إذن ليس المقصود من جيحون نهر جيحون الذي يصبّ في بحيرة بالقرب من بلدة خوارزم والذي ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان.

ولما هبط آدم (ع) من الجنة سكن بابل الفرات، ولما توفيّ دفنه شيث في مغارة في جبل أبي قبيس في مكة، ثم حمل نوح عظامه في سفينته^(١٥) ودفنه بعد نزوله من السفينة في النجف^(١٦).

وبناءً على ذلك نرى أن خروج آدم (ع) كان من جنة كانت بالعراق، ولما

(١٢) قاموس الكتاب المقدس، مادة: عدن.

(١٣) كتاب العهد العتيق (التوراة) طبعة ريجارد واطس لندن ١٨٣٩، سفر التكوين،

الإصحاح الثاني، العدد: ١٠ - ١٤.

(١٤) قامول الكتاب المقدس، مادة: جيحون وفيشون.

وقد كتب إلي الأستاذ البعّانة سامي البدر في بحثه المخطوط عن جنة آدم:

إنّ الأنهار الأربعة الآنفة الذكر فروع للفرات، وقد ذكر أنّه استند في بحثه على الترجمات الآرامية للتوراة العبرية والسامرية وعلى متابعة أسماء فروع الفرات والمدن الواقعة عليها في التراث المسامري والهيريوغليفي مضافاً إلى دراسة الواقع الجغرافي لفروع نهر الفرات وأسمائها في بلدانيات الإسلاميين.

(١٥) البحار ١١ / ٢٦٧.

(١٦) البحار (١١ / ٢٦٨).

هبط منها، تحوّل إلى أرض قريبة منها في العراق، وأنّه أخذ معه من أشجار تلك الجنة أغراساً ومن حبوبها بذوراً غرس بها الأشجار وزرع بها الحبوب، بتعليم الله إياه كما صرّحت الروايات بذلك^(١٧).

أمّا سكناه في العراق فقد جاء في مادة (بابلليون) من معجم البلدان: (فذكر أهل التوراة أنّ مقام آدم (ع) كان ببابل) وبابل أراضٍ كانت بين الفرات ودجلة، وفي مادة بابل من قاموس الكتاب المقدّس ماموجزه كانت المياه - مياه الفرات ودجلة - تجري في جميع أراضيها، لذلك كانت أراضيها مشهورة بالخصب وتنتج أنواع الفواكه والحبوب، وكان اسمها القديم شنعار (سفر التكوين: الأصحاح ١٠ و ١١) ومادة شنعار من قاموس الكتاب المقدّس.

وفي مادة بابل من معجم البلدان أنّ بعضهم قال: إنّ بابل هي الكوفة وإنّ نوحاً بعد أن خرج من السفينة سار هو ومن معه في طلب الدفء وسكنوا ببابل وكثروا بها من بعد نوح.

وأما دفن آدم فقد جاء في روايات مدرسة الخلفاء أنّ نوحاً دفنه ببيت المقدس وفي روايات مدرسة أهل البيت أنّه دفنه في النجف في المكان الذي دفن فيه جثمان الامام عليّ بعد ذلك وإنّ نوحاً (ع) - أيضاً - دفن هناك، ويؤيّد كون سكن آدم في العراق ماجاء في الروايات الآتية:

أولاً - إنّ آدم (ع) حجّ إلى مكة ووقف بالمشاعر، وإنّ توبته قبلت في عرفة، وإنّه التقى بعد ذلك بحواء في مكة وإنّ الله أمره ببناء البيت، ويستبعد أن يؤمر بالحج من قارة بعيدة مثل الهند، كما جاء ذلك في بعض الروايات التي لم تثبت لديّ صحتها^(١٨).

(١٧) البحار ١١ / ٢١٠ و ٢١١.

(١٨) البحار ١١ / ١٧٠، ١٨٠، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١١.

ثانياً - جاء في روايات أخرى أنه دفن في الغري من أرض النجف^(١٩)، وقد ورد في روايات دفن خاتم الأنبياء (ص): أن كلّ نبي يدفن في المكان الذي قبض فيه^(٢٠).

من مجموع ما ذكرناه يتأيد لنا؛ أن جنة آدم (ع) كانت في أراضي الفرات، وأنه لما أخرج منها هبط قريباً منها، وعندئذ أبس الله تلك الجنة، وأزالها من الوجود، وأحيا آدم (ع) مكاناً آخر بالغرس والزرع، والله أعلم.

نُقْلَةٌ من حالٍ إلى حالٍ أولاً - الملائكة ومعهم إبليس:

كانت الملائكة ومعهم إبليس يعبدون الله ويطيعونه في ما يأمرهم في السموات والأرض ولا يعصونه طرفة عين. حتى أخبرهم تعالى بأنه جاعل في الأرض خليفة فاستعلموه عن الحكمة في خلقه، فلما أنبأهم بالحكمة في أمره وأمرهم بالسجود له أطاعوه كما كان شأنهم في طاعة سائر أوامره، ماعداً إبليس الذي كان يطيع الله في سائر أوامره اللاتي كانت لا تخالف هوى نفسه ولا تصطدم بكبريائه. أمّا في أمر السجود لآدم (ع) فقد أطاع هوى نفسه وعصى أمر ربه وبذلك انتقل بمحض اختياره من درجة: من لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون، إلى درجة: من يصغي إلى هوى نفسه ويعصي الله، فكان جزاء عمله: أن أهبطه الله تعالى من درجة الملائكة، وقال له:

﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ (الأعراف ١٣) ..

وفي هذه المنزلة لم يندم على معصيته للرب ولم يتب إليه ولم يطلب منه المغفرة

(١٩) البحار ١١ / ٢٦٨.

(٢٠) ابن سعد ٢ / ق، ٧١ / ٢، وسنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قتلى أحد،

بل هوئى بمحض اختياره إلى أدنى من هذه المنزلة حيث طلب من الله وقال:
﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَتَعَثَّونَ﴾ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٤﴾ (الأعراف ١٤ - ١٥).

وبعد تحصيله الوعد بقضاء حاجته حدّد اللّعين منزلته أمام بارئه بمحض
اختياره وقال: أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَأُجْعَلَنَّ اللَّجَامَ فِي حَنَكِ ذَرِيَّتِهِ
وَلَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَزِنُ لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ - السَّيِّئَةُ - وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ.

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِذْ هَبْ فَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ فَأَنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا﴾ (الإسراء ٦٣).

هكذا انتقل إبليس بمحض اختياره من درجة الملائكة الذين لا يعصون
الله ما أمرهم، إلى درجة من يعصون الله ما أمرهم.

ولم يذهب في هذه الدرجة مع من يندمون على المعصية ويتوبون إلى ربّهم
بل انحدر بمحض اختياره إلى درجة الحضيض درجة من يُضِلُّ الخلق ويُصِرُّ على
إضلالهم أبد الدهر.

ثانياً - آدم وحواء:

بعد أن أتمّ الله خلق آدم وأسجد له الملائكة وخلق حواء ثمّ أسكنهما الجنة.
ولا بدّ أن تكون تلك الجنة على هذه الأرض لأنّ الله سبحانه خلق آدم من
طين هذه الأرض ومؤهلاً للحياة على هذه الأرض ولم يرد نصّ في الكتاب والسنة
أنّ الله نقل آدم بعد خلقه من هذه الأرض إلى جنة في كوكب آخر، ثمّ أعاده مرة
ثانية إلى هذه الأرض، فلا بدّ كما قلنا أن تكون تلك الجنة على هذه الأرض غير
أنّه يظهر أنّ تلك الجنة كانت فريدة في بابها وخاصّة بتلك المرحلة من مراحل
تكوين آدم وحواء وانتهى وجودها - والله أعلم - بانتهاء تلك المرحلة، وامتنازت
تلك الجنة بها أخبر الله عنها وقال لآدم:

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِي الْجَنَّةِ وَلَا تَعْرَى، وَلَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا يَصِيبُكَ حَرُّ الشَّمْسِ.

وقال له ولحواء:

كُلَا مِنْ هَذِهِ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ لِنَفْسِكُمَا.

وعهد إلى آدم أن الشيطان عدو له ولزوجه فلا يخرجَهما من الجنة. فَنَسِيَ آدم عهد الله بما كرر له الشيطان اليمين بالله أنه ناصح له وأصغى هو وحواء بمحض اختيارهما إلى وسوسة الشيطان فانتقلا مختارين من حالة الاعتصام بقول الله إلى حالة التأثر بالوسوسة، وكان جزاء عملهما الهبوط من الجنة إلى هذا العالم عالم حياة الكدح والتعب والتكليف والتهيؤ للانتقال إلى عالم الخلد، في نعيم الجنة أو عذاب الجحيم.

وكذلك قبل الإنسان حمل الأمانة التي أخبر الله سبحانه وتعالى عنها وقال في سورة الأحزاب:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الآيتان ٧٢ - ٧٣).

والمراد بالأمانة هنا - والله أعلم - التكاليف الإلهية للإنسان والتي يلزمها التحلي بقوى النفس الإنسانية.

والمراد بعرضها على السموات والأرض عرضها على غير المكلفين من الخلق، وكان ذلكما العرض والقبول مقدّمة لاتخاذ المخلصين لله والمصطفين من الناس.

وعلى هذا فإن معصية آدم كانت في حمله الأمانة التي كان من آثارها التأثير

بوسوسة الشيطان؛ وقد كان كلّ ذلك في مرحلة من مراحل خلق آدم (ع) لا تشبه المرحلة الأخيرة من خلقه في عالمنا الأرضي وقبل هبوطه المعنويّ من تلك الجنة الفريدة والخاصّة بتلك المرحلة إلى خارجها من هذه الأرض في سلسلة مراحل التكوين والإنشاء. والانبياء معصومون عن إتيان المعصية في هذا العالم وإنّ آدم (ع) هبط إلى هذا العالم الذي خلق له بمحض اختياره، وعليه فإنّ معصية آدم (ع) تجسيد لذلك الأمر المعنوي والله أعلم.

شرح الآيات وتفسيرها من الروايات

أولاً - عن الرسول (ص):

روى أحمد وابن سعد وأبو داود والترمذي بسندهم عن رسول الله (ص)،
قال:

إنَّ الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم
على قدر الأرض، فجاء منهم: الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك...
الحديث^(٢١).

روى ابن سعد عن رسول الله (ص) ماموجزه:

لَمَّا رَكِبَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ بَدَتْ لَهُ عَوْرَتُهُ فَكَانَ لَا يَرَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ^(٢٢).

عن الصدوق في الخصال بسنده عن رسول الله (ص) قال:

إِنَّمَا كَانَ لَبِثُ آدَمَ وَحَوَّاءَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى أُخْرِجَا مِنْهَا، سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنْ أَيَّامِ
الدُّنْيَا، حَتَّى أَهْبَطَهُمَا اللَّهُ مِنْ يَوْمِهِمَا ذَلِكَ^(٢٣).

(٢١) سنن الترمذي، ١١/١٦، ح: ١، من تفسير سورة البقرة، وسنن أبي داود، كتاب السنة،
باب في القدر، ح ٤٦٩٣، ٤/٢٢٢. ومسند أحمد: ٤/٤٠٠ وطبقات ابن سعد، ط أوروبا: ١/١ ق ١/
٥ و ٦. واللفظ للترمذي.

(٢٢) طبقات ابن سعد ط أوروبا، ١/١ ق، ١٠/١.

(٢٣) البحار للمجلسي ١١/١٤٢.

ثانياً - عن الإمام علي (ع):
قال الإمام علي بن أبي طالب (ع) في بدء الخلق ما يأتي:

أ - في خلق الملائكة:

في البحار قال (ع):

وَمَلَائِكَةُ خَلَقْتَهُمْ وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، فَلَيْسَ فِيهِمْ فَتْرَةٌ، وَلَا عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ، وَلَا فِيهِمْ مَعْصِيَةٌ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُ خَلْقِكَ مِنْكَ، وَأَقْرَبُ خَلْقِكَ إِلَيْكَ، وَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، وَلَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ تَضُمَّهُمْ الْأَرْحَامُ، وَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، أَنْشَأْتَهُمْ إِنْشَاءً، فَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَأَكْرَمْتَهُمْ بِجِوَارِكَ، وَأَتَمَمْتَهُمْ عَلَى وَحْيِكَ، وَجَنَّبْتَهُمْ الْآفَاتِ، وَوَقَيْتَهُمُ الْبَلِيَّاتِ، وَطَهَّرْتَهُمُ مِنَ الذَّنُوبِ، وَلَوْلَا تَقْوِيَّتُكَ لَمْ يَقُورُوا، وَلَوْلَا تَشْيِيتُكَ لَمْ يَثْبُتُوا، وَلَوْلَا رَحْمَتُكَ لَمْ يُطِيعُوا، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُونُوا، أَمَّا إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ مِنْكَ، وَطَوَاعِيَّتِهِمْ إِيَّاكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَاينُوا مَا خَفِيَ عَنْهُمْ مِنْكَ، لَاحْتَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَازَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا مَا أَحْسَنَ بَلَاءَكَ عِنْدَ خَلْقِكَ. (٢٤)

ب - في بدء الخلق:

وقال الإمام علي في خطبته عن بدء الخلق ما تفسره بإيجاز:

إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ خَلَقَ الْأَجْوَاءَ وَخَلَقَ فِي أَعْلَاهَا مَاءً مِتْلَاطِمًا تَيَّارَهُ، يَمْتَدُّ

(٢٤) البحار للمجلسي ٥٩ / ١٧٥ - ١٧٦. نقلاً عن تفسير القمي، ص: ٥٨٣.

ويرتفع بعضه فوق بعض، وحمله على متن ريح عاصفة تموجه تمويجاً شديداً كما يُحرّك اللبن في السقاء ليتمخض منه الزبد فرمى الماء بالزبد - الزبد: ما يعلو الماء من الرغوة وحطام الأشياء - فرفع الزبد في هواء منبسط وجوّ مفتوح واسع فسوّى منه سبع سموات، جعل سفلاهنّ موجاً ممنوعاً من السيلان وعلياهنّ سقفاً محفوظاً بلا دعامة ولا مسامير يشد بعضها ببعض، وزين السماء الدنيا بزينة الكواكب، ثم فتق ما بين السماوات العلا - أي التي فوق السماء الدنيا - فملاهنّ أنواعاً من ملائكته، منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون، وصافون - أقدامهم - لا يتزايلون من مواقفهم، ومسبحون لا يسأمون ولا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان، منهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم... لا يتوهمون ربّهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر.

ج - في خلق الإنسان:

ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبّخها تربةً سنّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول، أجمدها حتى أستمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقتٍ معدودٍ، وأجلٍ معلومٍ.

ثمّ نفخ فيها من روجه فتمثّلت إنساناً ذا أذهان يُجِيلُها، وفكرٍ يتصرّف بها، وجوارح يخدمُها، وأدواتٍ يُقَلِّبُها، ومعرفةٍ يفرّق بها بين الحقّ والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والأجناس، معجوناً بطينته الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود، والمساءة

د - في خَلْقِ الجان والشیطان وإبليس:
في البحار أيضاً عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً بِيَدِهِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَاضِي لِلْجَنِّ وَالنَّسْنَسِ فِي الْأَرْضِ سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ، قَالَ: وَلَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّقْدِيرِ لَمَّا هُوَ مَكُونُهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَلِمَهُ لَمَّا أَرَادَهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، كَشَطَ عَنْ أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: انْظُرُوا إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِي مِنَ الْجَنِّ وَالنَّسْنَسِ.

فلَمَّا رَأَوْا مَا يَعْمَلُونَ فِيهَا مِنَ الْمَعَاصِي وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَغَضِبُوا لِلَّهِ وَأَسَفُوا عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَمْ يَمْلِكُوا غَضَبَهُمْ أَنْ قَالُوا: يَا رَبِّ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ الْجَبَّارُ الْقَاهِرُ الْعَظِيمُ الشَّانُ، وَهَذَا خَلْقَكَ الضَّعِيفَ الذَّلِيلَ فِي أَرْضِكَ يَتَقَلَّبُونَ فِي قَبْضَتِكَ وَيَعِيشُونَ بِرِزْقِكَ وَيَسْتَمْتَعُونَ بِعَافِيَتِكَ وَهُمْ يَعْصُونَكَ بِمِثْلِ هَذِهِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، لَا تَأْسَفُ، وَلَا تَغْضَبُ، وَلَا تَنْتَقِمَ لِنَفْسِكَ لَمَّا تَسْمَعُ مِنْهُمْ وَتَرَى، وَقَدْ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْنَا وَأَكْبَرَنَاهُ فِيكَ.

فلَمَّا سَمِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لِي عَلَيْهِمْ فَيَكُونُ حِجَّةً فِي أَرْضِي عَلَى خَلْقِي، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ! ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، وَقَالُوا: فَاجْعَلْهُ مِنَّا فَإِنَّا لَا نُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَسْفِكُ الدِّمَاءَ.

قال الله جلَّ جلاله: يا ملائكتي: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ

(٢٥) شرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ٩٦ - ٩٧.

أَخْلَقَ خَلْقًا بِيَدِي أَجْعَلُ ذُرِّيَّتَهُ أَنْبِيَاءَ مُرْسَلِينَ، وَعِبَادًا صَالِحِينَ، وَأُتَمَّةَ مُهْتَدِينَ، أَجْعَلُهُمْ خَلْفَانِي عَلَى خَلْقِي فِي أَرْضِي، يَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي، وَيَنْذِرُونَهُمْ عَذَابِي، وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِي، وَيَسْلُكُونَ بِهِمْ طَرِيقَ سَبِيلِي، وَأَجْعَلُهُمْ حُجَّةً لِي عِذْرًا أَوْ نَذْرًا، وَأُبَيِّنَ النَّسْنَسَ مِنْ أَرْضِي فَأَطْهَرَهَا مِنْهُمْ، وَأَنْقُلُ مُرْدَةَ الْجَنِّ الْعَصَاةَ عَنْ بَرِّيَّتِي وَخَلْقِي وَخَيْرَتِي، وَأَسْكُنُهُمْ فِي الْهَوَاءِ وَفِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، لَا يَجَاوِرُونَ نَسْلَ خَلْقِي، وَأَجْعَلُ بَيْنَ الْجَنِّ وَبَيْنَ^(٢٦) خَلْقِي حِجَابًا، وَلَا يَرَى نَسْلَ خَلْقِي الْجَنِّ وَلَا يُؤَانِسُونَهُمْ وَلَا يَخَالُطُونَهُمْ، فَمَنْ عَصَانِي مِنْ نَسْلِ خَلْقِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ لِنَفْسِي، أَسْكَنْتَهُمْ مَسَاكِنَ الْعَصَاةِ، وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَهُمْ وَلَا أُبَالِي، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ افْعَلْ مَا شِئْتَ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، الْخَبَرُ^(٢٧).

هـ - فِي أَمْرِ الرُّوحِ:

قَالَ الْإِمَامُ عَلِي (ع) مَامَوْجَزُهُ:

الرُّوحُ لَيْسَ هُوَ جَبْرِئِيلُ، جَبْرِئِيلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالرُّوحُ غَيْرُ جَبْرِئِيلَ.
لِقَوْلِ اللَّهِ لَنَبِيِّهِ:

﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (النحل ٢).

فَالرُّوحُ غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ، وَقَالَ:

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ.

(القدر ٣ - ٤) وَقَالَ:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾. (النبا ٣٨).

وَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ فِي آدَمَ وَجَبْرِئِيلَ يَوْمَئِذٍ مَعَ الْمَلَائِكَةِ:

﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

(٢٦) كَذَا فِي الْبَحَارِ وَالنَّسْنَسَ لَمْ تَقِفْ عَلَى حَقِيقَتِهِ.

(٢٧) الْبَحَارُ لِلْمَجْلِسِيِّ ٦٣ / ٨٢ - ٨٣. عَنْ عَلْلِ الشَّرَائِعِ، ٩٨ / ١.

ساجدين ﴿ (ص ٧١ - ٧٢). فَسَجَدَ جِبْرَائِيلُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ لِلرُّوحِ .

وقال لمريم:

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم ١٧).

وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾.

ثم قال: ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء ١٩٣ - ١٩٥).

فالروح واحدة والصور شتى^(٢٨).

إذاً يكون الروح - والله أعلم - ما نفخ في آدم (ع)، وما حمله الملك الذي

تمثل لمريم (ع)، وكذلك ما يحمله الملك الذي ينزل بالوحي على النبي (ص)

وأحياناً يأتي الروح الأمين اسماً للملك الذي يحمل الوحي للنبي (ص)، وكذلك

هو روح القدس الذي أيّد الله به عيسى بن مريم، ويوم القيامة يقوم الروح

بنفسه صفّاً مع الملائكة. وهو الذي قال الله عنه:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء ٨٥).

اللَّهُمَّ أَحْفَظْنَا مِنَ الْخَطَا فِي الْفَهْمِ وَالزَّلَلِ فِي الْقَوْلِ.

و - معنى سجود الملائكة لآدم (ع):

قال الإمام علي (ع) ماموجزه:

لَمْ يَكُنْ سُجُودُ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ سُجُودَ طَاعَةٍ، وَأَنْتَهُمْ عَبَدُوا آدَمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

عَزَّوَجَلَّ، وَلَكِنْ اعْتِرَافاً لِآدَمَ بِالْفَضِيلَةِ وَرَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَهُ^(٢٩).

(٢٨) الغارات للثقي، ط. بيروت عام: ١٤٠٧ هـ. ص: ١٠٧ - ١٠٨.

(٢٩) البحار ١١ / ١٣٩.

شرح الكلمات:

والأجواء جمع جَوّ: الفضاء الذي بين الأرض وسائر الكواكب.

ماء متلاطماً، تيّاره.

مُتَلَاطِماً: تَلَاطَمَ الماء: ضرب بعضه بعضاً.

والتيّار: موج البحر وشدة جريان الماء، والمتراكم: المجتمع بعضه فوق

بعض.



إنّ الامام (ع) جعل الملائكة أربعة أقسام:

الأوّل: أرباب العبادة، ومنهم الراكع، والساجد، والصافّ، والمسبّح. وقوله

«صافّون» أي: قائمون صفوفاً. لا يتزايلون أي: لا يتفارقون.

والقسم الثاني: الأمناء على وحي الله لأنبيائه، والألسنة الناطقة في أفواه

رسله، والمختلفون بالأقضية إلى العباد: بهم يقضي الله على من شاء بما شاء.

والقسم الثالث: حفظة العباد، كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر

ونفوسهم، يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان

العطب ألصق بالانسان من السلامة، ومنهم سدنة الجنان، جمع سادن: وهو

الخادم، والخادم يحفظ ما عهد إليه وأقيم على خدمته.

والقسم الرابع: حملة العرش، ولعلّهم هم المأمورون بتدبير أمر العالم من

إنزال المطر وإنبات النبات وأمثالها ممّا يتعلّق بربوبية ربّ العالمين لعوالم

المخلوقات.

وقوله «المارقة من السماء»: المروق الخروج، وقوله «الخارجة من الأقطار

أركانهم». والأركان: الأعضاء والجوارح، والتمثيل في الكلام لا يخفى على أهل

البصائر.

الضمير في «دونه» للعرش كالضمير في «تحتة».

ومتلفعون: من تلتفت بالثوب، إذا التحفت به.

الحزن - بفتح فسكون - : الغليظ الخشن، والسهل ما يخالفه، والسبخ: ما ملح من الأرض. وأشار باختلاف الأجزاء التي جبل منها الانسان إلى أنه مركب من طباع مختلفة، وفيه استعداد للخير والشر، والحسن والقبيح.

سن الماء: صبه، والمراد صب عليها، أو «سنها» هنا بمعنى ملسها كما قال

الشاعر:

ثم خاصرتها إلى القبة الخضر راء تمشي في مرمر مسنون
وقوله «حتى خلصت» أي: صارت طينة خالصة. لاطها: خلطها وعجنها.
ملطه وطينه به، والبلّة من البلل. ولزّب: تداخل بعضه في بعض، وصلب لزّب:
بمعنى التصق وثبت واشتد.

الأحناء: جمع حنو، وهو: كل مافيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج،
واللحي، والضلع، أو هي الجوانب مطلقاً. وجبل: أي خلق.

أصلدها: جعلها صلبة ملساء متينة، وصلصت: يبست حتى كانت تسمع لها
صلصلة إذا هبت عليها رياح، وذلك هو الصلصال، كأنه قال: حتى يبست وجفت
معدّة لوقت معلوم. ويمكن أن تكون بمعنى: جبل من الأرض هذه الصورة
ولا يزال يحفظها لوقت معدود ينتهي بيوم القيامة.

مثل، ككرّم: قام منتصباً. والأذهان: قوى التعقل، ويجيلها: يحركها في
المعقولات.

مخدمها: يجعلها في مآربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم في خدمتك في
شؤونك كلها، والادوات: جمع أداة، وهي الآلة، وتقليبها: تحريكها في العمل بها
فيما خلقت له.

معجوننا: صفة «إنساناً»، والألوان المختلفة: الضروب والفنون، وتلك

الألوان هي التي ذكرها من الحر والبرد والبلّة والجمود.
استأدى الملائكة وديعته: طلب منهم أداءها، والوديعة هي عهده إليهم
بقوله:

﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رَوْحِي فَقَعُوا لَهُ
سَاجِدِينَ﴾.

الشقوة: ما حتم عليه من الشقاء، والشقاء: ضدّ السعادة، وهو النصب
الدائم والألم الملازم، وتعززه بخلقة النار: استكباره مقدار نفسه بسبب أنه خلق
من جنس لطيف ومادة أعلى من مادة الصلصال، والصلصال: الطين الحرّ خلط
بالرمل أو الطين ما لم يُجعل خزفاً. والمراد من الصلصال هنا مادة الأرض التي
خلق آدم عليه السلام منها، وجنس ما خلق منه الجن - وهم من الأجناس
اللطيفة - أعلى من جنس ما خلق منه الانسان، وهو مجبول من عناصر الأرض،
والنظرة - بفتح فكسر - : الإنتظار به حياً، مادام الانسان عامراً.

ثالثاً - عن الإمام محمد الباقر (ع):

قال في معنى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾:

رُوحُ اختارَهُ اللهُ، وَأَصْطَفَاهُ، وَخَلَقَهُ، وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ

الْأَرْوَاحِ^(٣٠).

وفي رواية أخرى عنه أنه قال:

إِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ الْأَرْوَاحِ، كَمَا اصْطَفَى بَيْتاً مِنَ

الْبُيُوتِ، فَقَالَ: بَيْتِي، وَقَالَ لِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ: خَلِيلِي، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ، وَكُلِّ

مَخْلُوقٍ، وَمَصْنُوعٍ، مُحَدَّثٍ مَرْبُوبٍ مُدَبَّرٍ^(٣١).

وفي رواية أخرى قال الراوي:

سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنِ الرُّوحِ الَّتِي فِي آدَمَ وَالَّتِي فِي عَيْسَى مَا هُمَا؟

قَالَ: رُوحَانِ مَخْلُوقَانِ، اخْتَارَهُمَا، وَأَصْطَفَاهُمَا: رُوحُ آدَمَ، وَرُوحُ عَيْسَى،

صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا^(٣٢).

رابعاً: عن الإمام جعفر الصادق (ع):

أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّلَ لَهَا سَوَاءَ آتُهَا﴾ (طه ١٢١)، قَالَ (ع):

كَانَتْ سَوَاءَ آتُهَا لَا تَبْدُو لَهَا فَبَدَّلَ يَعْنِي كَانَتْ مِنْ دَاخِلٍ^(٤٢).

وفي محادثة جبرئيل لآدم قال (ع):

لَمَّا خَرَجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِئِيلُ (ع) فَقَالَ: يَا آدَمُ أَلَيْسَ اللَّهُ خَلَقَكَ

بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَزَوَّجَكَ حَوَاءَ أُمْتِهِ، وَأَسْكَنَكَ

(٣٠) البحار للمجلسي ١١ / ٤.

(٣١) البحار للمجلسي ١٢ / ٤، نقلاً عن معاني الأخبار وتوحيد الصدوق.

(٣٢) البحار للمجلسي ١٣ / ٤.

(٤٢) البحار للمجلسي، ١١ / ١٦٠، نقلاً عن تفسير القمي، ص: ٢١٣.

الجنة، وأباحها لك، ونهاك مشافهة؛ أن لاتأكل من هذه الشجرة، فأكلت منها وعصيت الله؟

فقال آدم (ع): يا جبرئيل إن إبليس حلف لي بالله إنه لي ناصح، فما ظننت أن أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً^(٤٣)!

وفي توبة آدم (ع) قال (ع):

إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يتوب على آدم (ع) أرسل إليه جبرئيل، فقال له: السلام عليك يا آدم الصابر على بليته، التائب عن خطيئته، إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك لأعلمك المناسك التي يريد أن يتوب عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتى أتى البيت، فنزل عليه غمامة من السماء فقال له جبرئيل (ع): خطّ برجلك حيث أظلك هذا الغمام، ثم انطلق به حتى أتى به منى فأراه موضع مسجد منى فخطّه، وخطّ الحرم بعد ماخطّ مكان البيت، ثم انطلق به إلى عرفات فأقامه على العرف وقال له: إذا غرب الشمس فاعترف بذنبك سبع مرات، ففعل ذلك آدم^(٤٤).

خامساً - عن الإمام الرضا (ع):

قال في معنى قوله عزّوجلّ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص / ٧٥). يعني بقدرتي وقوّتي^(٤٥).

وفي عصمة الأنبياء عندما سأله المأمون:

يا ابن رسول الله أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون؟
قال: بلى.

(٤٣) البحار للمجلسي، ١١/١٦٣.

(٤٤) البحار للمجلسي، ١١/١٦٧.

(٤٥) البحار للمجلسي، ١/١٠.

قال: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه ١٢١). فقال (ع): إن الله تبارك وتعالى قال لآدم (ع): ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وأشار لهما إلى شجرة الحنطة، ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة، وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما وقال: مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة، وإنما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ وقاسمهما إني لكم لمن الناصحين ﴿(الأعراف ٢٠ و ٢١)﴾.

ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة^(٤٦). وتأني تنمة الروايات عن بدء الخلق في الملاحق بآخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

* * *

إن الأصناف الخمسة من خلق الله واللاتي بحثنا عنها آنفاً تنقسم بلحاظ أنواع هداية رب العالمين لها إلى الأصناف الأربعة الآتية.

(٤٦) البحار للمجلسي، ١٦٤/١١، نقلاً عن عيون الأخبار للشيخ الصدوق، ص: ١٠٨ -

خلاصة البحث

إنقسام الخلق بحسب نوع الهداية إلى أربعة أصناف:

ينقسم خلق الله المذكورون في الفصل الأول من هذا البحث إلى الأصناف الأربعة الآتية:

١ - من له حياة وموت وإرادة وإدراك كامل، وليست له نفس أمارة بالسوء، وهم جنود الله الملائكة.

٢ - من له حياة وموت وإرادة ونفس مدركة تمام الإدراك أمارة بالسوء، وينقسم هذا الصنف إلى نوعين:

أ - من خلق من التراب، وهم أبناء آدم (الإنسان).

ب - من خلق من نار السموم، وهم الجان.

٣ - من له حياة وموت وإرادة وليست له نفس مدركة، ولا تعقل، وهم صنف الحيوان.

٤ - من ليست له حياة الحيوان وإدراكه وإرادته من الخلق، مثل النباتات، والمياه، والشمس، والقمر، وسائر النجوم.

ونشاهد لكل نوع من كل صنف من أولئك الخلق نظاماً متقناً في حياته الخاصة به يبلغه درجة الكمال في وجوده.

فمن هو الذي قدر لكل نوع منهم نظام حياته؟ وما أسمه؟

هذا ما سندرسه في بحوث الربوبية الآتية، إن شاء الله تعالى.

(٤)

بحوث الربوبية

أ- الربُّ.

- ١ - في لغة العرب .
- ٢ - في المصطلح الإسلامي .

ب - وما ربُّ العالمين .

- ١ - بيان معنى ربِّ العالمين .
- ٢ - وحضرة في الله جلَّ اسمه .

ج - أنواع هداية ربِّ العالمين لأصنافِ الخلق .

- ١ - التعليم للملائكة .
- ٢ - التسخير لما خلق لمصلحة الإنسان من غير صنف الحيوان .
- ٣ - الإلهام الغريزي للحيوان ممَّا خلق لمصلحة الإنسان .
- ٤ - الوحي بالإسلام للإنس والجِنّ .

- ١ -
الربّ

- أ - في لغة العرب.
ب - في المصطلح الإسلامي.

من أهم المصطلحات الإسلامية: مصطلح الربّ، وإدراك معناه بوضوح، ضروري لأبحاثنا الآتية، كما يتوقف على فهم معناه بوضوح فهم كثير من آيات القرآن الكريم عامة، وتتوقف على معرفته: معرفة الله عزّ اسمه خاصة، ومعرفة الرسول (ص) والوصي - الإمام - ويوم القيامة، وكذلك معرفة الموحّد من المشرك، وسندرس في ما يأتي بحوله تعالى معناه اللغوي أولاً، ثم الإصطلاحي:

أ - في لغة العرب.

رَبُّهُ يُرَبُّهُ: أي ربّاه يربّيه ويدبّر أمره.

والرَّبّ: يأتي بمعنى الراب أي المربّي و - أيضاً - يأتي بمعنى المالك، وربّ البيت: مالكه، وربّ الضيعة: مدبّر أمرها أو مالكها، وربّ الفرس: مربّيها أو مالكها.

ب - في المصطلح الإسلامي:

الربّ: من أسماء الله الحُسنى، واسم الخالق الخلق ومالكهم. ومشرّع النظام لحياتهم ومربّيهم حالاً بعد حال حتى يبلغ كلّ منهم درجة الكمال في وجوده^(١). وقد جاء في القرآن الكريم بالمعنى اللّغوي مع وجود قرينة تدلّ على أن

(١) قد خلط الراغب في مادّة (الرّب) بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللّغوي ولم يفرّق بينهما، فإنّ مربّي الشّيء حالاً بعد حال حتى يبلغ درجة الكمال من معاني الرّب في المصطلح الإسلامي خاصّة، بينما ذكره الراغب في معنى الرّب عامّة.

المقصود معناه اللُّغوي، مثل قوله تعالى في حكاية قول يوسف (ع) لصاحبيه في السجن، من سورة يوسف:

١- ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الآية ٣٩).

٢- ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ (الآية ٤٢).

ومتى جاء (رَبُّ) مطلقاً ودون إضافة إلى غيره قصد منه الله تعالى كما جاء

في القرآن الكريم:

﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ (سبا ١٥).

وبناء على ما ذكرناه فإنَّ الرَّبَّ جاء في لغة العرب والمصطلح الإسلامي بمعنى: المالك والمربي، وأضيف إلى المربي في المصطلح الإسلامي: مشرّع نظام الحياة لمن يربيّه حالاً بعد حال حتى يبلغ درجة الكمال^(٢)، وبذلك تمّ معنى المربي وأصبح للرَّبِّ معنيان، أو لمعناه جزءان:

وقال الراغب في مادة (القرء):

إنَّ كلَّ اسم: موضوع لمعنيين، يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة

التي هي اسم للخوان وللطعام معاً، ثمّ قد يسمّى كل واحد منهما بالخوان.

وكذلك معنى الرَّبِّ، في لغة العرب يأتي بمعنى المالك وأحياناً بمعنى المربي،

وفي المصطلح الإسلامي يأتي أحياناً بمعنى المالك المربي، وأحياناً يأتي في جزء

معناه: المشرّع لنظام الحياة، مثل قوله تعالى:

﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة ٣١).

(٢) شأنه في ذلك شأن الصلاة التي كانت في لغة العرب بمعنى: عاتمة الدعاء، وخصّص في

الشرع الإسلامي بمعنى: الصّلاة المعروفة.

- ٢ -

﴿ وما ربُّ العالمين ﴾

أربعة أنواع من الهداية لربِّ العالمين

أ - وما ربُّ العالمين

ب - أنواع هداية ربِّ العالمين لأصناف الخلق الأربعة الآتية:

١ - التعليم للملائكة.

٢ - التسخير لما خلق لمصلحة الإنسان من غير صنف الحيوان.

٣ - الإلهام الغريزي للحيوان ممَّا خلق لمصلحة الإنسان.

٤ - الوحي بالإسلام للإنس والجن.

تمهيد:

ينقسم بحث (وما ربّ العالمين) إلى:

أ - بيان معنى ربّ العالمين.

ب - وحضره في الله جلّ اسمه.

ج - بيان أربعة أنواع من الهداية لربّ العالمين، كالآتي:

١ - هداية الملائكة الذين لهم حياة وموت وعقل بلا نفس أمارة بالسوء،

بتعليم الله إياهم.

٢ - هداية الإنسان والجن اللذين لهما حياة وموت وعقل ونفس أمارة

بالسوء، بالتعليم والإنذار بواسطة الرّسل.

٣ - هداية الحيوان الذي له حياة وموت دون عقل ونفس أمارة بالسوء،

بالإلهام الغريزي.

٤ - هداية ما ليس له حياة مثل المذكورين آنفاً، بالتسخير.

وتفصيل البحثين كالآتي:

أَوَّلًا - معنى رَبِّ العالمين في القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى في:

أ - سورة الأعلى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى* وَالَّذِي

أَخْرَجَ الْمَرْعَى* فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ (الآيات ١ - ٥).

ب - سورة طه:

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (الآية ٥٠).

ج - سورة الفرقان:

﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الآية ٢).

د - سورة البقرة:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ﴾ (الآيتان ٣١ - ٣٢).

هـ - سورة الشورى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ (الآية ١٣).

و - سورة النساء:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ

وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَبُورًا* وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ

نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ... ﴿ (الآيات ١٦٣ - ١٦٥).

ز - سورة آل عمران:

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ... ﴾ (الآيتان ٣ و ٤).

ح - سورة الذاريات:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الآية ٥٦).

ط - سورة الأنعام:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَكِّرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الآية ١٣٠).

ي - سورة الأحقاف:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الآيات ٢٩ - ٣٢).

ك - سورة الجن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نَشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا

وَلَدَأْ* وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً* وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنَا تَقْوَلَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً* وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالُ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً* وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنَا يَبْعَثُ اللَّهُ أَحَدًا* وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتِ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا* وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا* وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا* وَأَنَا مِنْ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا* وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنَا نُعْجِزُ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا* وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا* وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا* وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا* وَالْوِإْوَانُ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا* لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿ (الآيات ١ - ١٧).

ل - سورة النحل:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ* ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ...﴾ (الآيتان ٦٨ - ٦٩).

م - سورة الأعراف:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الآية ٥٤).

ثانياً - حصر الربوبية في الله جلَّ اسمه:

كما قال سبحانه في:

أ - سورة يونس:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابِ... ﴿ (الآيتان ٣ و ٥).

ب - سورة فصلت:

﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تُكْفِرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمِئِذٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ (الآيات ٩ - ١٢).

شرح الكلمات

أ - سَبَّحَ:

سَبَّحَ تسبيحاً أي نزه الله تنزيهاً، أو قال سبحانه الله، أي تنزيهاً لله، والتسبيح - أيضاً - مطلق العبادة، قولاً وفعلاً ونيةً.

ب - اسم:

للاسم معنيان، كما ذكرناه سابقاً:

١ - اللَّفْظ الذي يجعل اسماً للأشياء، مثل: (مكة) اسماً علماً للبلد الذي

فيه الكعبة قبله المسلمين، والقرآن اسماً علماً للكتاب الذي أنزله الله على خاتم أنبيائه.

٢ - اسم الشيء أي صفاته الخاصة المبينة لحقيقته، والمراد من الاسم في الآية: المعنى الثاني.

ج - رَبُّكَ:

سبق ذكر معناه.

د - الأعلى:

جاء الأعلى هنا بمعنى: الأعلى من أن يقاس عليه.

هـ - خَلَقَ:

نجد تفسير (خَلَقَ) في ما حكى الله عن قول موسى لفرعون:

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه ٥٠).

ويكون المعنى بناء على هذا: ربنا الذي خلق كل شيء فسواه.

و - سَوَّى:

سَوَّى الشيء: عدله وجعله لا عوج فيه، وسَوَّى الشيء: جعله على كمال

واستعداد لما أنشئ من أجله، وفي سورة الانفطار: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ

بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (الآيتان ٦ و ٧). والمراد هنا كلا

المعنيين. وتنقسم التسوية في الخلق إلى الأنواع الأربعة الآتية:

أولاً - التسوية للإنسان:

يخلق الإنسان من النطفة جنيناً في مراحل المعينة حتى يتم خلقه. وتنام

خلق في هذا المقام يكون بإتمام خلق جميع أعضائه التي بواسطتها يتلقى الهداية

من السمع والبصر وسائر الحواس التي بواسطتها يتلقى المعلومات، مع الخلايا

الدماغية اللاتي تخزن المعلومات، والعقل الذي بواسطته يميز الصحيح من

الباطل مما تلقاه من المعلومات، وإيجاد قابلية تبادل المعلومات مع بني نوعه
بوسيلتي اللسان والقلم، كما قال سبحانه في:

أ - سورة الرَّحْمَن:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الآيتان ٣ و ٤).

ب - سورة العلق:

﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * إِقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (الآيات ١ - ٥).

والتعلّم والتعليم بالبيان والقلم موهبتان خصّ الباري جلّ اسمه الإنسان
وحده بهما.

ثانياً - التسوية للحيوان:

التسوية وتعام الخلق في الحيوان: تتم بمنحه الغريزة التي بواسطتها يستطيع
أن ينظّم شؤون حياته بما يناسب فطرته.

ثالثاً - التسوية للمسخرات من خلق الله.

كما قال سبحانه:

أ - في سورة فاطر:

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾

(الآية ١٣).

ب - في سورة الأعراف:

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ مَسْخَرَاتُ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الآية ٥٤).

رابعاً - التسوية للملائكة:

كانت التسوية للملائكة، بأن الله تعالى جبلهم على أن: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، كما أخبر عنهم في سورة التحريم / ٦.
ويأتي تمام معنى التسوية المادي بتفسير: قَدَّرَ فَهَدَى، في (تفسير الآيات)
الآتي إن شاء الله تعالى.

ز - قَدَّرَ:

قَدَّرَ الله الشيء تقديرًا: معناه في الموارد التي نحن بصدد تفسيرها: قَدَّرَ
نظام حياة الشيء بما يناسب فطرته، ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان:
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الآية ٢).

ح - هدى:

هداية الله للخلق أربعة أنواع:

١ - تعليم.

٢ - إلهام غريزي.

٣ - تسخير.

٤ - تبليغ بواسطة الوحي إلى الأنبياء.

ويأتي تمام تفسير كلمتي: (قَدَّرَ) و (هَدَى) في تفسير الآيات بإذنه تعالى.
ط - غُثَاءً:

نبات يابس يتفرق بعضه عن بعض.

ي - أحوى: شديد الخضرة من النبات وقريب من السواد لشدة خضرته.

ك - الوحي:

أ - في اللغة:

أوحى إليه وله: أشار وأومأ، وكلمه بكلام خفي يخفى على غيره، وأمره،

وألمه، وأوحى فلان الكلام إلى فلان: ألقاه إليه.

ب - في المصطلح الإسلامي:

الوحي الكلمة الإلهية التي يلقِيها إلى أنبيائه بواسطة مَلَك يشاهده الرسول، ويسمع كلامه؛ كتبليغ جبرئيل لخاتم الأنبياء (ص)، أو بسماع كلام الله جلَّ اسمه من غير معاينة، كسماع موسى كلام الله، أو بالرؤيا في المنام، كما أخبر الله عن قول إبراهيم لابنه إسماعيل:

﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات ١٠٢).

أو بأنواع أخرى من الوحي يعلمه الله وتدركه رسله صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن موارد استعماله في المصطلح الإسلامي في القرآن الكريم ما نقلناه آنفاً من وحي الله إلى أنبيائه.

أما موارد استعماله في معانيه اللغوية فما جاء منها في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

(مريم ١١).

والمراد من هذا الوحي: الإشارة أو الكتابة.

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ (الأنعام ١٢١).

أي يلقون في قلوبهم الخواطر السيئة.

ومنها قوله تعالى في حكاية أم موسى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص ٧).

أي ألهمناها أن ترضعه.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ (النحل ٦٨).

أي ألهم النحل أن تعيش كذلك، وبيان ذلك أن الله تعالى بمقتضى الربوبية يوجد في كل صنف من أصناف الحيوان غريزة تهديه إلى إدامة حياته وفق ما يتناسب وفطرته.

ل - استوى:

إذا عُدِّي «استوى» بعلی، جاء بمعنى الاستيلاء. كما سيأتي بيانه في بحث صفات الربّ إن شاء الله تعالى.

م - العرش:

العرش، في اللغة شيء مسقف، وجمعه عروش، وسمي مجلس السلطان: عرشاً، اعتباراً بعلوه، وكُنِّي به عن العز، والسلطان، والمملكة. وفي لسان العرب: ثلّ الله عرشهم أي هدم ملكهم^(٣). وقال الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلّت عروشهم

وأودت كما أودت إياد وحمير

أراد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا^(٤).

ن - الضياء:

الضياء: ما أنتشر من الأجسام النيرة، يقال: ضاءت النار، وأضاءت، والضوء أقوى وأسطع من النور، والضوء: لما ينير؛ كضوء الشمس والنار، والنور: لما يكسب الضوء من غيره.

س - الأمر:

بمعنى: طلب الفعل وهو ضدّ النهي، وجمعه أوامر.

(٣) مآدة (العرش) من مفردات الراغب، والمعجم الوسيط.

(٤) البحار ٧/٥٨.

وبمعنى: الشأن، وجمعه: أمور.

ع - سَخَّرَ:

سَخَّرَهُ، يَسْخَرُهُ فهو مسَخَّر: ذلله، أخضعه، وساقه إلى غرض معين قهراً.
والسَّخْرِيُّ: الذي يُقهر فيُتَسَخَّر.

ف - الرواسي:

الراسي: الجبل الثابت، الراسخ، وجمعه: الرواسي.

تفسير الآيات

نفسر الآيات لتفسير كلمتي: (قَدَّرْ فهدئ) بتفصيل:

أ - قَدَّرَ:

في آيات سورة فصلت:

حصر عزَّ اسمه الخالقية لذاته: ربَّ العالمين، ثم بين كيف قَدَّرَ لها نظام إدامة بقائها وقال:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ

آيَاتٍ﴾. (الآية ١٠).

وقال عن السماء، إنه أتمَّ تكوينها سبع سموات في يومين وأوحى في كلِّ سماء أمرها، وإنه زين السماء الدنيا بمصابيح، وإنَّ ذلك من تقدير الربِّ العزيز العليم.

وذكر كيف أتاها أمر ربِّها بإدامة بقائها وفق ذلك النظام فقال في سورة

يونس:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ

الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾. (الآية ٣).

يُدَبِّرُ أمرهما أي يرييهما بعد أن خلقهما، وأنه هو ربكم فاعبدوه، ثم فصل

بعض الأمر وقال: إنّ الربّ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل.

استفدنا من هذه الآيات أنّ معنى قدره تقديرًا: جعل له نظاماً معيناً.
ب - هدى:

لما كان الكلام في سورتي (فصلت) و (يونس) عن ربوبية الله للسموات والأرض والشمس والقمر، جاء ذكر تربية الربّ لها خاصة، ولما كان ذكر تربية الربّ في سورة (الأعلى) للخلق عامّة، قصد من قوله: (فهدي) أنّ ربّ الخلق الذي خلقهم؛ قد سوّاهم، أي هيّأهم لقبول الهداية بعد أن قدر حياة كلّ نوع من أصناف الخلق، وضرب مثلاً ممّا خلق بمرعى الحيوان، وقال سبحانه ما معناه: إنّ ربّ الخلق أجمعين هو الذي أخرج مرعى الحيوان، وربّاه حتى بلغ درجة كماله، وأصبح شديد الخضرة، ثم جعله نباتاً يابساً، بعد أن كان شديد الخضرة، وبين الله سبحانه في آيات أخرى كثيرة، كيفية الهداية لأصناف الخلق الأربعة كما يأتي بيانه بإذنه تعالى.

- ٣ -

أنواع هداية رب العالمين لأصناف الخلق

في بحث أنواع الهداية لأصناف الخلق نورد البحث عنهم حسب عصور بدء خلقهم، ولما كانت الملائكة هي جنود الله في الخلق، وحملة عرشه في الربوبية، خلقهم قبل غيرهم، ثم خلق الزمان والمكان، السماء والأرض وما فيها مما يحتاجه الأحياء من المخلوقات، من مياه ونبات وسائر مرافق الحياة، ثم خلق الجن والحيوان وخلق الإنسان بعد خلق كل ما يحتاجه في حياته، وفي ما يأتي تفصيل أنواع هداية رب العالمين لكل صنف منهم: حسب الترتيب الآتي:

أولاً - التعليم المباشر لصنف الملائكة:

قال الله سبحانه وتعالى في شأنهم:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿

(البقرة ٣٠ - ٣٤).

شرح الألفاظ

أولاً - الخليفة: خليفة الله في الأرض.

في اللغة: خلف، خلافة، وخليفة:

أ - خلف:

خلف زيد عمراً: جاء بعده أو قام بالأمر بعده^(٥).

فالأول: مثل قوله تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ...﴾ (الأعراف ١٦٩).

والثاني: مثل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ (الأعراف ١٤٢).

ب - الخلافة:

النيابة عن الغير، إمّا لغيبة عنه، وإمّا لموته وعجزه، وإمّا لتشريف

المستخلف.

ج - الخليفة:

من ناب عن الغير لموت المستخلف، وعجزه وغيبته، أو لتشريف

المستخلف^(٦).

فالأول مثل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ كُنَّا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (الأعراف ٦٩).

والثاني مثل قوله تعالى:

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (ص ٢٦).

(٥) مادة (خلف) من: معجم ألفاظ القرآن الكريم.

(٦) مادة (خلف) من: مفردات الراغب.

وقول رسول الله (ص):

«اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي! اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي! اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي!

قيل له: يا رسول الله من خلفاؤك؟

قال: الَّذِينَ يَأْتُونَ مِن بَعْدِي يَرُوءْنَ حَدِيثِي وَسُنَّتِي»^(٧).

وبمراجعة الروايات نرى أن خليفة الله هو النبي أو وصي النبي الذي

عينه الله لهداية الناس إلى شرائعه، كما سيأتي تفصيله في بحث: مبلغون عن الله،

إن شاء الله تعالى.

ثانياً - سَجَدَ:

سَجَدَ سُجُوداً: خضع وتطامن، ويضاف إليه في الإنسان وضع جبهته على

الأرض.

فمن الأول قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ

وَالْأَصالِ﴾ (الرعد ١٥).

والثاني قوله تعالى:

﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهم مِّن أثارِ السُّجودِ﴾ (الفتح ٢٩).

موجز تفسير الآيات

جعل الله الإيمان بالملائكة في عداد الإيمان بالله واليوم الآخر وكتبه والنبين،

وعداوتهم في عداد عداوتهم.

ووصفهم بأنهم عباده، وأنهم يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في

(٧) معاني الأخبار للشيخ الصدوق، ص: ٣٥٧ - ٣٧٤، وعيون الأخبار له، ط. النجف

٣٦/٢، ومن لا يحضره الفقيه، له، تحقيق الفخاري ٤/٤٢٠، وبحار الأنوار للمجلسي، ١٤٥/٢،

الحديث رقم: ٧.

الأرض ويفعلون ما يأمرهم الله.

ولم يذكر الله ممّ خلق الملائكة - كما جاء في بعض الأحاديث أنه خلقهم من نور-^(٨)، وإنّا أخبر أنّه جعل لهم أجنحة: مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء، وأنهم يتمثلون في صورة الإنسان ويؤدون العمل الذي أمروا به، ولا يمكننا معرفة أجنحة الملائكة قياساً على أجنحة الطير - مثلاً - لأنّ الملائكة ليست أجساماً مادية مثل الطيور، ولا سبيل لنا لمعرفة حقيقتهم بما أوتينا من وسائل لمعرفة الأجسام بالحواس الخمس، وإنّا سبيلنا إلى معرفتها إنّما هو النقل، كما أن سبيلنا إلى معرفة البلاد التي غبنا عنها تنحصر بالسماع عنها، غير أنّنا عندئذ نستطيع أن نقايسها بأمثالها التي شاهدناها، وللعقل هنا أن يحكم بصدق ما ينقل ومن ينقل أو يرده، ولا مجال هنا لشرح كيفية عمل العقل عندئذ، ولا يمكن قياس عالم الغيب بما في عالمنا المادي.

وأخبر الله تعالى (ضمنا فيما أخبر) أنّه علّم الملائكة ما ينبغي أن يتعلّموه ولا بد أن يكون ذلك في حدود ما أمرهم أن يقوموا بعمله، وحكى سبحانه كيف أخبرهم بأنّه جاعل في الأرض خليفة.

وخليفة الله في الأرض هو الإنسان الذي عينه الله لهداية الناس، ويمثلهم في هذا الخبر آدم أبو البشر، وأخبر أنّ الملائكة قالت:
﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة ٣٠).

وجاء في الروايات أنّ الملائكة قالت ذلك لأنّ الله تعالى كان قد خلق قبل آدم (ع) في الأرض، خلقاً أراقوا الدماء وأفسدوا في الأرض وأبادهم الله بظلمهم،

(٨) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة ص: ٢٢٩٤، ومسنّد أحمد،

وقاست الملائكة حالة الخلق الجديد بما كانت قد رأت قبله من خلق الله. وكان جواب الله لهم: إِنِّي أعلم ما لا تعلمون. ثم خلق آدم (ع) وعلمه الأسماء كلها؛ أي حقائق الأشياء كلها فإن الأسماء جاءت هنا جميعاً للاسم بمعنى صفات الشيء الخاصة المبينة لحقيقته، وذلك لأن الله سخر ما في السموات والأرض لمنفعة الإنسان ولا بد أن يعلمه صفاتها وخواصها كما سيأتي شرحه في آخر هذا البحث إن شاء الله تعالى.

علم آدم خواص كل ما سخره له ليعمل مع ما سخره له في ما ينفعه، وعلم كل واحد من الملائكة علم كل ما خلق ذلك الملك للقيام به، علم - مثلاً - الملائكة التي خلقها للعبادة كيفية التهليل والتسبيح والتكبير لله كما هو أهله، وعلم الملائكة التي خلقها لتسجيل أعمال الإنسان، كيف تسجل ما يصدر عن الإنسان من خير وشر، وعلم ملائكة قبض الأرواح، كيفية قبضها، وكذلك علم غيرهم ما خلقوا للقيام به.

إذا لم تكن الملائكة تعلم ما علمه الله آدم (ع)، ولما سأل الله الملائكة عن تلکم الأسماء التي علمها آدم، قالت: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، فأمر آدم أن يعلمهم ما علمه الله، ثم أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم (ع) فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر كما سنشرحه في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

النتيجة

إن هذا الصنف من الخلق - الملائكة - الذين أسكنهم الله السموات والأرضين، ولهم حياة، وموت، وعقل مدرك دون هوى النفس، كان يكفيهم في مقام الهداية أن يتعلموا ما خلقوا من أجله ليدأبوا على القيام بالعمل طوال حياتهم، أما قصة سؤاھم في خبر السجود لآدم (ع) فلا تتجاوز أنهم كانوا لا يعلمون لماذا خلق آدم، ولما عرفوا ذلك بتعليم آدم إياهم الأسماء أطاعوا وأمر

الله وسجدوا له دون إبليس الذي أبى السجود لآدم (ع) واستكبر وأطاع هوى نفسه.

إذا فإن هداية الملائكة تكون بتعليمهم ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهُمْ.

ثانياً - التسخير للمسخرات:

نخص بالذكر هنا من امر الهداية بالتسخير بعض الآيات التي صرحت بأن الله سخر لكم المسخرات لمنفعة الإنسان^(٩).

قال الله سبحانه في:

أ - سورة الجاثية:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الآية ١٣).

ب - سورة المؤمن:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (الآية ٦٤).

ج - سورة الزخرف:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الآية ١٠).

د - سورة الرحمن:

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الآيات ١٠ - ١٣).

هـ - سورة الملك:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ.

(٩) إِنَّمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَ هِدَايَةِ هَذَا الصَّنَفِ لِتَقَدَّمَ عَصْرُ خَلْقِهَا عَلَى عَصْرِ خَلْقِ الْحَيَوَانَ.

وَالِيهِ النُّشُورُ ﴿ (الآية ١٥).

و - سورة الحج:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ...﴾ (الآية ٦٥).

ز - سورة الإسراء:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الآية ٧٠).

ح - سورة إبراهيم:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ* وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (الآيات ٣٢ - ٣٤).

ط - سورة النحل:

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ* هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* وَمَا ذَرَأَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ* وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ* وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (الآيات ٩ - ١٦).

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الآية ٦٧).

شرح الكلمات:

أ - سَخَّرَ:

سَخَّرَهُ يسخره فهو مسَخَّر: ذلّله، أخضعه وساقه إلى غرض معين قهراً، والسُّخْرِي: الذي يُقهر فيتسَخَّر.

ب - الأكمام:

جمع الكم: وهو الغلاف يغطي الثمر والحَبّ: من الشجر والنخل والزرع.

ج - الحَبّ:

الحَبّ يراد به: الحنطة والشعير والأرز.

د - العصف:

ما هو كالغلاف للحَبّ وهو قشره وفسّر بورق الزرع اليابس.

هـ - الرِّيحان:

الرِّيحان: النبات الطيّب الرائحة.

و - الآلاء:

الآلاء: النعم.

ز - ذلولاً:

ذَلَّت الدابة بعد شماس ذلاً: فهي ذلول، أو ممهدة يسهل السلوك فيها

وركوب منها.

ح - مناكبها:

ومفرده: المنكب من الإنسان وغيره: مجمع العضد والكتف، ومناكب

الأرض: فُسِّرَت بالجبال على التشبيه إذ هي ناتئة بارزة كمناكب البعير،

وبجوانب الأرض على التشبيه أيضاً، فإن منكمبي البعير جانباه.

ط - دائبين:

دأب: جدّ فيه وداوم عليه فهو دائب.

والدأب: الشأن.

ودائبين: مستمرّين في الحركة لا يفتّران إلى آخر الدنيا.

ي - تسيمون:

أسام الإبل يسيما: أخرجها وأرسلها للرعي.

ك - ذراً:

ذراً الله الخلق يذراًهم ذراً: خلقهم على وجه الاختراع، وبثّهم وكثّهم.

ل - مواخر:

مخرت السفينة مخرأ ومخورأ: إذا شقّت الماء بجوئجئها - صدرها - مستقبلة

له فسمع لها صوت، والسفينة ماخرة، والجمع مواخر.

م - تميد بكم:

ماد ميذاً: تحرّك واهتزّ.

والميد: اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض.

نتيجة البحث

إنّ الله تعالى خلق للانسان والأرض وما عليها وما فيها من بحار وأنهار وأشجار ونبات ومعادن وما تحت السماء الدنيا من مجّرات وشموس وأقمار كما قال سبحانه في سورة الجاثية: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾.

وقد هدّى هذا الصنف من الخلق تسخيراً أن يسير وفق نظام قدّر له برؤيته، ويخبر الله عن هذا النوع من الهداية في القرآن بلفظ سخر غالباً وفي موارد بلفظ جعل حيث يقول سبحانه: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُوراً﴾.

ثالثاً - الإلهام الغريزي لصنف كل ذي روح حيواني وان الله سبحانه
سخر جميعها لمنفعة الانسان:
قال الله سبحانه:

أ - في سورة النحل:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ
حِينَ تُرْبِحُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ* وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّوُوفٌ رَّحِيمٌ* وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً
وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الآيات ٥ - ٨).

إلى قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِّبَنَاءٍ
خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (الآية ٦٦).

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا
يَعْرَشُونَ* ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الآيتان
٦٨ و ٦٩).

ب - في سورة النور:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي
عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ (الآية ٤٥).

ج - في سورة الأنعام:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا
فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الآية ٣٨).

شرح الكلمات:

أ - فرث:

الفرث: ما في الكرش.

ب - أوحى الله إلى الحيوان شيئاً: الهمة إياه وهدايه لما يصدر عنه من فعل فيه حياته وصلاحه وقد يكون فيه دقة وحذق وصدور الفعل من هذا الصنف من الخلق قريب من صدور العمل تسخيرياً من الصنف المسخر.

ج - يَعْرُشُون:

عَرَشَ الْكَرْمَ: رفع أغصانه على الخشب، والبيت سَقْفَهُ.

د - ذُلُّا:

ذُلُّا: منقادة، غير متصعبة.



نتيجة البحث

شرَّعَ الله لكلَّ نوعٍ مَّا خَلَقَ تحت السماء الدنيا في الجوّ وعلى الأرض وفي جوفها وفي البحر مَّا جعل لها حياةً وموتاً ونفساً حيوانية دون العقل على اختلاف درجاتها في ما جعل لها، شرَّعَ الله لكلَّ نوعٍ من ذلكم نظاماً يتناسب وفطرته، وألهم كلَّ فردٍ من ذلك النوع بالغريزة التي فطره عليها أن يسير في حياته وفق ذلك النظام وبَيَّنَّ نوع هداية هذا الصنف من الخلق في ما أخبر تعالى عن حياة النحل في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ثمَّ كُلِّي من كلِّ الثمرات فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُّلاً يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿

(الآيتان ٦٨ - ٦٩).

إِذَا فَإِنَّ كُلَّ مَا يَصْدُرُ مِنَ النَّحْلِ مِنْ فِعْلٍ فِيهِ حَذَقٌ وَدَقَّةٌ وَحِكْمَةٌ إِنَّهَا هِيَ
بِإِلْهَامٍ مِنْ رَبِّنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفِي هَذَا الْبَيَانِ مِثَالٌ تَوْضِيحِيٌّ لِنَوْعِ الْهُدَايَةِ لِهَذَا
الصَّنْفِ مِنَ الْمَخْلُوقِ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُ الْأَنْعَامِ فِيهِ فِي الْآيَاتِ (٥ - ٨) وَمَا فِي
خَلْقِهَا وَنِظَامِ حَيَاتِهَا مِنْ حِكْمَةٍ وَنَفْعٍ، وَفِي التَّعْبِيرِ بِـ (أَوْحَى رَبُّكَ) إِيحَاءٌ بِأَنَّ رَبَّ
النَّحْلِ الَّذِي هَدَاهُ أَنْ يَسِيرَ فِي حَيَاتِهِ وَفَقًّا لِمَا قَدَّرَ لِحَيَاتِهِ مِنْ نِظَامٍ مُتَنَاسِبٍ
وَفَطَرْتَهُ؛ هُوَ رَبَّنَا الَّذِي شَرَعَ لَنَا نِظَامًا يَتَنَاسَبُ وَفَطَرْتَنَا الَّتِي فَطَرْنَا عَلَيْهَا بِحِكْمَةٍ
وَأَتَقَانَ، كَالَّذِي بَيَّانُهُ:

رَابِعًا: التَّعْلِيمُ بِالْوَحْيِ بِوَسِطَةِ الرِّسْلِ لَصَنْفِي الْإِنْسِ وَالْجَنِّ مُصَدِّقًا
لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ وَ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾ فِي سُورَةِ الْأَعْلَى

أَوَّلًا - الْإِنْسَانُ: خَلَقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْإِنْسَانَ وَقَدَّرَ حَيَاتَهُ وَجَعَلَ فِي طَبْعِهِ
هُوًى النَّفْسِ فِي مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ وَمَنَحَهُ الْعَقْلَ الَّذِي يَمَيِّزُ بِهِ مَا يَضُرُّهُ وَمَا
يَنْفَعُهُ^(١٠).

وَهِيَاهُ لِقَبُولِ الْهُدَايَةِ بِوَسِيلَتَيْنِ:

أ - النُّطْقُ بِاللِّسَانِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الْآيَتَانِ ٣ وَ ٤).

حَيْثُ أَهْلُمَ الْإِنْسَانُ النُّطْقَ بِاللِّسَانِ وَالتَّفَاهُمَ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ.

ب - الْقِرَاءَةُ وَالْكِتَابَةُ وَنَقْلُ الْفِكَارِ مِنْ إِنْسَانٍ إِلَى آخَرٍ وَمِنْ جِيلٍ إِلَى

أَجْيَالٍ مُتَعَاقِبَةٍ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْعَلَقِ:

﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (الْآيَتَانِ

(١٠) إِنَّمَا خَصَّصْنَا بِالذِّكْرِ غَرِيزَةَ هُوًى النَّفْسِ وَحَاسَّةَ الْإِدْرَاكِ وَالْعَقْلِ فِي الْإِنْسَانِ، لِمُشَارَكَةِ
الْجَنِّ إِيَّاهُ فِيهَا، وَهِيَ لَوْجُودُ هُوًى النَّفْسِ فِيهَا بِحَاجَةٍ إِلَى مَذْكُرِينَ يَذْكُرُونَهَا اللَّهُ وَمُبَشِّرِينَ
وَمُنْذِرِينَ مِنَ الرِّسْلِ وَالْأَوْصِيَاءِ.

ثم شرع الله سبحانه نظاماً لحياة الإنسان متناسباً وفطرته كما قال سبحانه في سورة الروم:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الآية ٣٠).

وهدى الله الإنسان إلى ذلك الدين المتناسب مع فطرته بواسطة إنزال

الوحي إلى رسله كما قال سبحانه:

أ - في سورة النساء:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...﴾ (الآية ١٦٣).

ب - في سورة الشورى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ...﴾ (الآية ١٣).

وسمى الله سبحانه الدين الذي أوحى به إلى الرسل بدين الإسلام كما قال

سبحانه في سورة آل عمران:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (الآية ١٩).

ثانياً - الجان: خلق الجان وقدر حياته مثل حياة الإنسان حين جعل في طبعه

هوئى النفس إلى ما تشتهيه نفسه ومنحه إدراك ما يضره عما ينفعه.

كما أخبرنا عن حال إبليس الذي كان من الجن في سورة الكهف وقال:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ...﴾ (الآية ٥٠).

وفصل القول سبحانه وتعالى في أمر إبليس هذا في سورة الأعراف وقال

جلّ اسمه:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ

خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١-١٨﴾

إنَّ هوى النفس في هذا الجنى المتمرد على الله العزيز الجبار أعظم من هوى نفس كل ذي هوى نفس.

وأيضاً أخبر الله تعالى في سورة الجنَّ عن وجود هوى النفس في عامَّة الجنِّ حيث ذكر جلَّ اسمه أنَّ الجنَّ قد بلغوا في متابعتهم لهوى النفس أن يقعدوا من الملائكة مقاعد يسترقون سمع حديثهم، ولم يتركوا فعلهم الشائن حتَّى بعث خاتم الأنبياء (ص)، ورماهم الله بالشهب الحارقة لهم، وفي الحديث أنهم كانوا ينقلون ما يسمعون من الملائكة إلى الكهنة ويزيدون عليه من أكاذيبهم بغياً وطيشاً منهم وايداء منهم لأولاد آدم (ع).

وأخبر الله عن ذلك - أيضاً - في سورة الجنِّ في قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ وأخبر عن مشاركة الجنِّ للإنس في متابعة هوى النفس وفي قولهم البعيد عن الحقِّ على الله وأنَّ منهم المسلمين وغير المسلمين.

وأخبر في سورة الأحقاف أنَّ نفراً منهم حضروا تلاوة - الرسول - القرآن فذهبوا إلى قومهم منذرين وأخبروهم أنَّ الله أنزل كتاباً بعد موسى (ع) - وهو القرآن - وطلبوا من قومهم أن يؤمنوا به، وكذلك أخبر في سورة الجنِّ عن مشاركة بعض الجن مع بعض الإنس في الظنِّ بأنَّ الله لن يبعث أحداً يوم القيامة.

ومن كل ذلك نستنتج وجود حاسة العقل والإدراك الكامل في الجنِّ كما هو في الإنسان، ودركهم لغة الإنسان واشتراكهم مع الإنسان في خاصَّة التعلم

بالمكاملة كما نفهم ذلك بصورة أجلى في ما حكى الله عن مكالمتهم مع سليمان في سورة النمل في الآيتين (١٧ و ٣٩).

هكذا يشترك الصنفان في جميع مجالات قوى النفس كما يشتركان - أيضاً - في مجالات العمل، كما أخبر الله سبحانه في سورة سبأ: أَنَّ الْجَنَّ كَانُوا يَعْمَلُونَ لَهُ - لسليمان - مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ... ﴿ (الآيتان ١٢ - ١٣).

وقال في سورة الأنبياء:

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ...﴾ (الآية ٨٢).
وأشركهما في الهداية بدين الإسلام وإرسال الرسل إليهما، مبشرين ومنذرين ومعلمين، ليؤمنوا بالله وحده لا يشركون به أحداً، وبرسله وكتبه وملائكته والبعث ويوم القيامة وما يتبعه من مشاهد يوم القيامة.

أما الأحكام فما كان منها في الآداب الاجتماعية مثل مساعدة الضعفاء والمحتاجين من المؤمنين وترك أذى الآخرين وما شابههما فهما يشتركان فيها، أما العبادات من صلاة وصوم وحج فلا بد أن تكون للجن بحسب حالهم كما أن بني آدم يختلف بعضهم عن بعضهم الآخر في الأحكام، مثل اختلاف أحكام الرجل عن المرأة والمريض عن المعافى والمسافر عن المقيم إلى غير ذلك.

نتيجة البحوث

خلق الله الملائكة جنوداً له في الألوهية والربوبية كما أخبر عن ذلك في الآيات التي ورد فيها ذكر الملائكة^(١١) ومن ثم خلقهم جلّ أسمه قبل غيرهم وكانوا حملة عرشه حين كان عرشه على الماء^(١٢)، كما قال سبحانه في سورة هود:

(١١) راجع مادة (ملك) من المعجم المفهرس للقرآن الكريم.

(١٢) المقصود من العرش محلّ جنود الله من الملائكة العاملة لألوهية الله وربوبيته وأنه كان

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...﴾

(الآية ٧).

وخلق الله سبحانه السموات وما فيها وما عليها مما نعلم من الملائكة ومما لانعلم، وما تحتها مما نعلم من كواكب ونجوم وشموس وأقمار وبروج ومما لانعلم، وخلق الأرض وما عليها وما فيها من مياه ونبات ومعادن من مرافق الحياة وما بين السموات والأرض من غازات وغيرها مما نعلم ومما لانعلم، كل ذلك مما تحتاجه الأصناف الثلاثة، الحيوان، والجن، والإنس في حياتهم، ثم خلق الحيوان قبل خلق صنفى الجن والإنس لحاجتهما في حياتهما إليه، ثم خلق الجن قبل الانسان كما أخبر سبحانه في خبر خلق آدم (ع) أنه أمر الملائكة - الذين كان إبليس الجنى منهم - أن يسجدوا لآدم بعد خلقه، ثم خلق الإنسان بعد خلق جميع الأصناف من خلقه.

كان ذلكم خبر خلق الأصناف الأربعة من خلق الله سبحانه كما استنبطناه من آيات القرآن الكريم والروايات، وكما تقتضيه حاجة المتأخر خلقه إلى وجود الصنف المتقدم عليه في الحياة، أما أنواع هدايتهم فلما كان الله رب العالمين منح الملائكة والإنس والجنّ العقل والإدراك كان نوع هدايتهم بالتعليم المباشر وغير المباشر كما أخبر سبحانه عن الملائكة أنهم قالوا في خبر خلق آدم (ع): ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.

وأخبر عن صنف الإنسان أنه سبحانه: ﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وأنه: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وأخبر عن صنف الجنّ في ما حكى عنهم أنهم تعلّموا القرآن واهتدوا به عندما سمعوا تلاوة الرسول (ص) للقرآن.

محلهم قبل خلق السموات والأرض على الماء.

ولما كان سبحانه منح صنف الحيوان ومطلق الدواب شيئاً من الإدراك كان
نوع هدايتها بالإلهام الغريزي لكل فرد منها.
ولما كان سائر الخلق ما عدا المذكورين من الكواكب والنجوم حتى الذرة
لم يمنحهم الله شيئاً من الإدراك كانت هدايته لهم بالتسخير، كما فصل بيان كل
ذلك في كتابه الكريم، وسمى النظام الذي شرّعه لهداية الإنسان بدين الإسلام،
كما سندرسه بإذنه تعالى في البحوث الآتية.

(٥)

الدِّين والإِسْلَام

أ - معنى الدِّين.

ب - الإِسْلَام والمُسلِم.

ج - المؤمن والمنافق.

د - الإِسْلَام اسم لجميع الشرائع.

هـ - تحريف الشرائع وأسمائها.

١ - تحريف اليهود والنصارى كتاب الله ودينه.

٢ - تحريف اليهود والنصارى اسم الدين

ومنشأ التحريف.

و - تناسب أحكام الإِسْلَام مع فطرة الإنسان.

ز - الإنسان والنفس الأُمارة بالسوء.

ح - مشاركة الجنِّ للإنس في شريعة الإِسْلَام.

- أ - الدِّين

استعمل لفظ الدين في الشرع الإسلامي في معنيين:
١ - الجزء:

وإنَّ يومَ الدين في القرآن الكريم هو يوم الجزاء، مثل قوله تعالى في سورة الفاتحة:

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الآية ٤).

٢ - الشريعة، مُتَّصِنًا معنى الطاعة والانقياد، وأكثر ما استعمل الدين في الشرع الإسلامي، كان بهذا المعنى، مثل قوله تعالى في حكاية يوسف وأخيه في سورة يوسف:

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (الآية ٧٦).

أي: في طاعة الملك وشريعته.

وقوله تعالى في سورة البقرة:

﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾ (الآية ١٣٢).

أي: الشريعة والطاعة، والانقياد لله.

- ب -

الإسلام والمسلم

الإسلام: هو الانقياد لله، ولما أنزل من الشرائع والأحكام.

قال الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (الآية ١٩).

والمسلم: هو المنقاد لله ولما أنزل من الشرائع.

وبناءً على هذا فإن الإسلام في عصر آدم: هو الانقياد لله ولما أنزل على آدم

من شريعة الله، والمسلم من أنقاد لله ولما أنزل على آدم من الشرائع، ويتضمن

هذا الانقياد الإطاعة لآدم الذي أصطفاه الله لحمل شريعته في عصره.

وفي عصر نوح هو الانقياد لله ولما نُزل على نوح من الشرائع، وطاعة نوح

باعتباره نبياً مرسلًا من قبل الله، والإيمان بصدق نبوة آدم من قبله، والمسلم من

آمن بذلك.

وفي عصر إبراهيم (ع): الانقياد لله ولما نُزل على نوح، وإطاعة

إبراهيم (ع) المرسل من قبل الله، والإيمان بمن سبقه من الأنبياء والرسل حتى

آدم.

وفي عصر موسى (ع) وعيسى (ع) كذلك.

وفي عصر خاتم الأنبياء (ص) كذلك.

وقد عين الله في عصر خاتم الأنبياء له حدًّا، وهو القول باللسان:

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».
ويُسَمَّى هذا الحَدُّ بالشهادتين.

ويلزم هذا الإقرار باللسان، عدم إنكار أيِّ ضروريٍّ من عقائد الإسلام وأحكامه، وعدم إنكار نبوة الأنبياء السابقين المذكورين في القرآن الكريم، أي أن لا ينكر ما أجمع عليه المسلمون أنه من الإسلام، مثل وجوب الصلاة والصوم والحج، وحرمة شرب الخمر وأخذ الربا ونكاح المحرمات وأمثالها مما يعرف حكمه جميع المسلمين.

- ج -

المؤمن والمنافق

ومن ثم قال الله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات:
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾ (الآية ١٤).

الْمُؤْمِنُ مَنْ نَطَقَ بالشهادتين بلسانه وآمن بقلبه بعقائد الإسلام وعمل بأحكامه، وإن صدرت منه مخالفة لأحكام الإسلام علم أنها معصية وعليه أن يتوب إلى الله ويستغفره.

ويظهر الفرق بين المؤمن والمسلم يوم القيامة، أما في الدنيا فكلاهما تجري عليها أحكام الإسلام والمسلمين.

النِّفَاقُ وَالْمُنَافِقُ

أ - نافع اليربوع؛ إذا ضرب برأسه النّافقَاء من جحره ومرق منه؛ وذلك لأن لجحر اليربوع باباً ظاهراً يسمّى (القاصعاء) ومخرجاً قد رقق التراب من جانبه دون أن يظهر ذلك من سطح الأرض؛ فإذا هوجم من بابه القاصعاء ضرب برأسه النّافقَاء ومرق منه وهرب، وعندئذ يقال: «نافق اليربوع».

ب - في المصطلح الإسلامي:

نافق الرجل نفاقاً: أظهر الإسلام وعمل بعمله وأبطن الكفر؛ فهو مُنافِقٌ.
قال الله سبحانه في سورة المنافقون:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً...﴾ (الآيتان ١ - ٢).
أي اتخذوا ما يحلفون به سترًا سميكا. إذا فهم يسترون نفاقهم بستر سميك من اليمين الكاذبة، والله يكشف للرّسول (ص) زيف قولهم.

وقال سبحانه في سورة النساء:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ...﴾ (الآية ١٤٢).

- د -

الإسلام اسم لجميع الشرايع

جاء في القرآن الكريم ذكر الاسلام والمسلمين في شأن الأمم السابقة كالآتي:

أخبر الله سبحانه وتعالى في سورة يونس عن نوح (ع) أنه قال لقومه:
﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الآية ٧٢).

وأخبر سبحانه وتعالى عن إبراهيم (ع) وقال في سورة آل عمران:
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الآية ٦٧).

وقال عزَّ اسمه في سورة البقرة:
﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَابْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الآية ١٣٢).

وقال في سورة الحج:
﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ (الآية ٧٨).

وأخبر سبحانه في سورة الذاريات عن قرية قوم لوط (ع)، وقال:
﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ

المُسْلِمِينَ ﴿ (الآيتان ٣٥ - ٣٦) .

وأخبر الله سبحانه وتعالى عن موسى (ع) في سورة يونس أنه قال لقومه:
﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (الآية ٨٤).

وأخبر في سورة الأعراف عن سحرة فرعون قولهم:
﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الآية ١٢٦).

وأخبر في سورة يونس عن فرعون وقال عز اسمه:
﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الآية ٩٠).

وأخبر في سورة النمل عن سليمان (ع) أنه كتب للملكة سبأ:
﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي
مُسْلِمِينَ﴾ (الآيتان ٣٠ - ٣١).

وأنه (ع) قال في السورة نفسها:
﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (الآية ٣٨).
وقال سبحانه وتعالى عن شأن حوارِيَّ عيسى (ع) في سورة المائدة:
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ﴾ (الآية ١١١).

وقال عز اسمه في سورة آل عمران:
﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ
نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (الآية ٥٢).

ولم يقتصر مجيء هذا المصطلح بالنسبة الى الأمم على ما جاء في القرآن
الكريم، بل جاء مع ذكر خبرهم في مصادر الدراسات الإسلامية مثل ما رواه ابن
سعد بسنده إلى ابن عباس أنه قال بعد ذكر خروج نوح من السفينة:
«وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام».

وقال في رواية بعدها:

«كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام».

ونقل في تَمَّة رواية ابن عباس أنه قال فيمن خرجوا من السفينة وسكنوا

قرية:

«فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف كلهم على الإسلام»^(١).

- ه -

تحريف الشرايع السابقة وتحريف أسمائها

إنَّ تسمية بعض الأديان بغير اسم الإسلام مثل اليهودية والنصرانية

تحريف لاسم الدين، كفعلهم في تحريف الشريعة الربوبية، وبيان ذلك:

أ - تسمية اليهود:

إنَّ اليهود، نسبة إلى بلدة يهودا التي كانت في جبل صهيون في الجنوب

الغربي من أورشليم، والتي أخذها داود عاصمة للملكة وبنى فيها محلاً للتابوت الذي كان فيه التوراة وسائر موارد أنبياء بني إسرائيل ودفن فيها ملوكهم^(٢).

ب - تسمية النصارى:

النصراني نسبة إلى بلدة الناصرة في الجليل من فلسطين الذي عاش فيه

(١) طبقات ابن سعد، ط، أوربا ١/١٨.

وروى ابن كثير في تاريخه ١/١٠١ عن ابن عباس - أيضاً - روايته: «عشرة قرون كلهم على

الإسلام».

(٢) قاموس الكتاب المقدس - فارسي - مادة (يهود) و (يهودا) و (صهيون).

عيسى ابن مريم (ع) في صغره، وأشتهر عليه السلام في عصره بعيسى الناصري، وأشتهر تلاميذه - أيضاً - بسبب ذلك بالناصري^(٣).
والمسيحية - أيضاً - نسبة إلى المسيح عيسى ابن مريم، ولقّب أتباع المسيح بالمسيحيين منذ سنة (٤١) ميلادية، وكانوا يقصدون من ذلك ذمهم^(٤).

ج - تحريف الشريعة:

لما كانت معرفة الألوهية والربوبية أساساً لمعرفة العقائد والأحكام في الدين فاننا نقتصر في بيان كيفية تحريف اليهود والنصارى شريعتي موسى وعيسى (ع)، على بيان تحريفها عقيدة الألوهية والربوبية في دينيها:

أ - تحريف اليهود لشريعة موسى (ع):

نذكر في ما يأتي ملخصاً من الاصحاح الثاني وتام الاصحاح الثالث من سفر التكوين من التوراة:

ملخص الاصحاح الثاني:

«غَرَسَ الرَّبُّ إِلَهُ جَنَّةٍ فِي عَدْنٍ وَأَجْرَى مِنْهَا أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ، مِنْهَا الْفُرَاتُ وَجِيحُونَ، وَغَرَسَ فِيهَا الْأَشْجَارَ، وَغَرَسَ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ شَجَرَةَ الْحَيَاةِ وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَسْكَنَ فِيهَا آدَمَ، وَأَوْصَى الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ قَائِلاً: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لَأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا تَمُوتُ مَوْتاً، وَأَوْقَعَ سِبَاتاً عَلَى آدَمَ وَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَخَلَقَ مِنَ الضَّلَعِ حَوَاءَ زَوْجَةً لآدَمَ، وَكَانَا كِلَاهُمَا عُرْيَانَيْنِ آدَمُ وَأَمْرَأَتُهُ وَهُمَا لَا يَخْجَلَانِ».

(٣) المصدر السابق مادة (الناصرة) و (الناصري).

(٤) المصدر السابق، مادة (المسيح) و (المسيحي).

الاصحاح الثالث

١ وَكَانَتِ الْجَنَّةُ أُخْبِلَ جَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَلَيْهَا الرَّبُّ إِلَهُهُ. فَقَالَتِ لِلْمَرْأَةِ
أَخَا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ. ٢ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ
٣ وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمْسَاهُ لِئَلَّا نَمُوتَا.
٤ فَقَالَتِ الْجَنَّةُ لِلْمَرْأَةِ لَنْ نَمُوتَا. بَلِ اللَّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ نَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفُخُ أَعْيُنُكُمَا
وَتَكُونَانِ كَاللَّهُ عَارِفَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. ٥ فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ وَأَنَّهَا
بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا
مَعَهَا فَأَكَلَ. ٦ فَانْتَفَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ يَبِنٍ وَصَنَعَا لِنَفْسِهِمَا
مَازَرَ

٨ وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهُهِمَا مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ. فَأَخْبَأَ آدَمُ
وَأَمْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ إِلَهُهِمَا فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. ٩ فَنَادَى الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ
أَيْنَ أَنْتَ. ١٠ فَقَالَ سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لِأَنِّي عُرْيَانٌ فَأَخْبِئْتُ. ١١ فَقَالَ مَنْ
أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ. هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا. ١٢ فَقَالَ آدَمُ
الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ. ١٣ فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُهُمَا لِلْمَرْأَةِ مَا هَذَا
الَّذِي فَعَلْتَ. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ الْجَنَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ. ١٤ فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُهُمَا لِلْحَيَّةِ لِأَنَّكَ
فَعَلْتَ هَذَا مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وَحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكَ تَسْعِينَ
وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. ١٥ وَأَضَعُ عِلَاقَةَ بَيْنِكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلَهَا.
هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ. ١٦ وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَنْعَابِ حَبْلِكَ. بِالْوَجَعِ

تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ أَشْيَاؤُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ.^{١٧} وَقَالَ لِآدَمَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ
لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا لَا تَأْكُلْ مِنْهَا مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ
بِسَبَبِكَ يَا لَتَعْبٍ نَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ.^{١٨} وَشَوْكًَا وَحَسَاكًا تُنَبِّئُ لَكَ وَتَأْكُلُ
عُشْبَ الْحَقْلِ.^{١٩} بِعَرْقٍ وَجْهِكَ نَأْكُلُ خُبْرًا حَتَّى نَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَخَذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ
تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ نَعُودُ

^{٢٠} وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ حَوَاءَ لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ.^{٢١} وَصَنَعَ الرَّبُّ الْإِلَٰهَ لِآدَمَ وَامْرَأَتِهِ
أَقْبِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَالْبَسَمَاءَ

^{٢٢} وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَٰهَ هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ
لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ.^{٢٣} فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ
الْإِلَٰهَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا.^{٢٤} فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ
جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ وَلِهَيْبَ سَبَفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ

إِذْنًا فَإِنَّ الرَّبَّ الْإِلَٰهَ قَدْ كَذَبَ عَلَى مَخْلُوقِهِ آدَمَ حِينَ قَالَ لَهُ: تَمُوتُ مَوْتًا
إِنْ أَكَلْتَ مِنْ شَجَرَةٍ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَإِنَّ الْحَيَّةَ أُعْلِمْتَ حَوَاءَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ
وَكَذَبَ الرَّبُّ الْإِلَٰهَ، فَأَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ فَتَفَتَّحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَأَدْرَكَ أَنََّّهُمَا عُرْيَانَانِ،
وَاخْتَبَأَا لَمَّا سَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَٰهَ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ وَلَمْ يَعْرِفِ الرَّبُّ مَكَانَهُمَا
وَنَادَى الرَّبُّ الْإِلَٰهَ آدَمَ! أَيْنَ أَنْتَ؟ فَأَخْبَرَهُ آدَمُ أَنَّهُ اخْتَبَأَ لِأَنَّهُ عُرْيَانٌ، وَسَأَلَ
الرَّبُّ الْإِلَٰهَ آدَمَ كَيْفَ عَرَفَ أَنَّهُ عُرْيَانٌ وَهَلْ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَأَخْبَرَهُ آدَمُ
بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَغَضِبَ الرَّبُّ الْإِلَٰهَ عَلَى آدَمَ وَحَوَاءَ وَالْحَيَّةِ وَأَعَادَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ
وَعَاقَبَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ، وَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ الْإِلَٰهَ أَنَّ هَذَا الْمَخْلُوقَ أَصْبَحَ عَارِفًا الْخَيْرَ
وَالشَّرَّ مِثْلَهُ، وَخَشِيَ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ وَيَأْكُلَ مِنْهَا فَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ
طَرَدَهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ، وَأَقَامَ فِي طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ حِرَاسَةً مِنَ الْكَرُوبِيمِ لئَلَّا

يقربها الإنسان.

ما أضعفَ الرَّبَّ الإلهَ هذا - تعالى الله عما يصفون - حين يخشى مخلوقه أن يصبح مثله، ويتخذ كل الإجراءات لمنع من الرقي إلى درجته.
وما أكذبه وأحيله حين أحتال على مخلوقه وكذب عليه بما بان كذبه فيما بعد.

وما أظلمه حين عاقب الحية على صدق قولها لحواء.
ولم أعرف ماذا يقصد بـ (هو ذا الإنسان صار كواحد منّا)، هل يقصد أن هناك غير الرب الإله الواحد آلهة وأرباباً آخرين حين ورد لفظ (منّا) بصيغة الجمع؟

وأخيراً ماهو أثر هذه المعرفة على من أعتقد بصحة التوراة حين يقرأ فيها أن الإله الرب يكذب ويحتال ويمنع الإنسان من الوصول إلى درجة الكمال لخوفه من هذا الإنسان؟! سبحان الله وتعالى عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

ب - تحريف النصارى:

كان ماذكرناه مشتركاً بين اليهود والنصارى، واختص النصارى بتحريف في عقيدة الألوهية والربوبية كالآتي بيانه:

التثليث عند النصارى:

قالت النصارى: المسيح ابن الله، والله أبوه، وهما مع روح القدس شيء واحد وهو الله، فالله الواحد ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، والثلاثة (الله وعيسى وروح القدس) واحد وهو الله. إن الثلاثة واحد، وإن الواحد ثلاثة.
وقال الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ * وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي

إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ *... مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفِكُونُ ﴿ (الآيات ٧٢ - ٧٥).

وقال عزَّ اسمه في سورة النساء:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (الآية ١٧١).

وصدق الله وكذب المحرِّفون وتعالى الله عما يقول الظالمون.

* * *

وإذا كان الأمر كما بيناهُ - وهو كما بيناهُ - بأن الدين عند الله هو الإسلام، وأن تسمية الدين بغير الإسلام تحريف، وأن اليهودية والمسيحية محرقتان اسمياً وشرعية؛ فما هو الإسلام الصحيح؟ وما هي شريعة الإسلام؟

- و -

وتناسب أحكامه مع فطرة الإنسان

الإسلام من القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى في سورة الروم:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ٣٠)

شرح الكلمات

أ - حَنِيفاً

الحَنِيفُ: الميل عن الضلال إلى الاستقامة، والجَنَفُ: الميل عن الاستقامة إلى
الضلال، والحَنِيفُ: المائل عن الضلال إلى الحق.

والحَنِيفُ: المخلص الذي أسلم لأمر الله فلم يلتو في شيء من دينه.

ب - فَطَرَ:

فطر الأمر: اخترعه، وفطر الله العالم: أوجده ابتداءً.

وعلى هذا يكون معنى الآية: إن الله بعد أن ذكر قبل هذه الآية أنواعاً من

ضلال الضالين عن طريق الإسلام، وأشار إلى صالح الأعمال، فرَّع على ذلك

وقال سبحانه وتعالى:

فأقم وجهك للدين - والدين عند الله الإسلام - مائلاً عن الضلالة إلى

الاعتدال الذي هو الحق، وإن إقامة الوجه الى دين الإسلام هي مقتضى فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، ولا تبديل لفطرة الله، ولذلك لا تبديل لدينه المتناسب مع فطرة الإنسان، والاتساق مع الفطرة هو الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وشأن جميع ذوات الأرواح شأن الإنسان في ذلك، فإن النحلة - مثلاً - بفطرتها وهدايتها الغريزية التي أوجدها الله في تكوينها تجرس من أنوار الزهر ما هو صالح للتعسيل، وأحياناً تخالف فطرتها وهدايتها وتجرس ما لا يصلح للتعسيل ويضر بصالح الخلية، فيتقدم إليها حرس الخلية ويقطعونها إرباً.

والدجاجة بفطرتها والهداية الغريزية التي أوجدها الله فيها تلتقط ما طاب من الحب والخضار، وإذا خالفت الهداية الربوبية الغريزية لها وتناولت الغائط النجس شرعاً سميت: بالجلالة، وتتنجس، ولا يؤكل لحمها حتى تتناول الحب الطيب ثلاثة أيام.

وحكم الرب بالنسبة الى جميع الخلق واحد يهديهم الى القيام بالعمل النافع لهم والاجتناب عن العمل الضار لكيانهم، وبالنسبة الى الانسان قال تعالى في سورة المائدة:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ...﴾ (الآية ٤).

وقال تعالى في سورة الأعراف:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الآية ١٥٧).

وملاك الأمر في الأحكام الإسلامية: النفع والضرر للانسان، وإنما حرم الخبائث لأنها ضارة له، وأحل الطيبات لأنها نافعة له.

ويؤيد ذلك قوله تعالى في سورة الرعد:
﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الآية

(١٧).

وقوله تعالى في سورة الحج:
﴿وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ...﴾ (الآيتان ٢٧ - ٢٨).

وقال قبله وفي السورة نفسها:
﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نِفْعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ..﴾ (الآيتان ١٢ - ١٣).

وحرّم الله الربُّ ما فيه نفع للإنسان وضرر، ولكن ضرره أكبر، كما قال سبحانه في سورة البقرة:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (الآية ٢١٩).

وتتسع دائرة النفع والضرر وتتسع تبعاً لها دائرة الحلال والحرام للمخلوق بآتساع أبعاد وجوده، والإنسان أوسع المخلوقات في أبعاد وجوده، فكانت الحكمة تقتضي مراعاة النفع والضرر له في أبعاد وجوده. فإن الإنسان الذي له جسد تضرّ جسده أشياء وتنفعه أشياء، ولذلك فقد أحلّ الله للإنسان ما ينفع جسده مثل أكل الطيبات، وحرّم عليه ما يضرّ جسده مثل أكل الخبائث.

وأمثال هذه الأحكام للإنسان بمفرده، سواء أعاش وحده في كهوف الجبال وأدغال الغابات أم عاش في المجتمعات الانسانية، أم عاش على كوكب آخر غير الارض.

وبما أن الله قد جعل كمال حياة الإنسان في الحياة الاجتماعية لذلك فقد أحلّ الله للإنسان - أيضاً - ماينفع المجتمع مثل التجارة، وحرّم عليه ما يضرّ

المجتمع مثل الربا والقمار.

ولما كانت له نفس - وتهذيب النفس من ضرورات الحياة - فقد فرض عليه الحج لما فيه من تهذيب النفس ومشاهدة منافع أخرى، وحرّم عليه ما يضرّ المجتمع وأرشدّه إلى ما فيه نفع المجتمع.

وقال تعالى في سورة الحجرات:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِشَرِّ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الآية ١٠ - ١٢).

وكذلك شأن التشريع الإسلامي فإنه متناسب مع فطرة الإنسان في كل زمان ومكان. لذلك نجد في القرآن الكريم أن الله تبارك وتعالى قد فرض الصلاة والصوم والزكاة على الأمم السابقة كما فرضها علينا، وحكى سبحانه وتعالى في هذا الشأن عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وقال في سورة الأنبياء:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ...﴾ (الآية ٧٣).

وحكى في سورة مريم عن عيسى (ع) أنه قال:

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (الآية ٣١).

وقال عن إسماعيل صادق الوعد في سورة مريم كذلك أنه (ع):

﴿كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (الآية ٥٥).

وأمرنا الله تعالى بالصوم، فقال في سورة البقرة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ (الآية ١٨٣).

ونَهَاَنَا عَنِ الرَّبَا كَمَا نَهَى الْأُمَمُ السَّابِقَةَ عَنْهُ، وَأَخْبَرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي
سُورَةِ النِّسَاءِ وَقَالَ:

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ...﴾ (الآية ١٦١).

وَكُتِبَ عَلَيْنَا فِي الْقِصَاصِ مَا كُتِبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ فِي
سُورَةِ الْمَائِدَةِ عَنِ التَّوْرَةِ وَقَالَ:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا...﴾ * وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ...﴾ (الآية ٤٥).

وعندما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾
(الآية ٢٣٣).

جَعَلَ ذَلِكَ نِظَامًا لِلْإِنْسَانِ الْوَلَدَ مِنْذُ أَوَّلِ مَوْلُودٍ وَلَدَ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ، وَلِكُلِّ
وَلَدٍ يُولَدُ بَعْدَهُ عَلَى أَيِّ أَرْضٍ كَانَ، لَا يَخْتَصُّ بِشَرِيعَةٍ دُونَ أُخْرَى، لِأَنَّ هَذَا
النِّظَامَ مُتَنَاسِبٌ مَعَ فِطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ
لَا تَبْدِيلَ لِدِينِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلِمَ إِذَا يَخَالِفُ الْإِنْسَانُ أَحْكَامَ اللَّهِ الْمُتَنَاسِبَةَ مَعَ
فِطْرَتِهِ؟ هَذَا مَا سَنُدرسه فِي الْبَحْثِ الْآتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

- ز -

الإنسان والنفس الأمارّة بالسوء

عرفنا ممّا سبق أنّ فِي غير صنف أصحاب الهداية التسخيرية من ذوات

الأرواح من الخلق ما تخالف هداية الربّ الغريزية لها مثل الدجاجة التي تتناول غائط الانسان النجس بدل التقاط ما طاب من الحبّ والخضار فتستبرأ بإطعامها ثلاثة أيام ممّا طاب وطهر من الطعام.

والنحل التي تجرس من نور الأزهار ما يضرّ عمل التعسيل في خلية النحل فتمزقها الحرس في مدخل الخلية حفظاً لبقاء نوعها وإدامة حياتهم. وكذلك شأن البشر فإنّ فيهم من يخالف النظام الملائم لفطرة الإنسان والذي هداه الربّ إليه بواسطة الأنبياء اتباعاً لهوى نفسه. وبيان ذلك أنّ الله تعالى فضّل الإنسان على ذوات الأرواح بمنحه النفس الإنسانية التي لا يعرف أبعاد وجودها غير خالقها، ومما أمتازت به تلكم النفس؛ العقل الذي به يسخر الإنسان جميع ما يراه من الخلق من الذرة إلى ما لا نعرف اليوم نهايته.

وقال سبحانه في وصف النفس في سورة الشمس:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الآيتان ٧ - ٨).

شرح الكلمات

نفس:

جاءت النفس في اللغة العربية لعدّة معانٍ منها:

أ - الروح التي بها الحياة، وإذا زابت الجسم نزل به الموت، ويقال:

خرجت نفس المحتضر.

ب - الشيء ذاته و حقيقته ونفس الانسان والجن من هذا الباب.

ج - الشيء عينه، ويقال في مقام التأكيد: جاءني محمد نفسه.

د - ماتقع موقع القلب. ويكون بها التمييز والادراك، والاحساس لما يحيط

به، وتفارقه في النوم وعندما يغيب وعيه، وهي التي توجهه إلى أفعال الخير والشر.

ويقال: أمرتني نفسي وسوّلت لي نفسي فعل السوء^(٥)، وهذا المعنى هو المراد من النفس في الآية الكريمة.
سَوَّاهَا:

أَتَمَّ خَلْقَهَا حَتَّى بَلَغَتْ دَرَجَةَ الْكَمَالِ وَتَهَيَّأتَ لِقَبُولِ الْهُدَايَةِ.
فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا:

أَلْقَى فِي النَّفْسِ إِحْسَاساً تُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الضَّلَالِ وَالْهُدَى. وَيُعَبِّرُ عَنْ ذَلِكَ فِي عَصْرِنَا بِالضَّمِيرِ.

وَمِنْ صِفَاتِ هَذِهِ النَّفْسِ وَأَفْعَالِهَا مَا يَشْتَرِكُ الْإِنْسَانُ فِيهَا مَعَ صَنْفِ الْحَيَوَانِ مِنَ الْحُبِّ وَالرِّضَا، وَالرَّغْبَةِ وَالْهُوَى، وَالْكَرْهِ وَالْبَغْضِ وَالنَّفُورِ، مُضَافاً إِلَيْهَا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَالْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ.

وَيَثَابُ الْإِنْسَانُ إِذَا اتَّبَعَ إِرْشَادَ عَقْلِهِ وَتَرَكَ الشَّرَّ وَالْخَبَائِثَ، وَيُعَاقَبُ إِذَا خَالَفَ حُكْمَ الْعَقْلِ وَاتَّبَعَ هَوَى نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾
(الْآيَتَانِ ٤٠ - ٤١).

وَفِي سُورَةِ مَرْيَمَ وَصَفَ قَوْماً وَقَالَ جَلَّ أَسْمُهُ:

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ (الْآيَةُ ٥٩).

وَكَمَا أَنَّ فِي دَاخِلِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَةِ قَوْتَيْنِ مُتَكَافِئَتَيْنِ مِنْ دَوَافِعِ الْخَيْرِ وَنَوَازِعِ الشَّرِّ، فَكَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ خَارِجِ نَفْسِهِ فَرِيقَيْنِ:
فَرِيقاً يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَى وَتَرَكَ هَوَى النَّفْسِ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَاتَّبَاعُهُمْ.

(٥) راجع مادة: (نفس) في مفردات الراغب ومعجم الفاظ القرآن الكريم، وقد قسّم المعنى الرابع إلى ثلاثة أقسام ورأيناها واحدة كما ذكرناها.

وفريقاً يدعونه إلى الضلال ومتابعة هوى النفس، وهم شياطين الجن والإنس.

ولاسلطان لأيٍّ من الفريقين على الإنسان، وإنما يُزَيَّن للإنسان كل فريق ما هو أهله من الضلال والهدى، كما أخبر سبحانه في سورة الحجر عن الشيطان أنه قال عندما طرده من الجنة:

﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ (الآية ٣٩).

وفي سورة إبراهيم أخبر عن خطابه لمن تبعه يوم القيامة وقال سبحانه:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ (الآية ٢٢).

وكذلك شأن الأنبياء مع الناس كما قال سبحانه في خطابه لخاتم أنبيائه (ص) في سورة الغاشية:

﴿قَدْ كَرَّ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الآيتان ٢١ - ٢٢).

وقال سبحانه وتعالى في سورة البلد:

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (الآية ١٠).

أي: طريقي الخير والشر.

وقال سبحانه في سورة الإنسان:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الآية ٣).

وقال عز وجل في سورة البقرة:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الآيتان ١٧٧ - ١٧٨).

ومن ثم يكون الإنسان مسؤولاً عن عمله كما قال سبحانه وتعالى في سورة الزلزلة:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الآيتان

٧ - ٨).

* * *

كان ذلكم ما اخبر الله عن الانس ويشاركهم الجن في ذلك كما مر بنا
الاشارة إليه في بحث اصناف الخلق وتفضيله كالاتي بيانه باذنه تعالى:

- ح -

مشاركة الجن للإنس في شريعة الإسلام

قال سبحانه:

أ - في سورة الأحقاف:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا
فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ
مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا
دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ...﴾ (الآيات ٢٩ - ٣١).

ب - في سورة الجن:

﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي
إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا
وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ

رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا
مِلْتًا خَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ
يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا * وَأَنَا لَآنَدِرِي أَشْرًا أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ
رَشَدًا * وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَا ذُوْن ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا * وَأَنَا ظَنَّنَا أَن لَّن
نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَا لَّمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ
بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ
فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَالْوِاسْتِقَامُوا عَلَى
الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿ (الآيات ١ - ١٦).

ج - في سورة الأنعام:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ
النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *... يَامَعْشَرَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا
قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ﴿ (الآيات ١٢٨ و ١٣٠).

شرح الكلمات

أ - جَدُّ:

الجَدُّ هنا: العظمة والجلال.

م - غَدَقًا:

غَدَقَ الماء غَدَقًا: كثر، وهم في غدق من العيش: في نعمة وخصب.

تفسير الآيات:

وبعد بعثة خاتم الأنبياء صرف الله نقرأ من الجن للاستماع الى تلاوة رسول الله (ص) القرآن، فقال بعضهم لبعض «أنصتوا»، فلما أنتهى الرسول (ص) من تلاوة القرآن أنصرفوا إلى قومهم ينذرونهم، وقالوا: «يا قومنا إنا سمعنا كتاباً - أي القرآن - أنزل بعد موسى مصداقاً للكتب التي نزلت قبله يهدي إلى الحق، ويا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به فإننا آمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً، وإن ربنا تعالى عن أن يتخذ صاحبة أو ولداً، وإن رجلاً من الإنس ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً، وإنّ منّا - معاشر الجنّ - الصالحون ومنّا دون ذلك، وكانت سيرتنا مختلفة، وإنّ منّا المسلمين ومنّا الظالمين الجائرين عن الحق، وإنّ المؤمنين برّبهم لا يخافون بخساً في حقهم ولا جوراً يغشاهم، أمّا الظالمون الجائرون عن الحق فإنهم حطب جهنم يعذبون فيها، وذلك اليوم هو اليوم الذي يحشر الله فيه الجنّ والإنس جميعاً، وبعد اعتراف المذنبين منهم بذنوبهم يقول الله لهم: إنّ النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله واقتضت مشيئته أن يرحمه من المذنبين. في ذلك اليوم يقول الله لهم: يا معشر الجنّ! ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم؟ فيشهدون على أنفسهم بالكفر».

يستنبط من قول الجن ﴿إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى... يا قوم اجيبوا داعي الله﴾ ان الجن يشاركون الانس في الهداية بكتب اصحاب الشرايع: اولوا العزم من الرسل ولعل هؤلاء المنذرين هم المقصودون بقوله تعالى: ﴿الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم وينذرونكم لقاء يومكم...﴾.

تفسير الآيات من الروايات

في صحيح مسلم وغيره، واللفظ لمسلم عن ابن عباس قال:

انطلقَ النبي صَلَّى الله عليه وسلّم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب؛ فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين ذهبوا نحو تهامة إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلّم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنّا به، ولن نشرك بربنا أحداً، فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وإنما أُوحي إليه قول الجن^(٦).

وفي البحار عن تفسير علي بن إبراهيم القمي في تفسير ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ من سورة الأحقاف قال:

وكان سبب نزول هذه الآية، أن رسول الله (ص) خرج من مكة إلى سوق عكاظ ومعه زيد بن حارثة، يدعو الناس إلى الإسلام، فلم يجبه أحد ولم يجد من يقبله، ثم رجع إلى مكة، فلما بلغ موضعاً يقال له: وادي مجنة تهجد بالقرآن في جوف الليل، فمرّ به نفر من الجن، فلما سمعوا قراءة رسول الله استمعوا له، فلما سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: «أَنْصِتُوا» يعني اسكتوا.

«فلما قضى» أي فرغ رسول الله (ص) من القراءة ﴿وَلَوْأَ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، يا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به ﴿إِلَى

(٦) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة، ح ١٤٩، ص ٣٣١. وضحیح البخاری، کتاب التفسیر، تفسیر سورة الجن، ٣/ ١٣٩.

قوله: ﴿أَوَلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فجاءوا إلى رسول الله (ص) يطلبون شرايع الإسلام فأسلموا وآمنوا، وعلمهم رسول الله (ص) شرائع الإسلام. فأنزل الله على نبيّه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ السورة كلّها، فحكى الله قولهم وولّى رسول الله (ص) عليهم منهم، الحديث.^(٧)

نتيجة البحث

إنّ الجنّ كالإنس في وصول كتب الله إليهم مثل التوراة والقرآن، وإن في الجنّ - كما في الإنس - من بلغ درجة المنذرين لأقوامهم، وإن هؤلاء المنذرين أخبروا قومهم عن القرآن أنّه مصدّق لكتب الله السابقة - بكل ما في كلمة المصدّق من معنى يدلّ على صدق القرآن - وإنّ في الجنّ مشركون بالله الربّ كما في الإنس، ويفهم من سياق الآيات أنّ الجنّ كانوا يعتقدون أنّ الله ولداً كما يعتقد بعض الإنس أنّ المسيح هو ابن الله. وإنّ أفراداً من الجنّ كرجال من الإنس يظنون أنّ لن يبعث الله أحداً، وليس بعد هذه الحياة حياة وحشر.

وخلاصة القول: إنّ الجنّ كالإنس فيهم المسلمون المؤمنون برّبهم، وفيهم الكافرون. أمّا المؤمنون برّبهم وبكلّ ما ذكرناه فإنهم هم الفائزون يوم القيامة، وأمّا الكافرون فإنهم سيعذبون بنار جهنم ويكونون لها حطباً.

وهكذا نجد أنّ الجنّ والإنس يشتركان في العقائد ومنها المشرك القائل بأنّ الله ولداً، ومنها أعداء الأنبياء، ومنها الموسوس لغيره لإغوائه، ومنها المسلم المؤمن بالله ورسله وكتبه، وأنّها جميعاً يحشران ويحاسبان ويعذبان. إن الصنفين يشتركان في كلّ ذلك، أمّا كيفية عمل صنف الجنّ بالأحكام فلا بدّ أن يكون بالنسبة لهم بما يتناسب وفطرتهم التي فطرهم الله عليها.

(٧) البحار، ٦٣ / ٨٢، نقلاً عن تفسير القمي، ص ٦٢٣ - ٦٢٤.

إذا فالإسلام هو دين الله وشريعته للإنس والجنّ والذي بلغها بواسطة
الرسل أصحاب الشرائع ومن جاء بعدهم من أوصيائهم، كما سنبينه في البحث
الآتي بحوله تعالى.

- ٦ -

مبَلِّغُونَ عَنِ اللَّهِ
وَمُعَلِّمُونَ لِلنَّاسِ

- أ - معنى النَّبِيِّ والرَّسُولِ والوَصِيِّ.
- ب - أخبار الرسل والأوصياء في الكتب السماوية وفي السيرة والتاريخ.
- ج - تعريف الآية - المعجزة - وكيفيتها.

- ١ -

النبي والرسول والوصي

أ- النبي والنبوة:

النبوة في اللغة: الرفة وعلو المنزلة، وورد النبي في قوله تعالى في سورة آل

عمران:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ (الآية ٧٩).

نظيراً لمن آتاه الله الكتاب والحكم وقسيماً لهما.

إذا فالنبوة منزلة خاصة فضل النبي بها بها آتاه الله من العلم وقرب المنزلة من الله، وعليه فإن النبي من أوتي تلك المنزلة، وهي المقصودة في خطابه تعالى لنبيه وقوله في سورة الأحزاب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (الآية ٤٥).

فإن المعنى: ياذا المنزلة الرفيعة، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ... الخ.

وكذلك في قوله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الآية ٦).

والنبي يوحى إليه، كما قال سبحانه وتعالى في سورة النساء:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...﴾ (الآية ١٦٦).

إذا فالنبي مصطلح اسلامي بمعنى: انسان ذي منزلة رفيعة عند الله يوحى اليه وقد يبعث الله الربُّ النبيين رسلاً مبشرين ومنذرين لهداية الناس، كما قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ (الآية ٢١٣).

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ أَي: إِنَّ اللهَ الرَّبَّ أَنْزَلَ الْكِتَابَ مَعَ مَنْ كَانَ مِنَ النَّبِيِّينَ، وليس المقصود أَنَّ الرَّبَّ أَنْزَلَ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ كِتَاباً. ثمَّ إِنَّ الرَّبَّ فَضَّلَ بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ (الآية ٥٥).
وَأَرْسَلَ رَسَلَهُ إِلَى النَّاسِ مِنَ النَّبِيِّينَ كَالْآتِي بَيَانُهُ:

ب - الرَّسُولُ:

الرسول: حامل الرسالة، وهو وسيلة هداية الربِّ للناس، وله شرف الوساطة بين الربِّ والمربوبين من البشر، ومرسل برسالة خاصة إليهم، ويختاره الله مِّنْ أَرْسَلِ إِلَيْهِمْ وَمِنْ أَهْلِ لَفْتِهِمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ (الآية ٥).

وفي قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (في سورتي الأعراف ٦٥، وهود ٤٥).

وفي قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ (في سور: الأعراف ٧٣، وهود ٦١، والنمل ٤٥).

وفي قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَذْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (في سور: الأعراف ٨٥، وهود ٨٤، والعنكبوت ٣٦).

وَأَنَّ الْحِكْمَةَ فِي ذَلِكَ وَاضِحَةٌ: لِيَتَّقَوْى بِرَهْطِهِ فِي أَدَاءِ التَّبْلِيغِ كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ عَنْ قَوْمِ شَعِيبَ أَنَّهُمْ قَالُوا لِشَعِيبَ:

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ (الآية ٩١).

وَيُرْسِلُ الرَّبُّ الرُّسُلَ لَهْدَايَةِ النَّاسِ وَإِتِمَاماً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ:

﴿وَرُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (الآية ١٦٥).

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الآية ١٥).

وَقَالَ عَزَّ أَسْمُهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الآية ٤٧).

وَتَسْتَحِقُّ الْأُمَمُ الَّتِي تَعْصِي الرُّسُولَ عَذَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُ وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ:

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ (الآية ١٠).

وَتَكُونُ مَعْصِيَةُ الرُّسُولِ مَعْصِيَةَ اللَّهِ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْجِنِّ:

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الآية

١٥ - ٢٣).

وَأَخْتَارَ اللَّهُ الرُّسُلَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَ عَدَدُ الرُّسُلِ أَقَلَّ مِنْ عَدَدِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا

وَرَدَ ذَلِكَ فِي مَارَوَاهُ أَبُو ذَرٍّ وَقَالَ:

[... فقلت: يا رسول الله (ص)! كم هي عدّة الأنبياء؟

قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك: ثلاثمائة وخمسة

عشر، جَمًّا غَفِيرًا» [١]

وبناءً على ما ذكرناه فإنَّ كُلَّ رسولٍ نبيٍّ، وليس كل نبي رسولاً مثل اليسع (ع) فإنه كان نبياً ووصياً للكليم موسى بن عمران (ع).

ومن الرسل من جاء بشريعة ناسخة لبعض ما في الشريعة السابقة من المناسك، كما كان شأن شريعة موسى (ع) بالنسبة الى الشرائع السابقة على شريعته، ومنهم من جاء بشريعة متممة ومجددة للشريعة السابقة كما كان شأن شريعة خاتم الأنبياء (ص) بالنسبة إلى حنيفية إبراهيم الخليل (ع) كما قال سبحانه وتعالى في سورة النحل:

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...﴾ (الآية ١٢٣).

وقال تعالى في سورة المائدة:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ (الآية ٣).

أما الأوصياء من الأنبياء فأخبارهم كالآتي:

(١) مسند أحمد: ٢٦٥/٥ - ٢٦٦، وبتفصيل أوفى في معاني الأخبار للصدوق ص: ٩٥.

والخصال للصدوق، ١٠٤/٢، والبحار، ٣٢/١١، ح، ٢٤، واللفظ لأحمد.

الوصي والوصية:

الوصي في الكتاب والسنة: هو الإنسان الذي أوصى إليه غيره أن يقوم بعد وفاته بأمر يهمه، سواء في ذلك أن يقول الموصي لوصيه: أوصيك أن تفعل كذا وكذا من بعدي، أو يقول: أعهد إليك أن تفعل كذا وكذا من بعدي، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بالوصية، فإنه سواء في ذلك أن يقول: فلان وصي من بعدي، أو يقول: فلان يقوم بعدي بعمل كذا وكذا، وما شابهها من الألفاظ الدالة على الوصية. ووصي النبي: هو الإنسان الذي يعهد إليه النبي بأمر شريعته وأمرته من بعده.^(٢)

ومما بلغنا من أخبار الأوصياء من الأنبياء ما رواه الطبري عن ابن عباس وقال ما موجزه:

ولدت حواء لآدم هبة الله واسمه بالعبرانية: شيث، وإليه أوصى آدم.

وولد لشيث أنوش، ولما مرض أوصى لابنه أنوش ومات.

ثم ولد لأنوش ابنه قينان ونفر كثير، وإليه الوصية.

وولد قينان مهلائيل اليرد ونفراً معه، وإليه الوصية.

فولد يرد أخنوخ، وهو أدريس ونفراً معه، وإليه الوصية.

فولد أخنوخ متوشلخ ونفراً معه، وإليه الوصية.

وروى ابن سعد في ذكر إدريس النبي (ع) بسنده عن ابن عباس، وقال:

أول نبي بعث بعد آدم إدريس وهو خنوخ بن يرد... فولد خنوخ متوشلخ

ونفراً معه، وإليه الوصية. فولد متوشلخ ملك ونفراً معه، وإليه الوصية، فولد ملك

(٢) راجع شرحه في «معالم المدرستين» الجزء الأول / بحث مصطلح (الوصي).

وروى المسعودي في أخبار الزمان وقال ما موجزه:
ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يتوفى في آدم أمره أن يسند وصيته الى ابنه
شيث ويعلمه جميع العلوم التي علم بها ففعل.
وقال:

وأوصى (شيث) الى ابنه قينان، وقد كان علمه الصحف وبين له قسمة
الأرض، وما يكون فيها، وأمره بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج، وبجهاد ولد
قاييل. ففعل ما أمره به أبوه، ومات قينان وله سبعائة سنة وعشرون سنة.
وأوصى إلى ابنه مهلايل ووصاه بما أوصاه به، وكان عمر مهلايل ثمانمائة سنة
 وخمسة وسبعين سنة.

وأوصى الى ابنه بوارد وعلمه الصحف وعلمه قسمة الأرض، وما يحدث في
العالم، ودفع إليه كتاب سرّ الملكوت الذي علمه مهلايل^(٤) الملك لآدم عليها
السّلام، وكانوا يتوارثونه مختوماً لا ينظرون فيه.

وولد لبوارد ابنه خنوخ، وهو ادريس النبي عليه السلام ونبأه الله تعالى
وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله عزّ وجلّ، وسنن الدين، وأنزل الله سبحانه
وتعالى عليه ثلاثين صحيفة فكمّلت الصحف المنزلة يومئذ ثلاثين صحيفة، وعهد
بوارد الى خنوخ ورفع إليه وصيّة أبيه وعلمه العلوم التي كانت عنده ودفع اليه
مصحف السرّ فلم يدفعه بعد شيث غير ادريس عليها السّلام.

أما اليعقوبي فقد أورد أخبار الأوصياء بالتسلسل نفسه وبتفصيل أكثر من

(٣) راجع أخبار ما أوردنا في تاريخ الطبري، ط، أوروبا ١/ ١٥٣ - ١٦٥ و ١٦٦، وتاريخ
أبن الأثير ١/ ١٩ - ٢٠، في ذكر شيث بن آدم، وطبقات ابن سعد، ط، ١/ ١٦، وذكر أبن كثير في
تاريخه ١/ ٩٨ خبر وصية آدم لابنه شيث.
(٤) في ب: وابيل.

الطبري وابن الأثير، وأورد أخباراً أخرَ عن أمر الوصية، وقال مثلاً:
ولما حضرت آدمُ الوفاةُ جاءه شيثُ ابنه وولده وولد ولده فصلّى عليهم ودعا
لهم بالبركة وجعل وصيته إلى شيث.

وقال:

وقام بعد موت آدم ابنه شيث وكان يأمر قومه بتقوى الله سبحانه والعمل
الصالح... إلى قوله: فلما حضرت وفاة شيث أتاه بنوه وبنو بنيه وهم يومئذ أنوش
وقينان ومهلثيل، ويرد، وأخنوخ، ونساؤهم وأبناؤهم، فصلّى عليهم ودعا لهم
بالبركة، وتقدّم إليهم وحلفهم... ولا يخلطوا بأولاد قابيل الملعون، وأوصى إلى
أنوش ابنه.

وهكذا سلسل أخبار الوصية مع ذكر ماوقع في أيامهم إلى قوله في خبر وصية
نوح:

ولما حضرت وفاة نوح اجتمع إليه بنوه الثلاثة: سام وحام ويافت وبنوهم
فأوصاهم، ثم ذكر تفصيل وصية نوح لسام، وكذلك ذكر تسلسل أخبار الأوصياء
وصياً بعد نبي إلى آخر أنبياء بني إسرائيل وأوصيائهم، وقد اكتفينا منها بما
أوردناه موجزاً إلى هنا.^(٥)

وانتشر على عهد نوح عبادة الأصنام في ولد قابيل.
وأوصى إدريس إلى ابنه متوشلخ، لأنّ الله أوحى إليه أن أجعل الوصية في
ابنك متوشلخ فاني سأخرج من ظهره نبياً يرتضي فعله.

ورفع الله إدريس (ع) إليه وانقطع الوحي بعده.
فكثر الاختلاف بعده والتنازع وأشاع عليه ابليس أنّه هلك، وأنّه كان
كاهناً أراد الصعود إلى الفلك فأحرق، وحزن عليه ولد آدم المتمسكون بدينه حزناً

(٥) راجع تاريخ الانبياء في الجزء الأول من تاريخ يعقوبي.

شديداً، وأظهر أن صنمهم الأكبر أهلكه فزادوا في عبادة الأصنام وتحليلتها والذبائح لها، وعملوا عيداً لم يبق أحد إلا حضره، وكانت لهم يومئذ من الأصنام يغوث ويعوق ونسر^(٦) وود وسواع.

ولما حضرت متوشلخ الوفاة أوصى الى ابنه ملك ومعنى ملك الجامع، وعهد اليه أبوه ودفع اليه الصحف والكتب المختومة التي كانت لإدريس عليه السّلام، وكان عمر متوشلخ تسعمائة سنة.

وأنقلت الوصية الى ملك (وهو أبو نوح عليهما السّلام)، وقد كان رأى أن ناراً خرجت من فيه، فأحرقت العالم، ورأى وقتاً آخر كأنه على شجرة في وسط بحر لا غير.

وكبر نوح عليه السّلام فنباّه الله عزّ وجلّ وهو ابن خمسين سنة وأرسله الى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام، وهو من أهل العزم من الرسل.

وفي بعض الأخبار أن عمره ألف ومائتان وخمسون سنة، وأنه لبث في قومه يدعوهم الى الإيمان ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله تعالى، وكانت شريعته التوحيد والصلاة والصيام والحج ومجاهدة أعداء الله من ولد قابيل، وأمر بالحلّال ونهى عن المحرام، وأمر أن يدعو الناس الى الله تعالى، ويحذّرهم عذابه، ويذكّرهم آلاءه.

وقال المسعودي:

إن الله جعل لسام بن نوح الرئاسة والكتب المنزلة من الأنبياء، ووصية نوح في ولده خاصّة دون إخوته^(٧).

* * *

(٦) في ب: ونسراً ووداً وسواعاً.

(٧) أخبار الزمان، للمسعودي، ط. بيروت ١٣٨٦ هـ، ص: ٧٥ - ١٠٢.

الى هنا ينتهي الوجود بأيدينا اليوم من كتاب «أخبار الزمان» للمسعودي، وكذلك سلسل المسعودي في كتاب «إثبات الوصيّة» ذكر الأوصياء من آدم (ع) الى النبي الخاتم (ص). هذا ماكان في مصادر الدراسات الإسلامية عن الرسل وأوصيائهم.

ونرجع بعد ذلك إلى أخبار الرسل وأوصيائهم في كتب العهدين في ما يأتي:

بعض أخبار الأوصياء في كتب العهدين

نقتصر في نقل أخبار الأوصياء من العهدين على ذكر أخبار ثلاثة منهم كالآتي:

أ - وصية كلیم الله موسى (ع) لنبي الله يوشع (ع):
ورد في مادة (يوشع) من «قاموس كتاب مقدس» نقلاً عن التوراة:
أن يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يتلوّث بعبادة العجل على عهد هارون.
وفي آخر الأصحاح السابع والعشرين من سفر العدد ورد خبر تعيينه من قبل الله وصياً لموسى كالنص الآتي:

فَكَلَّمَ مُوسَى الرَّبَّ قَائِلًا: لِيُوَكِّلِ الرَّبُّ إِلَهُ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ رَجُلًا عَلَى الْجَمَاعَةِ يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُدْخِلُهُمْ لِكَيْلَا تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْغَنَمِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ الْعَازَارَ الْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ. وَاجْعَلْ مِنْ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَسْمَعَ لَهُ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَيَقِفْ أَمَامَ الْعَازَارَ الْكَاهِنِ فَيَسْأَلُ لَهُ بِقَضَاءِ الْأُورِيمِ أَمَامَ الرَّبِّ.

حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ كُلُّ
الْجَمَاعَةِ. فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. أَخَذَ يَشُوعُ وَأَوْقَفَهُ قُدَّامَ الْعَازَارِ الْكَاهِنِ
وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى...
وورد خبر قيامه بأمر بني إسرائيل وحروبه في ثلاثة وعشرين إصحاحاً من
سفر يشوع بن نون. (٨)

ب - وصية نبي الله داود (ع) لنبي الله سليمان (ع):

ورد في الأصحاح الثاني من سفر الملوك الأول العدد: (١ - ٤)

وَلَمَّا قَرَبْتُ أَيَّامَ وَفَاةِ دَاوُدَ أَوْصَى سُلَيْمَانَ ابْنَهُ قَائِلاً أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ
الْأَرْضِ كُلِّهَا. فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلًا. احْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلَهِكَ إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ
وَتَحْفَظْ فَرَائِضَهُ وَوَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى
لِكَيْ تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ.

ج - وصية عيسى (ع) للحواريّ شمعون بطرس:

شمعون أسمه في التوراة سمعون، وقد ورد خبره في إنجيل متى، الأصحاح

العاشر كالآتي:

«ثُمَّ دَعَا - يَعْنِي عَيْسَى - تَلَامِيذَهُ الْإِثْنِي عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحِ
نَجَسَةٍ حَتَّى يَخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلِّ ضَعْفٍ. وَهَذِهِ أَسْمَاءُ الْإِثْنِي عَشَرَ
رَسُولًا: الْأَوَّلُ سَمْعَانُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَطْرُسُ...».

وفي إنجيل يوحنا، الأصحاح ٢١ العدد: ١٥ - ١٨ أَنَّ عَيْسَى أَوْصَى إِلَيْهِ

وَقَالَ لَهُ: «إِرْعَ غَنَمِي» كَنَايَةً عَنْ رِعَايَةِ مَنْ آمَنَ بِهِ.

(٨) التوراة من الكتاب المقدس، بيروت، المطبعة الأمريكية سنة: ١٩٠٧م.

وجاء في «قاموس كتاب مقدس» أيضاً:

«عَيْنُه المسيح لهداية الكنيسة»^(٩).

في الخبر الأول وجدنا النبيّ الرسول موسى بن عمران (ع) يعين من بعده
نبيّ الله يوشع - اليسع في القرآن الكريم - وصياً من بعده.

وفي الخبر الثاني وجدنا نبيّ الله داود (ع) يوصي نبيّ الله سليمان (ع) أن
يعمل بشريعة نبيّ الله ورسوله موسى بن عمران (ع).

وفي الخبر الثالث وجدنا عيسى كلمة الله (ع) يوصي حواريه لهداية
الناس.

أخبار الرسل والأوصياء في القرآن الكريم

ذكر الله - سبحانه - في كتابه الكريم أخبار خمسة وعشرين نبياً بأسمائهم

وهم:

آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وأيوب، واليسع،
وذو الكفل، وإلياس، ويونس، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وموسى،
وهارون، وداود، وسليمان، وزكريّا، ويحيى، وإسماعيل صادق الوعد، وعيسى،
ومحمد صلى الله عليهم أجمعين.

منهم من كان صاحب شريعة متممة ومكمّلة للشريعة السابقة مثل شريعة
نوح (ع) المكمّلة لشريعة آدم (ع)، وشريعة محمد (ص) المكمّلة لشريعة
إبراهيم (ع).

ومنهم من كان صاحب شريعة ناسخة لشريعة من كان قبله مثل
موسى (ع) ومحمد (ص).

(٩) قاموس كتاب مقدس، مادة (بطرس الحواري).

ومنهم من كان نبياً ووصياً وحافظاً لشرعة النبي الرسول الذي كان قبله،
كيوشع بن نون (ع) وصياً لموسى بن عمران (ع).
وكان لابد لمن يبعثه الله الربُّ لهداية الناس - رسولاً كان أو وصي رسول -
أن يؤتيه الربُّ آيةً على صدق مدَّعاه في أنه مبعوث من قبل الربُّ، كما يأتي بيانه
بإذنه تعالى:

- ٣ -

الآية والمعجزة

الآية في اللغة: العلامة الدالة على الشيء بحيث إذا ظهرت العلامة أتضح وجود ذلك الشيء..

وفي المصطلح الإسلامي: نوعان من العلامة الدالة على وجود الباري أو إحدى صفاته - أسماؤه الحسنی - وهما:

أ - ما دلّ بوجوده المتقن على خالق حكيم، وبنظامه المحكم على ربّ يدبر شؤون الخلق وفق نظام محكم نسّميه بسنن الله في الكون.

فمثال الأول قوله تعالى في سورة الغاشية:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ...﴾ (الآيات ١٧ - ٢٠).

وقوله تعالى في سورة العنكبوت:

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الآية

٤٤).

ذكر الله تعالى في أمثال هذه الآيات القرآنية أنواعاً من الخلق تدلّ بوجودها

على وجود خالقها، ولذلك يسمّيها الآيات.

ومثال الثاني قوله تعالى في سورة النحل:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ *

يُنَبِّتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿ (الآيات ١٠ - ١٣).

ذكر الله في أمثال هذه الآيات القرآنية أنواعاً من النظام الكوني الذي يدل على وجود الربِّ المدبِّر الحكيم، للعالمين، وقد يجمع الله في الذكر بين الآيات الدالة على الخالق العزيز والربِّ المدبِّر الحكيم مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الآية ١٦٤).

ذكر الله تعالى في أوَّل الآية آية خلق السماوات والأرض، وذكر بعدها آيات النظام الكوني الذي قدَّره الربُّ والني نسميها بسنن الله في الكون.

ب - ما أتى الله الربُّ الأنبياء من الولاية على النظام الكوني بحيث إذا اقتضت مشيئة الله أن يغيِّر النبيَّ شيئاً يسيراً من النظام الذي جعله الله للكون أستطاع أن يفعله بإذن الله تعالى، كما حكى الله تعالى ذلك في وصف عيسى (ع) في سورة آل عمران، وقال:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ...﴾ (الآية ٤٩).

ويسمى هذا النوع من آيات الله في العرف الإسلامي بالمعجزة، لأنَّ سائر البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وهي خارقة للنظام الطبيعي للخلق، مثل خلق عيسى (ع) من الطين طيراً بإذن الله لتكون دليلاً أولاً على أنَّ الله الربُّ

هو الذي أعطى الأشياء خواصها ونظامها الطبيعي، ومتى اقتضت حكمته أن يسلب أي شيء خواصه، استطاع أن يفعل ذلك؛ مثل أن يسلب النار خاصية الإحراق لإبراهيم (ع) حين أُلقيَ فيها، ومتى اقتضت حكمته أن يغيّر النظام الطبيعي الذي جعله لبعض خلقه، استطاع أن يفعل ذلك؛ مثل خلق الطير من الطين بيد عيسى (ع) بدل إنشائه من أنثى الطير بعد اللقاح من الطير الذكر وفقاً للنظام الطبيعي الذي جعله في تسلسل خلق ذوات الأرواح.

ومعاجز الأنبياء - كما ذكرنا - خرقٌ للنظام الطبيعي وليست طياً لمراحل انتقال المادة من حال إلى حال وصورة بعد صورة حتى تستقر في الصورة الأخيرة، أي إن خلق الطير من الطين يتحقق ضمن سلسلة مراحل يكون قريباً من سير النور، يطويها الله لنبيه بأسرع من زمانه الطبيعي وتدرّجه في الانتقال كما يفهم ذلك من كلام بعض فلاسفة المسلمين.

وليست المعجزة سحراً فإنّ السحر ضرب من التخيل لا حقيقة له، والساحر - مثلاً - عندما يُري أنه ابتلع طيراً أو دخل في فم الناقة وخرج من دبرها، أو هشم أواني زجاجية ثم أعاد كل شيء كما كان، لم يفعل أي شيء من ذلك، وإنما سحر أعين الرائيين فتخيّلوا ذلك، ولما انتهى مفعول السحر رأى الحاضرون كل شيء كما كان دونما تغيير أو تبديل.

والمعجزة تغيير حقيقي للنظام الطبيعي مثل ابتلاع عصا موسى (ع) - التي أصبحت ثعباناً عظيماً - جميع ما ألقى السحرة في الساحة الكبيرة، ولما عاد الثعبان في يد موسى (ع) إلى العصا لم يبق أثر لما كان قد ألقى السحرة في تلك الساحة، ومن ثم ألقى السحرة ساجدين، وقالوا: آمناً برّب العالمين ربّ موسى وهارون؛ لأنهم كانوا متخصصين في أمر السحر، وأدركوا أن عمل موسى (ع) ليس بسحر وإنما هو آية من آيات الربّ تعالى.

وكذلك لا تأتي المعجزة في الأمر المحال وما يُسمّى في علم المنطق بأجتماع

النقيضين مثل أن يكون الشيء في زمان واحد ومكان واحد موجوداً وغير موجود.
وحقيقة معجزات الأنبياء آيات يجريها الله الرب على أيديهم، لا يستطيع
الإنس والجن أن يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. فإن في الجن مثلاً
من يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى سليمان قبل أن يقوم من مقامه،
لأن سير الجن في الجو قد يكون قريباً من سير النور.

وبناءً على ذلك قد يستطيع الجن أن يخبر عن شيء وقع في مكان ما، لكاهن
يتصل به، ولكن لا يستطيع الجن والإنس أن يخلقوا من الطين طيراً فيكون طيراً،
ما لم يكن الرب قد أذن بذلك.

وقد يستطيع المرتاض الهندي أن يوقف القطار عن الحركة، ولكنه لا يستطيع
هو ولا غيره ممن لم يأذن له الرب أن يضرب بعصاه الحجر فتنبجس منه اثنتا
عشرة عيناً. ولما كان الله الرب يؤتي من بعثه من الأنبياء الآيات، لتعلم أممهم
صدق آدعائهم أنهم مبعوثون من قبل الرب، كان مقتضى الحكمة أن تكون
الآيات مما تعرفها الأمة التي بعث النبي لهدايتها، كما أخبر بذلك الامام علي بن
موسى الرضا (ع) من سأل: لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء
والعصا وآلة السحر؟ وبعث عيسى بالطب؟ وبعث محمداً (ص) بالكلام
والخطب؟ بقوله:

«إن الله تبارك وتعالى لما بعث موسى (ع) كان الأغلب على أهل عصره
السحر، فأتاهم من عند الله عز وجل بهالم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به
سحرهم وأثبت به الحجّة عليهم، وأن الله تبارك وتعالى بعث عيسى في وقت
ظهرت فيه الزمانات وأحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله عز وجل بما
لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمة والأبرص بإذنه، وأثبت به
الحجّة عليهم، وإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً في وقت كان الأغلب على أهل
عصره الخطب والكلام - وأظنه قال: والشعر - فأتاهم من كتاب الله عز وجل

ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قوهم وأثبت الحجّة عليهم». فقال السائل: تالله ما رأيت مثل اليوم قطّ، فما الحجّة على الخلق اليوم؟ فقال (ع): «العقل؛ تعرف به الصادق على الله فتصدّقه، والكاذب على الله فتكذّبه».

فقال السائل: هذا والله الجواب^(١٠).

* * *

وكان إتيان الأنبياء الآيات الخارقة لشيء من النظام الطبيعي للأشياء من سنن الله الربّ الكونية في المجتمعات الإنسانية التي يبعث الأنبياء إليها. ومن ثم كانت الأمم تطالب أنبياءها بأن يأتوا لهم بآية تكون دليلاً على صدق مدّعاهم، كما حكى الله تعالى في سورة الشعراء عن قوم ثمود أنهم قالوا لنبيّهم صالح (ع):

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ * قَالَ هٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * (الآيات ١٥٤ - ١٥٦).

وبعد بيان النبيّ الآية المعجزة، كثيراً ما كانت الأمم تكابر وتعااند نبيّها ولا تؤمن بالله ربّاً ونبيّه مبعوثاً إليهم، كما أخبر الله تعالى عن قوم ثمود بعد هذه الآيات وقال:

﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ * (الآية ١٥٧).

وإذا نزلت الآية حسب طلب قوم النبيّ ولم يؤمنوا بها أستحقوا الرجز والعذاب، فيعذبهم الله تعالى كما أخبر في السورة نفسها عن عاقبة قوم ثمود - أيضاً - وقال عزّ اسمه:

(١٠) البحار ١١ / ٧٠ - ٧١ باب (علة المعجزة وأنه لم خصّ الله كلّ نبيّ بمعجزة خاصة) نقلًا عن علل الشرائع / ص: ٥٢، وعيون الأخبار / ص: ٢٣٤.

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الآية ١٥٨).

ويكون إتيان الآية للأنبياء بمقتضى الحكمة، ومقتضى الحكمة إتيان الآية بالمقدار الذي يظهر لمن أراد أن يؤمن بالرب ورسوله أن الرسول صادق في دعواه وليس بمقدار تغت الأقسام التي تأبى الإيمان بالرب ورسوله على أي حال، ولا تأتي - أيضاً - بالأمر المحال كما ورد الأمران في طلب قريش من خاتم الرسل (ص) وذلك بعد أن أتى الله قريشاً من آياته ما أختص العرب به: كلاماً بليغاً، وخاطبهم في سورة البقرة وقال لهم:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (الآيتان ٢٣ - ٢٤).

وقد أخبر الله تعالى في سورة الإسراء عن أنواع تعنتهم وقال:

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيراً﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِي بَالِلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلاً﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ أَهْدًى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبيراً بَصِيراً﴾ (الآيات ٨٨ - ٩٦).

فأتى الله الرب عليهم الحجّة، وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾، وأخبر أن الإنس والجن لو اجتمعوا

لَمَّا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً، وَأَكَّدَ ذَلِكَ وَقَالَ: لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَحَتَّى عَصَرْنَا الْحَاضِرَ لَمْ يَسْتَطِعْ خُصُومُ الْإِسْلَامِ - عَلَى كَثَرَتِهِمْ وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ قُوَى ضَخْمَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ - أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلَ الْقُرْآنِ.

بعد هذا التحدي الصارخ وإتيان الأمر المعجز للإنس والجن، وعجز قريش عن الإتيان بمثله، طلبوا من الرسول (ص) أن يغيّر مناخ مكّة وأن يكون له بيت من ذهب، أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً، أو يرقى في السماء ولا يؤمنون لرقية حتى ينزل عليهم كتاباً يقرؤونه، وكان في ما طلبوا؛ الأمر المحال وهو أن يأتي بالله وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا قَالَهُ الظَّالِمُونَ عَلَوّاً...﴾، وكان فيه ما يخالف سنن الله في إرسال الأنبياء بأن يرقى أمامهم إلى السماء ويأتي لهم بكتاب وهو ما خصّ الله رسله من الملائكة وليس من شأن البشر، وأستنكروا أن يبعث الله لهم بشراً رسولاً، في حين أنّ الحكمة تقتضي أن يكون الرسل من جنس البشر ليكونوا في عملهم قدوةً وأُسوةً لقومهم، ولم تكن سائر طلباتهم موافقة لمقتضى الحكمة، مثل طلبهم أن ينزل عليهم العذاب، ولذلك أمر أن يُجيبهم ويقول: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾.

وخلاصة ما ذكرناه أن حكمة الربّ اقتضت أن المرسل من قبله يأتي بآية من ربه تدلّ على صدق ادّعائه، ويُتِمُّ بذلك الحجّة على الناس، وعندئذ يؤمن من شاء أن يؤمن، ويجحد من شاء أن يجحد، كما كان شأن قوم موسى وهارون (عليهما السلام) بعد إتيان المعجزات، فقد آمنت السحرة وكفر بها فرعون وملاه فأخزاهم الله بالفرق، وما يأتي به الأنبياء من قبل الله - سبحانه وتعالى - يسمّى في المصطلح الإسلامي بالمعجزة دليلاً على صدقهم.

وبالإضافة إلى ما ذكرناه فإنّ للذين جعلهم الله أئمة لهداية الناس (سواء كانوا رسلاً أصحاب شرايع أو أوصياء لهم) صفات يمتازون بها عن غيرهم من الناس كما سندرسها في البحث الآتي بحوله تعالى:

(٧)

صفات المبلّغين عن الله

عصمتهم من الذنوب

- أ - إبليس لا سلطان له على خلفاء الله في الأرض.
- ب - أثر العمل وخلوده وانتشار بركة الأعمال وشؤمها على الزمان والمكان.
- ج - عصمة خلفاء الله عن المعصية لرؤيتهم ذلك.
- د - روايات مكذوبة على نبيّ الله داود في زواجه بأرملة أوريا وعلى خاتم الأنبياء في زواجه بزینب مُطَلَّقة من تبنّاه، والحكمة في الأمرين.
- هـ - آيات أخطأوا في تأويلها.

إبليس لا سلطان له على خلفاء الله في الأرض

أخبر الله سبحانه في سورة الحجر أن إبليس لا سلطان له على عباده المخلصين، في ذكره مدار بينه وبين إبليس من محاورة وذلك في قوله تعالى:

﴿رَبِّ بِهَا أُغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ قال... إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ ﴿ (الآيات ٣٩ - ٤٢).

وأخبر تعالى عما جرى بين يوسف وزليخا، وكيف يعصم الله المخلصين من إغواء الشيطان، حيث قال تعالى في سورة يوسف:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ (الآية ٢٤).

وعرفنا أن الوصف المذكور من شروط الإمامة في ما أخبر الله عما دار بينه وبين خليله إبراهيم (ع) في سورة البقرة، وقال:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (الآية ١٢٤).

وذكر في سورة الأنبياء أن الذين جعلهم أئمة، يهدون بأمره. وقال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا..﴾ (الآية ٧٣).

وذكر منهم في تلك السورة نوحاً وإبراهيم ولوطاً وإسماعيل وأيوب

وَذَا الْكِفْلِ وَيُونُسَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى
- عليهم السّلام -.

وكان في من وصفهم بالإمامة في هذه السورة: النبي والرسول والوزير
والوصي. إذاً فقد بان لنا أنّ الله تبارك وتعالى اشترط لمن جعله إماماً أن يكون
غير ظالم.

وقد وصف الله الإمام بأنّه خليفته في الأرض كما ورد في خطابه لداود (ع)
في سورة ص :

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (الآية ٢٦).

وورد في وصفه لآدم (ع) في خطابه للملائكة في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾ (الآية ٣٠).

كما سنشرحه بعد تفسير كلمات الآيات إن شاء الله تعالى.

شرح الكلمات:

أ - أَغْوَيْتَنِي، وَلَاغْوِيَنَّهُمْ، وَالْغَاوِينَ.

غوى فهو غاوى: انهمك في الغي.

وأغواه: أضله وأغراه. وقصد اللعين بقوله أغويتني: أنه تعالى بلعنه وقوله

له قبل هذه الآية ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ أبعدته عن رحمته جزاء

تمرّده وامتناعه عن السجود لآدم كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا

وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (الآية ٢٦).

ب - لَأَزِينَنَّ لَهُمْ:

أي: أحسن لهم سوء أفعالهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَالَهُمْ﴾ (الأنفال ٤٨ والنحل ٢٤ والعنكبوت ٣٧) و﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ (التوبة

٣٧).

ج - المخلصين.

المخلصون: هم الذين أخلصهم الله لنفسه بعدما أخلصوا أنفسهم لله،
فليس في قلوبهم محل لغيره.
د - إبتلى:

بلاه بلاءً وابتلاه ابتلاءً: امتحنه واختبره بالخير والشرّ والنعمة والنقمة.
هـ - بكلمات:

المقصود من الكلمات هنا قضايا امتحن الله بها إبراهيم (ع): مثل ابتلائه
بعباد الكواكب والأصنام، وإحراقه بالنار، وتضحيته بابنه، وأمثالها.
و - فأتتهن:

أي أكمل أداءهن.

ز - جاعلك:

وردت «جعل» بمعنى: خلق وأوجد وحكم وشرّع وقرّر وصيّر، والأخير هو
المقصود هنا.

خ - إماماً:

الإمام: هو المقتدى للناس في الأقوال والأفعال.

ط - الظالمين:

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. والظلم - أيضاً - تجاوز الحق.
والظلم ثلاثة أنواع:

أولاً - ظلم بين الإنسان وربّه، وأعظمه الشُّرك والكفر، كما قال سيحانه في
سورة لقمان:

﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (الآية ١٣).

وفي سورة الأنعام:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيَّاتِ اللَّهِ...﴾ (الآية ١٥٧).

ثانياً - ظلم بين الإنسان وغيره، كما قال سبحانه وتعالى في سورة الشورى:
﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ (الآية ٤٢).

ثالثاً - ظلم الإنسان نفسه، كما قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة:
﴿...وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الآية ٢٣١).

وفي سورة الطلاق:

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الآية ١).

وكل نوع من الظلم ظلم للنفس.

يقال لمن اتصف بالظلم في أي زمانٍ من عمره المتقدم منه أو المتأخر: ظالم.

ي - هَمَّتْ بِهِ وَهَمَ بِهَا.

هَمَّ بِالْأَمْرِ: عَزَمَ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ وَلَمْ يَفْعَلْهُ.

ك - رَأَى:

رَأَى بِالْعَيْنِ: نَظَرَ، وَبِالْقَلْبِ: أَبْصَرَ، وَأَدْرَكَ.

ل - بَرَّهَانَ:

البرهان: أَوْكَدُ الْأَدِلَّةِ، وَالْحُجَّةُ الْبَيِّنَةُ الْفَاصِلَةُ، وَمَا رَأَاهُ يُوسُفُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا.

تأويل الآيات والله أعلم:

قال إبليس لربِّ العالمين: رَبِّ بِمَا لَعَنْتَنِي وَأَبْعَدْتَنِي عَنْ رَحْمَتِكَ لَأَزِينََنَّ

لِلنَّاسِ فِي دَارِ الدُّنْيَا الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:

أ - فِي سُورَةِ النَّحْلِ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (الآية ٦٣).

ب - فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ...﴾ (الآية ٤٨).

ج - في سورة النمل:

﴿...يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ

عَنِ السَّبِيلِ...﴾ (الآية ٢٤).

وقال الشيطان: لأَزَيِّنَنَّ للناس أَعْمَاهُمْ ولَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ

الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ لِنَفْسِكَ..

وقال الله في جوابه: إِنَّكَ لَا سُلْطَةَ لَكَ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُنْهَمِكِينَ فِي

الْغِيِّ وَالضَّلَالَةِ، وأخبر تعالى عن شأن عباده المخلصين في ما حكاه عن خبر

يوسف (ع) وزليخا، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾

فِي بَيْتٍ خَلَا عَنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا عَدَا يَوْسُفَ (ع).

وزليخا عزيزة مصر ومالكة يوسف هَمَّتْ أَنْ تَنَالَ مَارِبَهَا مِنْ يَوْسُفَ، وَلَوْلَا

أَنَّ يَوْسُفَ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهُمْ بِقَتْلِهَا وَهُوَ السُّوءُ، أَوْ هَمَّ بِالْفَحْشَاءِ كَمَا هُوَ مُقْتَضَىٰ

طَبِيعَةِ الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْفَتَى مُكْتَمِلَ الرَّجُولَةِ غَيْرِ الْمُتَزَوِّجِ مَعَ مَالِكَتِهِ

الْفَتَاةِ مُكْتَمِلَةِ الْأُنُوثةِ الْمُتَرْفَةِ فِي بَيْتٍ خَلَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ

وَاسْتَعَصَمَ، فَقَدْ كَانَ مَنْ أَخْلَصَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ. فَمَا هُوَ الْبُرْهَانُ الَّذِي رَأَاهُ

يَوْسُفَ (ع)؟ وَكَيْفَ رَأَاهُ؟

إِنَّ يَوْسُفَ (ع) رَأَىٰ آثَارَ الْعَمَلِينَ عَلَىٰ نَفْسِهِ كَالَّذِي بَيَّانُهُ:

- ٢ و ٣ -

أثر العمل وخلوده وانتشار البركة والشؤم
من بعض الأعمال على الزمان والمكان
وعصمة خلفاء الله عن المعصية لرؤيتهم ذلك

لمعرفة معنى عصمة الأنبياء ينبغي أن ندرس كيفية انتشار البركة والشؤم
على الزمان والمكان وآثار أعمال الإنسان في الدنيا والآخرة، فنستعين الله ونقول:
قال الله سبحانه وتعالى:

أ - في سورة البقرة:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (الآية ١٨٥).

ب - في سورة القدر:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ
شَهْرٍ* تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ
الْفَجْرِ﴾.

أنزل الله القرآن على خاتم أنبيائه في ليلة من ليالي شهر رمضان، فأصبحت
تلك الليلة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها كل سنة بأمر ربهم أبد الدهر،
وانتشرت البركة من تلك الليلة إلى كل شهر رمضان كذلك أبد الدهر.

وسندرس في بحث النسخ إن شاء الله تعالى أن الجمعة أصبحت مباركة
منذ عهد آدم (ع) لما أنزل الله سبحانه وتعالى فيها من البركات على آدم (ع)،

وَأَنَّ عَصْرَ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ أَصْبَحَ مُبَارِكاً يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ فِيهِ بِمَنْى
لِنَزُولِ الْمَغْفِرَةِ عَلَى آدَمَ (ع) فِيهِ، وَأَصْبَحَتْ أَرْضِي عِرْفَاتِ وَالْمَشْعَرِ وَمَنْى أَرْضِي
مُبَارَكَةً فِي التَّاسِعِ وَالْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عَلَى كُلِّ بَنِي آدَمَ (ع) بَعْدَ ذَلِكَ، وَبَقِيَ
أَثَرُهَا كَذَلِكَ أَبَدَ الدَّهْرِ.

وَكَذَلِكَ أَصْبَحَ أَثَرُ قَدَمِي إِبْرَاهِيمَ (ع) فِي الْبَيْتِ عَلَى تِلْكَ الْكِنْتَلَةِ مِنَ الطِّينِ
الَّتِي رَقَى عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمَ (ع) لِبِنَاءِ جِدَارِ الْبَيْتِ مُبَارَكاً، فَأَمَرْنَا اللَّهُ بِاتِّخَاذِهَا
مُصَلًى بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدَ الدَّهْرِ وَقَالَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى﴾.

وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي أَنْتِشَارِ الشُّؤْمِ كَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ بِيُوتِ عَادَ فِي الْحِجْرِ بَعْدَ
نَزُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَخْبَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَنْهَا عِنْدَ مَرُورِهِ عَلَيْهَا فِي
غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَوَرَدَ خَبَرُهُ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالسِّيَرَةِ، وَقَالُوا مَامَوْجِزُهُ:

لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ مَرَّ بِالْحِجْرِ
- دِيَارِ ثَمُودَ بَوَادِي الْقُرَى فِي طَرِيقِ الشَّامِ مِنَ الْمَدِينَةِ - فَنَزَلَ قَبْلَ أَنْ يَمْرَ بِهَا،
فَاسْتَقَى الْجَيْشُ مِنْ بَثْرَاهَا، فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ أَنْ «لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَاءِ بَثْرِهِمْ،
وَلَا تَتَوَضَّأُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ» فَجَعَلَ النَّاسُ يَهْرِيْقُونَ مَا فِي أَسْقِيَتِهِمْ وَقَالُوا: «يَا رَسُولَ
اللَّهِ قَدْ عَجَنَّا، قَالَ: أَعْلَفُوهَا الْإِبِلَ خَوْفَ أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ».

وَلَمَّا أَرْتَحَلَ وَمَرَّ بِالْحِجْرِ، سَجَّى^(١) ثُوبَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَاسْتَحَثَّ رَاحِلَتَهُ وَفَعَلَ
الْجَيْشُ كَذَلِكَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص):

«لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ بَاكُونَ».

وَجَاءَهُ رَجُلٌ بِخَاتَمِ وَجْدِهِ فِي الْحِجْرِ فِي بِيُوتِ الْمُعَذِّبِينَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَأَسْتَرَّ
بِيَدِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: «أَلَيْقَهُ!» فَالْقَاءُ^(٢).

(١) سَجَّى ثُوبَهُ عَلَى وَجْهِهِ: غَطَّاهُ، وَأَسْتَحَثَّ رَاحِلَتَهُ: اسْتَعْجَلَهَا.

(٢) الْخَبَرُ فِي مَادَّةِ الْحِجْرِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ، وَخَبَرُ غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ (٤/ ١٦٤ -
١٦٥)، وَمَغَازِي الْوَاقِدِيِّ (١٠٠٦/ - ١٠٠٨)، وَإِمْتَاعُ الْأَسْمَاعِ (٤٥٤ - ٤٥٦)، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ

ووقع نظير ذلك للإمام علي (ع) كما رواه نصر بن مزاحم وغيره، واللفظ لنصر في كتابه (وقعة صفين) بسنده، وقال:

كان مخنف بن سليم يساير علياً ببابل^(٣) فقال الإمام علي (ع): «إِنَّ بَبَابِلَ أَرْضاً خُسِفَ بِهَا فَحَرَّكَ دَابَّتَكَ لَعَلَّنَا نُصَلِّيَ الْعَصْرَ خَارِجاً مِنْهَا». قال: فَحَرَّكَ دَابَّتَهُ وَحَرَّكَ النَّاسُ ذَوَابَّهُمْ فِي أَثَرِهِ، فَلَمَّا جَاَزَ جِسْرَ الصَّرَاةِ نَزَلَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْعَصْرَ.^(٤)

وفي رواية راوٍ آخر:

قطعنا مع أمير المؤمنين جسر الصَّرَاةِ في وقت العصر، فقال: «إِنَّ هَذِهِ أَرْضٌ مَعَذَّةٌ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ وَلَا وَصِيِّ نَبِيٍّ أَنْ يَصَلِّيَ فِيهَا».^(٥)

هكذا كان للبركة انتشار من الزمان الذي بارك الله فيه لعبده من عباده المخلصين، وللشؤم انتشار من الزمان الذي غضب فيه على عبده الأشقياء.

وسوف نرى في بحث آثار العمل الآتي أَنَّ لأعمال الناس آثاراً خالدةً في الدنيا وفي الآخرة تتجسّد لتخلد ناراً وقودها الناس والحجارة، أو نعيماً في جنّات عدن. وكلّ ذلكم الانتشار وتلكم الآثار يراها عباد الله المخلصون ويدركونها، فتدفعهم الى الاجتهاد في أداء الأعمال الصالحة وأجتناب الأعمال السيئة من الفحشاء والسوء والمنكر.

(٢/٩ و ٥٨ و ٦٦ و ٧٢ و ٧٤ و ٩١ و ٩٦ و ١١٣ و ١٣٧ و ٢٩٦/٣)، وصحيح البخاري (٣/٦١ و ٩٩) ذكر غزوة تبوك، وتفسير سورة الحجّر، وصحيح مسلم كتاب الزهد، الحديثان: ٣٩ و ٤٠.
(٣) بابل في العراق بين الكوفة وبغداد، وجسر الصراة كان على نهر الصراة بالقرب من بغداد.

راجع مادتي (بابل) و (الصَّرَاة) بمعجم البلدان.

(٤) صفين، ص ١٣٥.

(٥) في البحار (٤١/١٦٨) عن علل الشرائع ص ١٢٤، وبصائر الدرجات (٥٨).

وتلكم الرؤية هي برهان الله الذي يؤتي الله من عباده من تزكّي وآثر رضى الله على هوى النفس الأمّارة بالسوء، ومن ثمّ لاتصدر من عباده المخلصين معصية موبقة، ومثلهم في ذلك مثل إنسان بصير و آخر ضيرير يسيران معاً في طريق واحد كثيرة العثرات والمهاوي المردية، يتجنبها البصير وينبّه صاحبه الضيرير ليتجنبها.

أو كمثل أناس عطاشى أمامهم ماء تتوق أنفسهم إلى شربه ليبردوا به حرارة عطشهم، وفيهم طبيب معه مجهر نظر من خلاله الى ذلك الماء وأبصر فيه أنواعاً من الجراثيم المهلكة، وأخبر صاحبه بلزوم تصفية الماء قبل الاستفادة منه.

هكذا مثل عباد الله المخلصين في رؤيتهم البرهان وتبصّره بحقائق الأعمال وآثارها السيئة أو الحسنة. فهم مع تلك الرؤية لقبح فعل المعصية وشناعتها في الدنيا وتجسّده ناراً محرقة خالدة في الآخرة، لا يمكن أن يُقدموا على العمل بها مختارين وغير مجبورين على تركها، أو ممنوعين من قبل الله من إتيانها. وما يوردون من شبهات حول عصمة الأنبياء مستشهدين بآيات متشابهة، أخطأوا في تأويل بعضها وفسروا بعضها الآخر بروايات زائفة. ولكي لا يطول البحث نكتفي بإيراد أمثلة من النوعين في مايتي:

- ٤ -

روايات مكذوبة على نبي الله داود في زواجه بأرملة أوريا،
وعلى خاتم الأنبياء في زواجه بزينب مطلقّة من تبنّاه
بروايات زائفة، والحكمة في الأمرين

ندرس من هذا النوع الروايات التي وردت في خبر زواج داود بأرملة أوريا،
وزواج خاتم الأنبياء (ص) بمطلقة زيد كالاتي:
أ- زواج داود (ع) في القرآن الكريم:
قال الله سبحانه في سورة ص :

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَرْنَا
الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ *
وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ * وَهَلِ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى
بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ
تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ
فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ
مَآبٍ * يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ...﴾ (الآيات ١٧ - ٢٦).

تأويل الآيات في روايات مدرسة الخلفاء

الروايات بمدرسة الخلفاء في تأويل آيات خبر حكم داود (ع) كثيرة، ونحن نكتفي في ما يأتي بإيراد ثلاثة نماذج منها بإذنه تعالى:

أ - رواية وهب بن منبه:

روى الطبري في تأويل الآية عن وهب أنه قال:

«لما اجتمعت بنو إسرائيل على داود، أنزل الله عليه الزبور، وعلمه صنعة الحديد، فألانه له، وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح، ولم يعط الله - فيما يذكرون - أحداً من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور - فيما يذكرون - تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وإنها لمصيخة تسمع لصوته، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته، وكان شديد الإجهاد، دائب العبادة، فأقام في بني إسرائيل، يحكم فيهم بأمر الله نبياً مستخلفاً، وكان شديد الإجهاد من الأنبياء، كثير البكاء، ثم عرض من فتنة تلك المرأة ماعرض له، وكان له محراب يتوحد فيه لتلاوة الزبور ولصلاته إذا صلى، وكان أسفل منه جنية لرجل من بني إسرائيل، كان عند ذلك الرجل المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه.

وأنه حين دخل محرابه ذلك اليوم، قال: لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل، ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي، ودخل محرابه ونشر زبوره يقرؤه، وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنية، فبينما هو جالس يقرأ زبوره، إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة، فرفع رأسه فرآها فأعجبته، ثم ذكر ما كان قال: لا يشغله شيء عما دخل له، فنكس رأسه، وأقبل على زبوره، فتصوّبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة، ف وقعت بين يديه،

فتناولها بيده، فأستأخرت غير بعيد، فأتبعها، فنهضت إلى الكوة، فتناولها في الكوة، فتصوّبت إلى الجنيّة، فأتبعها بصره أين تقع، فإذا المرأة جالسة تغتسل، بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق. فيزعمون أنها لما رآته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه، واختطففت قلبه، ورجع إلى زبوره ومجلسه، وهي من شأنه، لا يفارق قلبه ذكرها، وتهادى به البلاء، حتى أغزى زوجها، ثم أمر صاحب جيشه - فيما يزعم أهل الكتاب - أن يقدم زوجها للمهالك، حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك، ولداود تسع وتسعون امرأة، فلما أصيب زوجها خطبها داود، فنكحها، فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه، مثلاً يضربه له ولصاحبه، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه، فقال: ما أدخلكما عليّ؟ قالوا: لا تخف، لم ندخل لبأس ولا لريبة ﴿خَصَّامَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ فجنناك لتقضي بيننا ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ، وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصُّرَاطِ﴾: أي احملنا على الحق، ولا تخالف بنا إلى غيره، قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾: أي على ديني ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: أي احملني عليها، ثم عزّني في الخطاب: أي قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني هو وأعزّ، فحاز نعجتي إلى نعاجه، وتركني لاشيء لي. فغضب داود، فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم، فقال: لئن كان صدقني ما يقول، لأضربن بين عينيك بالفأس، ثم أروعى داود، فعرف أنه هو الذي يُراد بما صنع في امرأة «أوريا»، فوقع ساجداً تائباً منيباً باكياً، فسجد أربعين صباحاً صائماً لا يأكل فيها ولا يشرب، حتى انبت دمه الحُضْرَ تحت وجهه وحتى أندب السجود في لحم وجهه، فتاب الله عليه وقبل منه.

ويزعمون أنه قال: أي ربّ هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة، فكيف بدم القاتل المظلوم؟ قيل له: يا داود - فيما زعم أهل الكتاب - أما إنّ ربك لم يظلمه

بدمه ولكنه سيسأله إِيَّاكَ فيعطيه، فيضعه عنك، فلما فرّج عن داود ما كان فيه رسم خطيئته في كفه اليمنى: بطن راحته، فما رفع إلى فيه طعاماً ولا شراباً قط إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس قط إلا نشر راحته فأستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته.^(٦)

ب - رواية الحسن البصري:

روى الطبري والسيوطي في تفسير الآية عن الحسن البصري أنه قال:

إن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء: يوماً لنسائه، ويوماً لعبادته، ويوماً لقضاء بني إسرائيل، ويوماً لبني إسرائيل، يذاكرهم ويذاكرونه، ويُبكيهم ويُبكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل قال: ذكروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطبق ذلك، فلما كان يوم عبادته، أغلق أبوابه، وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكبَّ على التوراة، فبينما هو يقرؤها، فإذا حمامة من ذهب، فيها من كل لون حسن، قد وقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها، قال: فطارت، فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها، قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه خلقها وحُسنها، قال: فلما رأت ظله في الأرض، جلّت نفسها بشعرها، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا؛ مكان إذا سار إليه لم يرجع، قال: ففعل، فأصيب فخطبها فتزوجها.^(٧)

(٦) تفسير الطبري (٢٣ / ٩٥ - ٩٦) ط. دار المعرفة بيروت.

(٧) تفسير الطبري (٢٣ / ٩٦) ط. دار المعرفة بيروت. والسيوطي (١٤٨ / ٥) واللفظ

ج - رواية يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك:

أخرج الطبري والسيوطي بتفسير الآية بسندهما عن يزيد الرقاشي واللفظ للطبري، قال:

عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك، سمعه يقول:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على بني اسرائيل وأوصى صاحب الجيش فقال: اذا حضر العدو تضرب فلاناً بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم منه الجيش، فقتل وتزوج المرأة، ونزل الملكان على داود عليه السلام، فسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده: ربّ زلّ داود زلّة أبعد مما بين المشرق والمغرب، ربّ إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثاً في المخلوق من بعده. فجاء جبريل عليه السلام من بعد أربعين ليلة فقال: يا داود إنّ الله قد غفر لك وقد عرفت ان الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: يارب دمي الذي عند داود؟ قال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك فإن شئت لأفعلن، فقال: نعم، ففرح جبريل وسجد داود عليه السلام، فمكث ماشاء الله ثم نزل فقال: قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال: قل لداود إنّ الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لي دمك الذي عند داود، فيقول هو لك يارب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً...^(٨)

*

*

*

(٨) بتفسير الآية في تفسير الطبري (٩٦/٢٣)، ط. دار المعرفة - بيروت - والسيوطي

هكذا وردت الروايات عن خبر نبي الله داود (ع) في التفاسير وندرس في مايلي أسانيد تلكم الروايات.

دراسة أسانيد الروايات:

أ - وهب بن منبه:

أبوه من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن. في ترجمته بطبقات ابن سعد ما موجه:

قال وهب: قرأت اثنين وتسعين كتاباً كُلُّها أُنْزِلَتْ من السماء؛ إثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس، وعشرون لا يعلمها إلا قليل. (ت ١١٠هـ) وقال الدكتور جواد علي: يقال إنَّ وهباً من أصل يهودي، و كان يزعم أنه يتقن اليونانية والسريانية والحميرية وقراءة الكتابات القديمة. ذكر في كشف الظنون من تأليفه (قصص الأنبياء).^(٩)

ب - الحسن البصري:

أبو سعيد، كان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ولد لسنتين بقيت من خلافة عمر، وعاش ومات في البصرة سنة ١١٠هـ، وكان غاية في الفصاحة والبلاغة، مهاباً عند الناس وسلطة الخلافة، وإماماً لأتباع مدرسة الخلفاء بالبصرة.^(١٠)

(٩) طبقات ابن سعد، ط. أوروبا (٣٩٥/٥)، وكشف الظنون (١٣٢٨)، وتاريخ العرب قبل

الاسلام، لجواد علي (٤٤/١).

(١٠) ترجمته في وفيات الاعيان لابن خلكان ط. الأولى (٣٥٤/١) وطبقات ابن سعد، ط.

أوروبا ١٢٠/١/٧.

رأيه:

يظهر من روايات وردت بترجمة ابن سعد أنه كان يقول بالقدر ويناظر فيه، ثم رجع عنه، وأنه كان لا يرى الخروج على السلطة الظالمة كالحجاج.

قيمة رواياته:

في ترجمته بميزان الاعتدال^(١١):

كان الحسن كثير التدليس فإذا قال في حديث: عن فلان ضعف الحاجة، ولا سيما عمن قيل إنه لم يسمع منهم كأبي هريرة ونحوه، فعُدوا ما كان له عن أبي هريرة في جملة المنقطع. والله أعلم.

أي إن الحسن إذا قال في حديث: (عن فلان) ضُفَّت روايته عن فلان لحاجته إلى ذلك القول، لا سيما في ما يرويه عمن لم يسمعهم؛ مثل رواياته عن أبي هريرة ونحوها ممروى عنهم في حين أنه لم يشاهدهم.

وبترجمته بطبقات ابن سعد بسنده عن علي بن زيد أنه قال:

حدّث الحسن بحديث فإذا هو يحدث به، قال: قلت يا أبا سعيد! من حدّثكم؟ قال: لا أدري! قال: قلت أنا حدّثكم.

وروى - أيضاً - أنه قيل له: أرايت ماتفتي الناس أشياء سمعتها أم برأيتك؟ فقال: لا والله ما كل ما نفتي به سمعناه، ولكن رأينا خيراً لهم من رأيهم لأنفسهم.^(١٢)

(١١) (٥٢٧/١) رقم الترجمة ١٩٦٨.

(١٢) الحديثان بطبقات ابن سعد (١٢٠/٨) ط. اوروبا (١٢٠/١/٧).

تخرّج من مدرسته واصل بن عطاء (ت: ١٣١هـ) مؤسس مذهب الاعتزال، وأبن أبي العوجاء أحد مشاهير الزنادقة.

قيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت في مالا أصل له ولا حقيقة! قال: إنّ صاحبي كان مخلطاً؛ يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً فدام عليه.

قتله على الزندقة والي الكوفة سنة ١٥٥هـ، قال عند قتله: «لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيه ما أحلّ الله، وأحرم فيه ما أحلّ الله، فطّرتكم يوم صومكم وصومتمكم يوم فطركم».^(١٣)

ج - يزيد بن أبان الرقاشي:

المحدّث القاصّ البصري والزاهد البكّاء من غير دراية وفقه.

في ترجمته في تهذيب الكمال للمزّي وتهذيب التهذيب لابن حجر ما موجزه^(١٤).

أ - عن زهده:

جوّع نفسه وعطّشها، ذبل جسمه ونهك بدنه وتغيّر لونه. كان يبكي ويبكي جلساءه ويقول - مثلاً -: تعالوا نبكي على الماء البارد يوم الظّما، ويقول: على الماء البارد السلام بالنهار، قال: وفعل ما لم يقله رسول الله ولم يفعله، وقال الله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ

(١٣) ترجمة واصل بن عطاء في وفيات الأعيان لابن خلكان، وترجمة ابن أبي العوجاء في بحث الزندقة والزنادقة في الجزء الأول من خمسون ومائة صحابي مختلف والكنى والألقاب، ط. صيدا (١/١٩٢).

(١٤) راجع ترجمته بتهذيب الكمال للمزّي مخطوطة المكتبة الظاهرية مصوّرة المجمع العلمي الإسلامي، (٨/ ٢٦٤) (أ - ب)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٣٠٩ - ٣١١).

لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿١٥﴾.

ب - عن رأيه: كان ضعيفاً قديراً^(١٥).

ج - عن قيمة رواياته:

رووا عن شعبة أنه قال: لأن أقطع الطريق أحب إليّ من أن أروي عنه، وقال: لأن ازني أحب إليّ من أن أروي عنه.

وقالوا في حديثه: منكر الحديث، متروك الحديث، لا يكتب حديثه!

وقال أبو حاتم: كان واعظاً بكاءً كثير الرواية عن أنس بما فيه نظر، وفي

حديثه ضعف.

وفي تهذيب التهذيب: قال ابن حبان: كان من خيار عباد الله من البكّائين بالليل، لكنّه غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي (ص)، فلا تحلّ الرواية عنه إلا على جهة التعجب.

وفاته:

توفي يزيد بن أبان قبل العشرين ومائة هجرية^(١٦).

(١٥) طبقات ابن سعد ط. اوروبا (ج ٧ / ق ٢ / ١٣).

(١٦) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب، (١١ / ٣٠٩ - ٣١١).

دراسة متون الروايات:

أولاً - رواية وهب:

موجز الرواية: أن النبي داود (ع) خلا بنفسه يوماً للعبادة وأكبَّ على التوراة يقرؤها، إذ أقبلت حمامة من ذهب فوقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها فطارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْهُ. فما زال يتبعها حتَّى أشرف على امرأة جاره أوريا، وكانت عارية تغتسل، فأعجبه جمالها، فلَبَّأَ أَحْسَتَ به جَلَّتْ نفسها بشعرها فأزداد أفتناناً بها، فدبَّرَ أمر قتل زوجها الذي كان في الغزو ثم تزوّجها، فتسوّر عليه الملكان وكان من أمرهما ما تحدّث عنه القرآن الكريم.

في هذه الرواية جاء مرّة: قال وهب، وأخرى: قال (في ما يزعم أهل الكتاب)، وبذلك خرج من عهدة روايتها.

ولما رجعنا الى التوراة وجدنا في سفر صموئيل الثاني خبر رؤية داود يتشبع زوجة جاره أوريا من سطح داره وإعجابه بها وجلبه إياها إلى داره، وأنه ضاجعها فحملت منه سفاحاً إلى آخر القصة التي أوردنا مصورها في الملحق الثاني في آخر الكتاب.

ويظهر من مقارنة رواية وهب هذه بما جاء في خبر داود في سفر صموئيل من التوراة أنه أخذ بعض القصة من التوراة وبعضاً آخر منها من كتب إسرائيلية أخرى كان قرأها - كما كان يخبر عن قراءته إياها -، وهذا النوع من الروايات سُمِّيَ في علم دراية الحديث بـ: «الروايات الإسرائيلية أو الإسرائيلية».

ثانياً - رواية الحسن البصري:

إنَّ موجز رواية البصري هو موجز رواية وهب نفسه، غير أنَّ البصري أضاف في أوّل القصة: أن داود كان قد جزأ الدهر أربعة أيام، ولسنا ندري هل

أضافه اليها من خياله وابتكاره أو أنه أخذ من راوٍ آخر من رواة الاسرائيليات؟ وعلى أي حال، لم يذكر البصري سند روايته هذه، وإنما أرسلها رسالاً، ولو أنه حين رواها ذكر مصدرها وقال إنه رواها من وهب بن منبه أو غيره من رواة الروايات الإسرائيلية؛ لكان الأمر وتمكّن الباحثون من العثور على مصدر الرواية وأدركوا بسهولة أنها من الروايات الاسرائيلية، وبإرساله الرواية غمّ أمر الرواية على الباحثين، وبما أنه إمام الأئمة في العقائد فقد كان لروايته أثرٌ مضاعفٌ على فهم العقائد الاسلامية.

وجلّ رواة الروايات الاسرائيلية يفعلون ما فعله البصري ويرسلون ما يروونه من الروايات الاسرائيلية دون ذكر مصدر الرواية، ومن ثمّ يغمّ أمر تلك الروايات على غير أهل دراية الحديث.

ثالثاً - رواية يزيد الرقاشي:

إنّ يزيد بن أبان قال: إنه سمعها من الصحابي أنس الذي سمعها من رسول الله (ص)، وبذلك كذب على أنس وعلى رسول الله (ص)، وهو الزاهد العابدين البكاء، وكم يكون أثر رواية يرويها أمثال يزيد من العباد في وعظهم وقصصهم؟! وهل يعرف غير المتخصّصين بعلم دراية الحديث أنّ يزيد الرقاشي أسند ماسمعه من الحسن البصري الى الصحابي أنس إلى رسول الله (ص)، ويأتي بعدهم المفسّرون أمثال الطبري (ت: ٣١٠ هـ) الى السيوطي (ت: ٩١١ هـ) ويوردون تلك الأساطير في تفاسيرهم. والأمر لا يقتصر على من ذكرناهم هنا من رواة الروايات الإسرائيلية، بل يتعدّاهم إلى غيرهم من صحابة وتابعين، كما ذكرنا بعضهم في الجزء الخامس والثاني عشر من قيام الأئمة بإحياء السنة^(١٧) مثل:

(١٧) لقد طبعا بالفارسية باسم «نقش ائمه در احياء دين».

- ١ - الصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص: الذي أصاب راحلتين من كتب أهل الكتاب في بعض الغزوات، وكان يروي عنهما دونها ذكر لمصدر رواياته.
- ٢ - الصحابي تميم الداري: الذي أسلم بعد أن كان راهب النصراني، وكان يقصّ في مسجد الرسول (ص) يوم الجمعة قبل خطبة الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب، ويقصّ يومين في الاسبوع على عهد الخليفة عثمان.
- ٣ - التابعي كعب الأخبار:

كان قد اسلم على عهد الخليفة عمر، وأصبح من علماء المسلمين على عهد الخليفين عمر و عثمان.

ثم من أخذ من هؤلاء وألّف تفسير القرآن مثل:

- ٤ - مقاتل بن سليمان المروزي الأزدي بالولاء (ت: ١٥٠هـ)

كان مشهوراً بتفسير كتاب الله. وقال الشافعي:

(الناس كلّهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى

زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام):

كم يأتري دسّ مقاتل من الاسرائيليات في رواياته التي اعتمدها وكم

اختلف مما روى وأسند؟! (١٨)

(١٨) راجع ترجمة تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٠ - ١٦٩) رقم الترجمة ٧١٤٢، وفيات الأعيان

(٤/ ٢٤٠ - ٢٤٢) رقم الترجمة ٧-٤، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٩ - ٢٨٥)، وميزان الاعتدال

(٤/ ١٧٢) رقم الترجمة ٧٨٤١.

نتيجة الدراسة

نقل وهب الرواية المفتراة على نبي الله داود (ع) من كتب أهل الكتاب وصرّح بمصدرها، ورواها إمام الأئمة الحسن وأرسلها دون الإشارة إلى مصدرها، ودلّس المحدث القاصّ الزاهد العابد البكّاء يزيد بن أبان وقال: سمعها أنس من رسول الله (ص).

ولا يقتصر هذا النوع من التدليس وإسناد الروايات الاسرائيلية إلى الصحابة بهذا المورد وحده، وإلى هذا الصحابي وحده، فقد أكثروا في إسناد أمثالها إلى الصحابي ابن عم النبي (ص) عبدالله بن عباس، ونحتاج لدراستها إلى بحوث مقارنة مبسطة، وبمراجعة الصفحة الأخيرة من تفسير السيوطي «الدر المنثور» ينكشف لنا بعض الأمر.



وهكذا نجد منشأ الخبر المفترى على داود (ع) قصص التوراة، وكذلك تسرّبت الأخبار الإسرائيلية إلى تفسير القرآن، فكونت للمسلمين رؤية غير صحيحة عن سيرة الأنبياء، وكان ذلكم خبر زواج داود (ع) بأرملة أوريا وما افتروا عليه في ذلك، ومنشأه، والصحيح من خبره، وفي ما يأتي الصحيح من خبر زواجي زينب بنت جحش بزيد ثم برسول الله (ص):

خبر زواج الرسول بزینب بنت جحش في الرواية:

قال الخازن في تفسير آية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ...﴾ :

«وأصحُّ ما في هذا الباب ما روي عن سفيان بن عُيَيْنَةَ عن عليّ بن زيد بن جدعان، قال: سألتني زين العابدين عليّ بن الحسين قال: ما يقول الحسن - أي البصري (ت: ١١٠هـ) - في قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ؟ قلت، يقول: لما جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إني أريد أن أطلق زينب، أعجبه ذلك وقال: أمسك عليك زوجك واتق الله. فقال علي بن الحسين: ليس كذلك، فإن الله عز وجل أعلمه أنها ستكون من أزواجه، وأن زيدا سيطلقها، فلما جاء زيد قال: إني أريد أن أطلقها، قال له: أمسك عليك زوجك. فعاتبه الله تعالى وقال: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟

قال الخازن:

وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة... الخ.

وتفصيل خبر زواج زينب بزيد أولاً ثم بالنبي (ص) في الآيات والروايات كالآتي:

أ - الآيات في خبر زواج الرسول (ص) بزینب بنت جحش:

قال الله سبحانه في سورة الأحزاب:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا* وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا

لِكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُقَدَّرًا * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠ - ٤٦﴾.

ب - تأويل الآيات في روايات مدرسة الخلفاء:

روى الطبري في تأويل الآية عن وهب بن منبه: إنَّ النبي (ص) كان قد زوّج زيد بن حارثة زينب بن جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله (ص) يوماً يريدّه، وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي (ص)، فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر، فجاء - زيد - فقال: يا رسول الله (ص) إنني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: مالك؟ أراك منها شيء؟ قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله ولا رأيت إلا خيراً... الحديث^(١٩).

ووردت - أيضاً - رواية أخرى في هذا الصدد بالمضمون نفسه عن الحسن البصري سوف نوردّها ضمن روايات أهل البيت في تأويل الآيات إن شاء الله تعالى.

دراسة الروایتين:

أ - سندهما:

نقلوا الروایتين عن وهب بن منبه والحسن البصري، ونضيف الى ما أوردناه في ترجمتهما: أن كليهما كانا قد ولدا بعد رسول الله (ص) بأعوام، فكيف يرويان

(١٩) تفسير الطبري، ط. دار المعرفة بيروت (٢٢ / ١٠ - ١١).

عَمَّا حَدَّثَ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَيُرْسِلَانِهِ إِرسَالاً دُونَهَا ذَكَرَ مَصْدَرَهُمَا؟!

ب - مَتْنُهُمَا:

مَحْوَرُ الْخَبَرِ أَنَّ الرَّسُولَ (ص) أَعْجَبَهُ جَمَالُ زَيْنَبَ عِنْدَمَا رَأَاهَا بَغْتَةً بِلَا حِجَابٍ، وَرَغِبَ فِي طَلَاقِ زَيْدٍ إِيَّاهَا وَأَخْفَى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ.
وَبَيَانُ زَيْفِ ذَلِكَ: أَنَّ زَيْنَبَ كَانَتْ ابْنَةَ عَمَّةِ النَّبِيِّ (ص)، وَقَدْ نَزَلَ حُكْمُ الْحِجَابِ بَعْدَ زَوَاجِ الرَّسُولِ (ص) بِزَيْنَبَ، وَكَانَ قَدْ رَأَاهَا قَبْلَ أَنْ يَزُوجَهَا مِنْ زَيْدٍ مَرَاراً وَتَكَرَّاراً، وَقَدْ افْتَرَى عَلَى الرَّسُولِ (ص) مَنْ قَالَ ذَلِكَ، وَالصَّحِيحُ فِي الْخَبَرِ مَا نَنْقُلُهُ عَنْ كُتُبِ السِّيَرَةِ فِي مَا يَأْتِي بِإِذْنِهِ تَعَالَى:

خَبَرُ زَوَاجِ زَيْنَبَ بِزَيْدٍ أَوَّلًا ثُمَّ بِالنَّبِيِّ (ص) بَعْدَ طَلَاقِ زَيْدٍ إِيَّاهَا:
كَانَ مِنْ خَبَرِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ شَرَاهِيلَ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ أَصَابَهُ سَبَاءٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَبِيعَ فِي بَعْضِ أَسْوَاقِ الْعَرَبِ، فَاشْتَرَى لَخْدِيجَةَ، ثُمَّ وَهَبَتْهُ خَدِيجَةُ لِلنَّبِيِّ (ص) قَبْلَ أَنْ يُبَاعَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ، فَنَشَأَ عِنْدَ النَّبِيِّ (ص)، وَبَلَغَ الْخَبَرَ أَهْلُهُ فَقَدِمَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ مَكَّةَ لِفِدَائِهِ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ (ص) وَقَالَا: يَا أَبْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! يَا أَبْنَ هَاشِمِ! يَا أَبْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ! جِئْنَاكَ فِي أَبْنَانَا عِنْدَكَ فَاْمَنْنَ عَلَيْنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ! فَقَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): فَهَلَّا غَيْرَ ذَلِكَ؟ قَالَا: مَا هُوَ؟ قَالَ: أَدْعُوهُ وَخَيْرُوهُ فَإِنْ أَخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِنْ أَخْتَارَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنْ أَخْتَارَنِي أَحَدًا، قَالَا: قَدْ زِدْتَنَا عَلَى النِّصْفِ وَأَحْسَنْتَ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ! هَذَا أَبِي، وَهَذَا عَمِّي! قَالَ: فَأَنَا مَنْ عَرَفْتَ وَرَأَيْتَ صَحْبَتِي لَكَ فَاخْتَرَنِي أَوْ أَخْتَرْتَهُمَا. قَالَ: مَا أُرِيدُهُمَا وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مِنِّي مَكَانَ الْأَبِ وَالْعَمِّ! فَقَالَا: وَيَحْكَ يَا زَيْدُ! أَتَخْتَارُ الْعِبَادِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ وَعَلَى أَيْبِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ،

ورأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً، فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه الى الحجر - في بيت الله - فقال: يا من حضر! اشهدوا أن زيدا أبني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وأنصرفا^(٢٠). ونُسبَ زيد بعد ذلك الى رسول الله (ص) وقيل له: زيد بن محمد (ص)، وزوجه الرسول (ص) من أمته وحاضنته برّة السوداء الحبشية، وكانت قد تزوّجت قبله من عبيد الحبشي، وولدت له أيمن فُكُنِيَتْ بـ (أم أيمن)، فولدت في مكّة أسامة من زيد^(٢١).
كان ذلكم خبر تبني الرسول (ص) لزيد، وخبر زواجه بزینب ثمّ زواج النبي بزینب كالآتي:

(٢٠) اسد الغابة (٢/ ٢٢٤ - ٢٢٧).

(٢١) ترجمة أم أيمن في اسد الغابة (٧/ ٣٠٣)، والاستيعاب ص ٧٦٥ رقم الترجمة ٢.

والاصابة (٤/ ٤١٥ - ٤١٧) الترجمة رقم ١١٤٥.

خبر زواج زيد من زينب ابنة عمّة الرسول (ص):

بعد الهجرة الى المدينة خطب زينب ابنة أميمة ابنة عبدالمطلب عدّة من أصحاب النبيّ (ص)، فأرسلت أخاها الى النبيّ (ص) تستشيريه في أمرها، فقال: فأين هي ممّن يعلمها كتاب ربّها وسنة نبيّها؟ فسألت: من هو؟ فقال: زيد! فغضبت وقالت: تزوّج ابنة عمّتك مولاك! لست بناكحته! أنا خير منه حسباً! أنا أيّ قومي^(٢٢)، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب ٣٦)، فرضيت فزوّجها الرسول (ص) من زيد بعد أم أيمن السوداء الحبشية، ولها أسامة بن زيد، فكانت تعلقو على زيد وتشتد وتأخذه بلسانها، فكان يشكوها إلى الرسول (ص) ويحاول تطليقها، واقتضت مشيئة الله وحكمته أن يتزوّجها الرسول (ص) بعد زيد ليُلغى بذلك التبنّي بين المسلمين، وأشعره الوحي بذلك، فخشي الرسول (ص) أن يقول الناس تزوّج حليلة ابنه، فكتّم الوحي في نفسه وقال لزيد: إتق الله وأمسك عليك زوجك، ولما ضاق زيد ذرعاً بزواجه زينب طلقها وانقضت عدّتها، فنزلت الآيات على الرسول (ص) مرّة واحدة:

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ*.... مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...﴾ (الأحزاب ٣٧ - ٦٤).

وقال عزّ اسمه لِسائر المؤمنين: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائَكُمْ أبنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ* أَدْعَوْهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ

(٢٢) الأيّم وجمعه الايامى: المرأة لا زوج لها والرجل لا زوجة له.

الله فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴿ (الأحزاب ٤ - ٥).

* * *

أوردنا في ماسبق مثالين من آيات أخطأ العلماء في تأويلها بسبب ماورد في رواياتٍ مُفتراةٍ على الأنبياء، ونورد في مايتي أمثلة من آيات أخطأ البعض في تأويلها دونما استناد إلى رواية:

آيات أخطأوا في تأويلها

أ - نسبة العصيان الى آدم (ع) في سورة طه حيث قال تعالى:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (الآية ١٢١).

ب - في سورة الأنبياء: حيث قال إبراهيم عن تكسير الأصنام ﴿بَلْ فَعَلَهُ

كَبِيرُهُمْ﴾ في حين أنه هو الذي كان قد كسرها، كما قال سبحانه:

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ قالوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا

إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قالوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ قالوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى

أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ قالوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ قَالَ بَلْ

فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ

أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (الآيات ٥٨

- ٦٥).

ج - أخبر الله سبحانه في سورة يوسف (ع) أَنَّ وَزَعَتَهُ^(٢٣) قالوا لآخوته ﴿إِنَّكُمْ

لَسَارِقُونَ﴾ في حين أنهم لم يكونوا قد سرقوا صواع الملك، حيث قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَدِّنٌ أَيُّهَا

الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قالوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ قالوا نَفَقْدُ صُوعِ الْمَلِكِ

وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ قالوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي

(٢٣) الْوَزَعَةُ: الموظفون من قبل ولاية الأمر.

الْأَرْضَ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ * قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ (آيَات ٧٠ - ٧٨).

د - أخبر الله سبحانه في سورة الأنبياء أن النبي ذا النون (ع) ظن أن الله لن يقدر عليه حيث قال تعالى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (الآيَات ٨٦ - ٨٨).

هـ - أخبر الله تعالى في سورة الفتح أنه سبحانه غفر بعد الفتح ماتقدم من ذنب خاتم الأنبياء وماتأخر، وقال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿ (الآيَات ١ - ٣).

* * *

هذه إلى آيات أخرى لم يفطنوا إلى تأويلها، وسندرسها بعد تفسير الكلمات وبعض المصطلحات في ما يأتي بإذنه تعالى:

تفسير بعض الكلمات والمصطلحات:

أولاً - تعريف مصطلحات البحث:

أ - أوامر الله ونواهيه:

مِنْ أوامر الله ونواهيه ما تظهر آثار مخالفتها في الحياة الدنيا فحسب ولا تتعداها الى الحياة الآخرة، مثل ما ورد في قوله تعالى:
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف ٣١).

والإسراف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، مثل تجاوزه الحد في تناول الطيبات من المأكول والمشروب، ويرى الإنسان أثر مخالفته لهذا النوع من أوامر الله ونواهيه في الحياة الدنيا ولا يتعداها الى الآخرة، ويسميان أمراً إرشادياً ونهياً إرشادياً.

ومنها ما يوجب فعل المأمور به ويحرم تركه ويحرم فعل المنهي عنه، وهذان تمتد آثار مخالفتها على الإنسان إلى يوم القيامة وتسبب له العذاب، ويسميان بالأمر والنهي المولويين مثل:

ب - ترك الأولى:

في ما يصدر من الإنسان من عمل ما يكون فعل خلافه وضده أفضل، مثل الموردين الآتين من أفعال أنبياء الله تعالى المذكورة في القرآن الكريم:

ج - المعصية:

عصى أمره يعصيه عصياناً ومعصية: خرج من طاعته ولم يُنفذ أمره، فهو عاصٍ وعصى.

ولفظ (الأمر) قد يأتي في الكلام بعد ذكر مشتقات المعصية، مثل ما جاء:

أ - سورة الكهف في حكاية قول موسى لمن أراد أن يصحبه:

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الآية ٦٩).

ب - في وصف الملائكة الموكلين بالنار في سورة التحريم:

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

(الآية ٦).

ولا يأتي لفظ الأمر في الكلام - غالباً - بوضوح المعنى مثل قوله تعالى في

سورة طه: ﴿فَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ (الآية ١٢١).

وأحياناً لا يذكر من عصى أمره مثل قوله تعالى في ما جاء عن خبر فرعون

في سورة النازعات: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ (الآية ٢).

د - الذنب:

إن حقيقة الذنب هو تبعة كل عمل يصيب الإنسان في المستقبل، وقد

تخص هذه التبعة بعض الأعمال في الدنيا، وترد على الإنسان ممن يقدر على

الإضرار بالإنسان، كما جاء في حكاية قول موسى (ع) في مناجاة ربه في سورة

الشعراء:

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ *

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى

هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون * قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ

مُسْتَمِعُونَ﴾ (الآيات ١٠ - ١٥).

فإن فعل موسى كان قتله القبطي الذي جاء خبره في الآيات من سورة

القصص:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ

شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهَا قَالِ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ * وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ (الآيات ١٥ - ٢١).

وكان لفعله - قتله القبطي - تبعة في الدنيا وهي إتهام قوم فرعون لقتله.
وتبعة عصيان أوامر الله ونواهيه المولوية تصيب الإنسان في الآخرة؛ وأحياناً في الدنيا والآخرة وهي ذنوب العبد تجاه ربه جلَّ اسمه.

ثانياً: شرح بعض الكلمات:

أ - ذا الأيد:

آد، يثيد، أيداً: اشتدَّ وقوي، وذا الأيد: صاحب القوة.

ب - أَوَاب:

أَوَّبَ تأويباً: رجع فهو أَوَّبٌ، والأَوَّاب كالتَّوَاب: الراجع الى الله بترك

معاصيه وفعل طاعاته.

ج - تُشْطِطُ:

الشُّطُط: الجور في الحكم وتجاوز القدر المحدود في كل شيء.

د - أَكْفَلْنِيهَا.

كفله كفلاً وكفالة: عاله ورعاه، وأكفَلْنِيهَا: أعطني إياها لأرعاها.

هـ - عَزَّنِي في الخطاب:

عَزَّه وعازَّه: غلبه، وعَزَّنِي في الخطاب: غالبني في الكلام.

و - الخُلُطَاءُ:

مفردُهُ الخُلِيط: الصديق والمجاور والشريك.

ز - ظَنَّ:

الظَّنُّ ما يحصل عن إمارة، وقد يبلغ الظَّنُّ درجة اليقين مثل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أي أيقن أنا فتناه، وقد لا يبلغه ويكون دونه الى حدِّ

التوهم، مثل قوله تعالى في خبر يونس (ع): ﴿فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

ح - فَتَنَّاهُ:

الْفِتْنَةُ: الامتحان، ويكون المعنى: أيقن داود أنا أمتحناه.

ط - خَرَّ:

خَرَّ: سقط من علو، وخرَّ راکعاً أي هوى الى الركوع.

ي - أَنَابَ:

ناب الى الشيء نوباً ونوبة: رجع إليه مرّة بعد أُخرى، وأَنَاب العبد الى الله: رجع إليه بالتوبة من المعصية، وكذلك اعتمد عليه في ما ينزلى به، وكان إبراهيم (ع) منيباً يرجع إليه في أموره كلّها.

ك - فَغَفَرْنَا وَلَيَغْفِرَ:

غفره مغفرة وغفراً وغفراناً: ستره وغطّاه فهو غافر وغفور، وللمبالغة غفار، وكلّ شيء سترته فقد غفرته، وسمّي ما ينسج من الدروع على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة بالمغفر لأنه يستر الرأس والرقبة، وغفر الله ذنوبه: أي سترها، ويكون ذلك بِمَحْوِ آثار الذنوب في الدنيا وآثارها في الآخرة.

ل - لَزُلْفَى:

زلف اليه زلفاً، وزلّفى، وزلفة، وأزْدَلَف: دنا منه وتقرّب، والزلفة: القرب.

م - مَابَ:

آب يؤوب أوباً وإياباً ومآباً: رجع، والمآب - أيضاً -: اسم زمان ومكان للأوب.

ن - خَلِيفَةً:

سبق أن فسّرنا لفظ الخليفة، وقلنا ما موجزه:

ليس معنى خليفة الله في القرآن نوع الإنسان على الأرض كما قيل، بل المراد: الإمام المنصوب من قبل الله لهداية الناس وليحكم بين الناس، كما يظهر ذلك في قوله تعالى لداود (ع): ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾.

س - الْخَيْرَةُ:

خار الشيء على غيره خَيْرَةً وَخَيْرَةً وخيراً: فضّله على غيره.

ع - وَطَرًا:

الوَطَرُ: حاجة للإنسان له عناية بها وأهتمام فإذا بلغها ونالها قيل: قضى وطره.

ف - أَدْعِيَاؤُهُمْ:

الْأَدْعِيَاءُ: مفردة الدَّعِي: من يُنسب إلى قوم وليس منهم، وأظهر مصاديقه: المتبنَّى.

ص - سُنَّةُ اللَّهِ:

النَّظَام الذي قدَّره الله لخلقه. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ أي حكم الله وشريعته التي أنزلها على مَنْ سَبَقَ خاتم الأنبياء من الرُّسُل.

ق - قَدْرًا مَقْدُورًا:

قَدَّرَ اللهُ الأمر يَقْدُرُهُ: دَبَّرَهُ أو أراد وقوعه، وَقَدَّرَ اللهُ الرِّزْقَ يَقْدِرُهُ جَعَلَهُ محدوداً ضيقاً.

ر - جُذَاذًا:

جَذَّ الشَّيْءَ جَذًّا: قطعهُ؛ فالشَّيْءُ مجذوذ، وجذَّه كسره وفتَّته، والجذاذ المقطَّع أو المكسَّر.

ش - فَتًى:

أَلْفَتًى: الشابُّ من كلِّ شيء، ويقال للعبد والأمة تَلَطُّفًا بهما، والفتى: الكامل من الرجال، والمراد به هنا الشابُّ من الرجال.

ت - نَكِسُوا:

نَكَسَ رَأْسَهُ وَنَكَسَ عَلَى رَأْسِهِ: طَاطَأَ رَأْسَهُ ذُلًّا وَاِنْكَسَارًا.

ض - السَّقَايَةُ:

السَّقَايَةُ: الْإِنَاءُ يُسْقَى بِهِ وَقَدْ يَكَالُ بِهِ.

ظ - العير:

القوم معهم حملهم من الميرة، وقد يقال للرجال وللجمال معاً، كما يقال لكل

منهما وحده: العير.

غ - صُواع:

المراد بالصُواع هنا: صاع الملك وهو السقاية المذكورة قبله.

آ - زعيم:

زعم يزعمُ زعماً وزعامَةً: ضمن وكفل فهو زعيم.

ثالثاً: تأويل الآيات:

في بيان تأويل الآيات نبداً أولاً ببيان تأويل بعض الموارد، حسب معناها اللغوي، وثانياً بإيراد الروايات عن أئمة أهل البيت في ذلك.

تأويل الآيات بحسب معنى الألفاظ في لغة العرب:

أ - خبر إبراهيم (ع) في كسر الأصنام:

في قوله (ع): ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء ٦٣) تورية، والمعنى في الكلام: فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، ويعرف ذلك من قوله تعالى بعده: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (الآية ٦٥).

ب - خبر يوسف مع إخوته:

قصداً من قولهم لأخوة يوسف ﴿أَيُّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ أنهم سرقوا يوسف (ع) من أبيه.

أما صواع الملك فقد قالوا عنه (نفقد صواع الملك)، ولم يقولوا سرق صواع الملك. وفي هذا الكلام - أيضاً - تورية كما أتضح مما بيّناه.

ج - خبر رسول الله بعد الفتح:

قال سبحانه في سورة الفتح:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَينصرك الله نصراً عزيزاً * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ...﴾ (الآيات ١ - ٤).

تفسير الكلمات

أ - فتحنا:

المراد بالفتح هنا: صلح الحديبية وقد سمّاه الله فتحاً لما أعقب من كسر شوكة قريش، وعدم استطاعتهم مناوأة الرسول (ص) وتجهيز الجيوش لمحاربته وفتح الرسول (ص) مكة بعد ذلك.

ب - لِيَغْفِرَ:

في اللغة غفر الشيء: ستره.

ج - ذنبك:

قال الراغب: (الذنب في الأصل الأخذ بذنب الشيء، يقال: أذنبته - أي - أصبت ذنبه، ويستعمل في كل فعل يستوخم عقابه)، (ولهذا يسمّى الذنب: تبعة اعتباراً بذنب الشيء، وجمع الذنب: ذنوب).

تأويل الآية بحسب معناها اللغوي:

كان من خبر صلح الحديبية مارواه الواقدي في المغازي وقال ماموحزه: وثبَّ عمر الى رسول الله (ص)، وقال: ألسنا بالمسلمين؟ قال (ص): بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله (ص): أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني. وجعل - عمر - يردّ على رسول الله (ص) الكلام، وتكلّم مع أبي بكر وأبي عبيدة في ذلك فردّا عليه، وكان يقول بعد ذلك: لقد دخلني يومئذ من الشكّ وراجعت النبي (ص) مراجعةً ماراجعته مثلها قط.. الخبر. (٢٤)

(٢٤) نقلته بايجاز من مغازي الواقدي (١/ ٦٠٦ - ٦٠٧).

ونزلت السورة تُعَلِّمُ بَأْنَ الصلح فتح للرسول وللمسلمين، وأنَّ ما كان
المشركون يعدّونه ذنباً للرسول في ماتقدّم من قيامه بمكّة بتسفيه أحلامهم وعيب
آهتّهم، وفي ماتأخّر من قتله إيّاهم في غزوة بدر وغيرها. قد ستر الله جميعها
بذلكم الصلح الذي أنتج كلّ تلکم الفتوح، وإنّ قوله تعالى في هذه السورة:
ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر، كقوله تعالى في حكاية قول الكلیم موسى بن
عمران (ع) في سورة الشعراء: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾ (الآية ١٤).
وبناءً على ما ذكرناه يكون ذنب الرسول في مقابل قومه كذنب موسى (ع)
في مقابل الأقباط بمصر.



نكتفي بهذا المقدار من بيان تأويل الآيات بحسب معناها اللغوي، ونورد
في ما يأتي بحوله تعالى تأويل الآيات من الروايات:

تأويل الآيات في روايات أئمة أهل البيت (ع):

روى الصدوق أن الخليفة العباسي المأمون جمع للامام علي بن موسى الرضا (ع) أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، وكان فيهم علي بن الجهم من أهل المقالات الاسلاميين، فسأل الرضا (ع) وقال له: يا ابن رسول الله! أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؟ وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾؟ وقوله في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾؟ وقوله عز وجل في داود: ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّهَا فَتْنَاهُ﴾؟ وقوله في نبيه محمد (ص): ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾؟

فقال مولانا الرضا عليه السلام: وَيَحْكُ يَا عَلِي! اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَنْسِبْ إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْفَوَاحِشَ وَلَا تَتَأَوَّلْ كِتَابَ اللَّهِ بِرَأْيِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. أَمَا قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ فِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؟ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ، وَخَلِيفَتَهُ فِي بَلَادِهِ، لَمْ يَخْلُقْهُ لِلْجَنَّةِ، وَكَانَتْ الْمَعْصِيَةُ مِنْ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ لَا فِي الْأَرْضِ لِيَتِمَّ مَقَادِيرُ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَلَمَّا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ وَجُعِلَ حُجَّةً وَخَلِيفَةً عُصِمَ بِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾؟ إِنَّمَا ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يُضَيِّقُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾؟ أَيِ ضَيَّقَ عَلَيْهِ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ

عَلَيْهِ لَكَانَ قَدْ كَفَرَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ فِي يُوسُفَ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ فَإِنَّهَا هَمَّتْ بِالْمَعْصِيَةِ، وَهَمَّ يُوسُفُ بِقَتْلِهَا إِنْ أَجْبَرَتْهُ لِعَظَمِ مَا دَاخَلَهُ، فَصَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ قَتْلَهَا وَالْفَاحِشَةَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾؛ يَعْنِي الْقَتْلَ ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾؛ يَعْنِي الزُّنَا.

وَأَمَّا دَاوُدُ فَمَا يَقُولُ مِنْ قَبْلِكُمْ فِيهِ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ: يَقُولُونَ: إِنَّ دَاوُدَ كَانَ فِي مُحْرَابِهِ يَصَلِّي إِذْ تَصَوَّرَ لَهُ إِبْلِيسُ عَلَى صُورَةِ طَيْرٍ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الطَّيُورِ، فَقَطَعَ صَلَاتَهُ وَقَامَ لِيَأْخُذَ الطَّيْرَ فَخَرَجَ إِلَى الدَّارِ، فَخَرَجَ فِي أَثَرِهِ فَطَارَ الطَّيْرُ إِلَى السَّطْحِ، فَصَعِدَ فِي طَلَبِهِ فَسَقَطَ الطَّيْرُ فِي دَارِ أُورِيَا بْنِ حَنَانَ، فَاطَّلَعَ دَاوُدُ فِي أَثَرِ الطَّيْرِ فَإِذَا بِامْرَأَةٍ أُورِيَا تَغْتَسِلُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا هَوَاهَا، وَكَانَ أُورِيَا قَدْ أَخْرَجَهُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ أَنْ قَدِّمَ أُورِيَا أَمَامَ الْحَرْبِ، فَقَدَّمَ فَظَفَرَ أُورِيَا بِالْمَشْرُكِينَ، فَصَعِبَ ذَلِكَ عَلَى دَاوُدَ، فَكَتَبَ الثَّانِيَةَ أَنْ قَدِّمَهُ أَمَامَ التَّابُوتِ، فَقَتَلَ أُورِيَا رَحِمَهُ اللَّهُ، وَتَزَوَّجَ دَاوُدُ بِامْرَأَتِهِ، فَضَرَبَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، لَقَدْ نَسَبْتُمْ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ إِلَى التَّهْمَانِ بِصَلَاتِهِ حَتَّى خَرَجَ فِي أَثَرِ الطَّيْرِ، ثُمَّ بِالْفَاحِشَةِ، ثُمَّ بِالْقَتْلِ! فَقَالَ: يَا أَبْنِ رَسُولَ اللَّهِ! فَمَا كَانَتْ خَطِيئَتُهُ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ إِنَّ دَاوُدَ إِنَّمَا ظَنَّ أَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ الْمَلَكِينَ فَتَسَوَّرَا الْمُحْرَابَ فَقَالَا: ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهِدْنَا إِلَى سِوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿فَعَجَّلَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ فَلَمْ يَسْأَلِ الْمُدَّعَى الْبَيِّنَةَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَقْبَلْ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَيَقُولُ: مَا تَقُولُ؟ فَكَانَ هَذَا خَطِيئَةً حُكِمَ، لَا مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم

بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴿٢٥﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقُلْتُ: يَا أَبْنِ رَسُولَ اللَّهِ فَمَا قَصَّتهُ مَعَ أوريا؟ فقال الرضا عليه السلام: إِنَّ المرأةَ فِي أَيَّامِ داودَ كانت إذا ماتَ بعلها أو قتل لا تتزوَّج بعده أبداً، وأوَّلَ من أباحَ اللهُ عزَّ وجلَّ له أن يتزوَّجَ بامرأة قتلَ بعلها، داود، فذلك الذي شقَّ على أوريا... الحديث (٢٥)!

وفي خبر داود خاصة عن أمير المؤمنين الإمام عليّ (ع) أنه قال: ما أوتي برجل يزعم أن داودَ (ع) تزوَّجَ بامرأة أوريا إلا جَلَدَتْهُ حَدَّينِ حَدًّا لِلنَّبِوةِ وَحَدًّا لِلْإِسْلَامِ. (٢٦)

والمعنى: (مَنْ قال إنَّ داودَ تزوَّجَ بامرأة أوريا) أي قبل استشهاده في رواية: (مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثِ داودَ على ما يرويه القصاصُ جَلَدَتْهُ مائة وستين) وفي رواية: وهو حدُّ الفرية على الأنبياء. (٢٧)

وروى الصدوق - أيضاً - عن الإمام الصادق (ع) مثل الرواية الأولى، وفي رواية قال: إِنَّ المرأةَ فِي أَيَّامِ داودَ (ع) كانت إذا ماتَ بعلها أو قتل لا تتزوَّج بعده أبداً، وأوَّلَ من أباحَ اللهُ عزَّ وجلَّ له أن يتزوَّجَ بامرأة قتلَ بعلها داودَ (ع)، فتزوَّجَ بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدَّتُها، فذلك الذي شقَّ على الناس من قتل أوريا. (٢٨)

ولو قيل إنَّ ما أوردتموه معارض بما رواه القمي في تفسيره أنه قال

(٢٥) البحار (١١/٧٣ - ٧٤) عن أمالي الصدوق (٥٥ - ٥٧) وطبعة أخرى (٩٠ - ٩٢)، وعيون الأخبار (١٠٨ - ١٠٨).

(٢٦) تفسير الآية بتفسير مجمع البيان ونور الثقلين وتنزيه الانبياء للشيخ المرتضى ص ٩٢.

(٢٧) تفسير الآية بتفسير الخازن (٤/٣٥) والفخر الرازي (٢٥/١٩٢) ونور الثقلين

(٤/٤٤٦).

(٢٨) البحار (١٤/٢٤) وراجع تفسير نور الثقلين (٤/٤٤٦) نقلاً عن عيون الأخبار.

ماموجزه:

إن داود (ع) كان في محرابه يصلي فاذا بطائر قد وقع بين يديه، فأعجبه جداً ونسي ما كان فيه فقام ليأخذه، فطار الطائر فوق على حائط بين داود وأوريا - كان داود قد بعثه في بعث - فصعد داود الحائط ليأخذه، فرأى امرأة جالسة تغتسل، فلما رأت ظله نشرت شعرها وغطت به بدنها، فافتتن بها داود ورجع الى محرابه، وكتب الى صاحبه في ذلك البعث أن يسيروا الى موضع كيت وكيت ويوضع التابوت بينهم وبين عدوهم ويقدم أوريا بين يدي التابوت، فقدمه فقتل... الحديث بطوله. (٢٩)

قلنا: إن هذه الرواية قد جمع فيها راويها الروايات المتعددة الواردة في تفسير الآيات بتفسير مدرسة الخلفاء، وأضاف اليها من خياله بعض القول، ثم رواها عن الإمام الصادق (ع). ونحن ندرس متن الرواية دون التعرض لسندها ونقول:

أولاً - قال: في الحديثين المتعارضين: ذروا ما وافق أخبار العامة. (٣٠)
ثانياً - ورد بخصوص خبر أوريا المذكور عن الامام جعفر الصادق (ع) أنه عندما سئل عنه وقال له الراوي:

ما تقول في ما يقول الناس في داود وأمرأة أوريا؟

فقال: ذلك شيء تقوله العامة. (٣١)

في هذا الحديث صرح الامام الصادق (ع) بأن منشأ قول الناس في داود وأرملة أوريا هم العامة أي أتباع مدرسة الخلفاء. إذاً! فقد انتشر منهم هذا القول

(٢٩) البحار (١٤ / ٢٠ - ٢٣) عن تفسير القمي (٥٦٢ - ٥٦٥)، والتتمة في كتاب

الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ط. بيروت الأولى ص ٢٣٣.

(٣٠) راجع معالم المدرستين (٢٦٨/٣).

(٣١) البحار (١٤ / ٢٠٠).

الى مصادر الدراسات بمدرسة أهل البيت. وقد سَمِينَا هذا النوع من الروايات بالروايات المنتقلة؛ أي المنتقلة من مدرسة الخلفاء إلى مدرسة أهل البيت (٣٢)

وإذا بحثنا عن مصدر هذه الرواية بكتب التاريخ والتفسير بمدرسة الخلفاء (٣٣) وجدنا أن رواية هذه الرواية لم يرووها عن رسول الله (ص) ولم يقولوا أن رسول الله (ص) قال ذلك، ما عدا رواية واحدة رواها السيوطي في تفسير الآية عن يزيد الرقاشي عن أنس، وقد بينا في هذا البحث زيفها في ماسبق.

في قصة زيد وزينب: كسر الرسول (ص) بتزويجه زينب من زيد قانون التكافؤ في النسب من أعراف الجاهلية واستبدله بقانون التكافؤ في الإسلام، وبعد هذا الإنجاز العظيم أمره الله تعالى أن يكسر - بزواجه من مطلقة زيد - قانون التبني من أعراف الجاهلية، وفي عمله هذا شابه عمل النبي داود (ع) في زواجه بأرملة أوريا وتبديله بذلك قانوناً جاهلياً بقانون إسلامي، وكذلك يفعل الأنبياء في إجراء الأحكام الإسلامية، وهكذا فعل الرسول (ص) - أيضاً - في إبطاله قانون الرِّبَا وقانون أخذ الثَّارِ الجاهليين في حجة الوداع بإبطال رِبا عمه العباس واهدار دم ابن عمه. (٣٤)



(٣٢) راجع بحث الروايات المنتقلة في (ج ٢) من القرآن الكريم وروايات المدرستين.

(٣٣) راجع تفسير الآية في تفسير الطبري. والقرطبي وابن كثير والسيوطي.

(٣٤) في سيرة ابن هشام ط. مصر عام ١٣٥٦ (٤/٢٧٥) أن رسول الله (ص) قال في خطبته

في حجة الوداع (... عليها، وإنَّ كلَّ ربَّا موضوع، ولكنَّ لكم رؤوسُ أموالكم لا تَظْلُمُونَ ولا تَظْلَمُونَ، قضى الله أَنه لا ربًّا، وإنَّ ربَّا عباس بن عبد المطلب موضوعٌ كله، وإنَّ كلَّ دمٍ كان في الجاهلية موضوعٌ، وإنَّ أولَ دماءكم أضْعُ دَمُ ابنِ ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله هذيل، فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية.

هذه هي الحقيقة في أمر زواج النبي داود (ع) بأرملة أوريا وزواج خاتم الأنبياء (ص) بمطلقة أبنه المتبنى زيد، غير أن انتشار الروايات الإسرائيلية في تأويل قصص الأنبياء السابقين، والروايات المختلفة في تأويل ماعداها في بعض كتب التفسير وبعض مصادر الدراسات الإسلامية الأخرى حجبت رؤية الحق عن الباحثين، وجعلت من الباطل حقاً ومن الحق باطلاً، واشتهرت تلك الروايات وراجت في الأوساط الإسلامية لما كان فيها من تبرير لتورط بعض أفراد السلطات الحاكمة في قضايا شهوة الجنس، كما إن صدور المعاصي من أمثال يزيد ابن معاوية واشباهه من خلفاء بني مروان بعده وبطرائهم هو الداعي لعامة مانسب إلى الأنبياء والرسل (ص) من المعاصي ونفي العصمة عنهم، وتأويلهم الآيات في حقهم بما يدفع النقد عن بعض الخلفاء.



بعد الانتهاء من ذكر صفات المبلغين عن الله ينبغي أن ندرس في البحث الآتي كيفية المعارك التي خاضوها مع طواغيت عصورهم ومع المترفين من أمّتهم في كل عصر.

(٨)

معارك الرُّسل مع أُمَمهم
(معارك الأنبياء)

معارك الأنبياء حول الربوبية:

إنَّ تاريخ الشرائع السماوية يدلُّ على أنَّ جُلَّ الجبابرة الذين وقفوا بوجه الأنبياء كان محور صراعهم (الربوبية) لا (الخالقية)، فقد كان أكثر أقوام الأنبياء يُقرُّون بأنَّ الله خالق جميع الموجودات وإنَّ كانوا قد يسمُّونه باسمٍ آخر؛ مثل اليهود الذي يسمُّون الله (يهوه)، كما أخبر الله عنهم وقال تعالى:

أ - ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان ٢٥).

ب - ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ

الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف ٩).

ج - ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف ٨٧).

ونبدأ بذكر معركة كلِّيم الله موسى (ع) مع فرعون لوضوح أبعاد المعركة

فيها:

موسى الكليم (ع) وفرعون:

جاء في القرآن الكريم مرّاتٍ كثيرةً ذكر قصة موسى الكليم (ع) وطاغوت عصره فرعون، ومن جملة ما جاء في سورة (النازعات):
إنّ فرعون بعد أن حاجبه موسى (ع) وشاهد الآيات الالهية التي كانت معه جمع جمعاً عظيماً من أهل مصر ونادى فيهم:
﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (النازعات ٢٤).

وهو يعني من قوله هذا أنّه إذا كان للدجاج - مثلاً - ربّ يملكه ويطعمه ويربّيه ويسنّ نظاماً لحياته، فإنّ فرعون - أيضاً - يقول ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ (الزخرف ٥١).

إنّ فرعون مصر في ذلك الزمان كان يملك كلّ ما في مصر، وعلى هذا فإنّه كان يرى أنّه هو الذي يطعم المصريين، ويمدّهم بما يحتاجون إليه كافّة، إذا فهو الذي يربّيهم، وهو الذي ينبغي أن يشرّع نظاماً لحياتهم، فإذا ما شرّع: أنّ الاسرائيليّ يجب أن يخدم المصريّ يكون ذلك شرعاً وديناً يجب العمل به، وإذا سنّ نظاماً بذبح أبناء الاسرائيلين واستحياء نسائهم، فذلك دين يجب العمل به. كان هذا معنى قول فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ولم يدّع في قوله هذا أنّه خلق السموات والأرض وما فيها وما بينهما.

فماذا كان يقول له موسى الكليم (ع)؟ وماهي الرسالة التي أمر هو وأخوه هارون بتبليغها لفرعون؟ إنّ الله سبحانه وتعالى عيّنها في خطابه إياهما وقال لهما:
﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ... فَاتْيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ (طه ٤٣-٤٧).

يقول لهما في هذه الآية:

يا موسى ويا هارون اذهبا الى فرعون فقولا إنّنا رسولا ربك الذي أنشأك

وَرَبَّكَ وَأَكْمَلَكَ، قَوْلًا لَهُ أَنْتَ مَخْطِئٌ يَا فِرْعَوْنَ فِي ادِّعَائِكَ الرَّبَّ بِيَّةً، وَإِنْ مَعَنَا آيَةٌ وَشَاهِدًا مِنْ رَبِّكَ عَلَيَّ صَدَقْنَا.

وبعد مشاهدة فرعون آيات الله مع موسى كآبره وحاججه وقال: إِنْ كُنْتُمْ لَا تَقْبَلَانِ رَبَّيَّيْتِي، وَتَقُولَانِ إِنَّ الرَّبَّ بِيَّةٌ لَغَيْرِي وَعَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ نِظَامَ الْحَيَاةِ مِنْهُ، فَمَنْ هُوَ هَذَا الرَّبُّ؟

﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (طه / ٤٩).

أورد القرآن هنا بإيجاز جواب موسى (ع) لفرعون وقال:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه / ٥٠).

أي أتم خلق كل شيء وفصل تمام خلق الشيء في سورة الأعلى حيث قال تعالى: ﴿فَسَوِّى﴾، أى هياه لقبول الهداية ﴿ثُمَّ قَدَّرْ﴾ حياته ﴿فَهْدَى﴾ كل صنف من الخلق بما يتناسب وفطرته، وهدى صنف الإنسان من الخلق بواسطة الرسل.

وأراد فرعون أن يلقي الشبهة في استدلال موسى (ع) هذا، وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (طه ٥١)، أى إذا كان الرب يهدي الناس الى النظام الذي شرع لهم بواسطة الرسل فكيف هدى الرب القرون الأولى؟ ومن هم الذين أرسلهم اليهم وكيف كانت شرائعهم؟

قال موسى (ع):

﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (طه / ٥٢).

إن علم أولئك القرون عند الرب مكتوب في كتاب لا يضل ولا ينسى،

وفصل موسى (ع) شرح صفات الرب وقال:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ (طه / ٥٣ - ٥٤).

في هذا المقطع ذكر القرآن احتجاج موسى (ع) في مقابل قول فرعون ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ (الزخرف ٥١)، وإنه قال له وللملأ من حوله: إِنَّ رَبِّكُمْ هُوَ الْخَالِقُ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَجَعَلَهَا بِمَقْتَضَىٰ رَبْوَيْتِهِ مَهْدًا لِلْإِنْسَانِ وَشَقَّ فِيهَا طَرَقًا لِلسَّيْرِ، وَمِنْهَا أَرْضُ مِصْرَ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرَ الَّذِي يَتَكُونُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَمِنْهَا نَهْرُ الْنِيلِ، وَأَنَّهُ أَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ بِسَبَبِ الْمَاءِ نَبَاتَ الْأَرْضِ مَتَاعًا لِلْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ.

وَأُفْحِمَ فرعون بهذا المنطق وتبلّد وأراد أن يلقي شبهةً في حجج موسى البيّنات كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن موقفه وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ (طه ٥٦) - الكونية العامّة وما جاء بها موسى (ع) من آياتٍ خاصة - فَكَذَّبَ - فرعون - وأبى وقال: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (طه ٥٧ - ٥٨).

إنّ موسى كان من بني إسرائيل وهم غرباء في أرض مصر مستعبدون لأهلها، وأراد فرعون بقوله ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ أن يهيج الملأ من حوله على موسى الغريب، وأيضاً ألقى الشبهة في آتي العصا واليد بقوله ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ وقد كان السحر منتشراً في أرض مصر، وفيها العدد الكثير من أتباع فرعون، والسحر تخيل لا حقيقة له، وخداع للبصر والحواس، وقد يصل الى خداع الإحساس عندما يشاهد الإنسان أشياء لا وجود لها، وكانت آية موسى من صنع قدرة الله سبحانه وتعالى التي جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم (ع)، ولكن أنى للعامة من الناس قوّة تمييز الحق من الباطل والتخيل من الحقيقة، ثم إنّ الكثرة قد تغلب، ولهذا كله اقترح فرعون من موقع القوّة على موسى (ع) وقال: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (طه ٥٨).

إِنَّ فِرْعَوْنَ تَحَدَّى مُوسَىٰ بِاسْتِعْلَاءِ، وجعل لموسى (ع) تعيين الموعد، وقبل موسى (ع) التحدي واختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة حيث يأخذ الناس فيه زينتهم، ويتجمعون في الميادين المكشوفة وقال: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (طه ٥٩). والضحى أنسب الأوقات في النهار ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ (طه ٦٠).

وجاء ذكر جانب آخر من مواجهة الكليم مع فرعون في سورة الشعراء، حيث أخبر الله سبحانه عن ارسال موسى وهارون (ع) إلى فرعون ونتيجة المواجهة وقال: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ... قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ* قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ* قَالَ لِمَن حَوْلُهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ* قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ* قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الشعراء ١٦ - ٢٨).

وبعد طلب فرعون آية من موسى (ع) ورؤيته آيتي العصا واليد، ﴿قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ* يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ* قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ* يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ* فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ* وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ* لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ* فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ* قَالَ لَهُمُ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ* فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (الشعراء ٣٤ - ٤٤).

وفي سورة الأعراف:

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ*... وَأَلْقَى السَّحَرَةُ

سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نَنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿الآيَات ١١٦ - ١٢٦﴾.

وفي سورة الشعراء:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ (الآية ٤٨).

في هذه الآيات جاء عن لسان موسى أنه قال لفرعون: إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ، جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ.

وفي الآيات الماضية حكى القرآن عن فرعون أنه قال لأهل مصر:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

وَأَنَّ مُوسَى (ع) أُوْحِيَ إِلَيْهِ أَنْ يَقُولَ لفرعون:

﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ، جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾.

وَأَنَّ فرعون قال:

﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾!.

وَأَنَّ موسى (ع) قال له:

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

وَأَنَّهُ أَجَابَ عَنْ عِلْمِ الْقُرُونِ الْأُولَى أَنَّهُ:

﴿عِنْدَ رَبِّي الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾.

وفي مورد آخر: فقولا له: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وَأَنَّ فِرْعَوْنَ قَالَ: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟﴾.

وَأَنَّ موسى (ع) قال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

وَأَنَّ السَّحْرَةَ لَمَّا رَأَوْا آيَةَ الْعَصَا تَلَقَّفَ مَا يَأْفَكُونَ قَالُوا:

﴿أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

وَأَنَّهُمْ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ لَمَّا قَالَ لَهُمْ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ....:

﴿لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

يتضح جلياً مما جاء في القرآن الكريم: أن مواجهة الرسولين موسى وهارون (ع) مع فرعون وملئه قد تعددت، وتعددت المحاورات بين الرسولين وبينه، كما تعددت الآيات: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وأن المحاورات كلها كانت تدور حول الربوبية، وأن الرسولين كانا يقولان: رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ هو رَبُّ الْعَالَمِينَ رب السموات والأرض وما بينهما ورب القرون الأولى، رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وما بينهما ورب آبائكم الأولين، وأن رَبَّ الجميع واحد، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأن السحرة ادركوا أن سحرهم كان تخيلاً لا حقيقة فيه، وأن اثر السحر ينتهي، وأن العصي والحبال - مثلاً - التي كانت تموج في الساحة كالحيات كانت تعود الى حالتها الاولى عصياً وحبالاً، ولكن آية العصا ابتلعها جميعاً ولم يبق منها عين ولا أثر وهي خارجة عن قدرة غير خالقها رَبُّ الْعَالَمِينَ فقالوا: آمنا برَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبُّ الرسولين موسى وهارون (ع) الذي أرسلها لهداية الناس.

معارك إبراهيم (ع) حول توحيد الإلهية والربوبية:
قبل عصر موسى الكليم (ع) بدهر، جاهد إبراهيم الخليل أنواعاً من
الشرك في عصره منها:

أ - جهاده في توحيد الالهية:

حكى الله خبر جهاد إبراهيم مع قومه في توحيد الالهية في سور الأنبياء
والشعراء والصفاءات؛ في كل منها حكى عن جانب من خبر جهاده وكيف
حاجبهم في ما يعتقدون، وأنه انتهى الأمر بكسره آلهتهم وإلقائهم إياه في النار،
وكيف جعل الله النار عليه برداً وسلاماً، وترك الحديث حوله لندرس في ما يأتي
ما فعله في شأن توحيد الربوبية باذنه تعالى:

﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ
إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

أي فعله كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون. ولما كانت الأصنام لا تنطق
فان كبيرهم لم يكسرها. هاهنا كلم الخليل قومه.

أخبر الله عن محاجة إبراهيم (ع) مع من اتخذوا الكواكب أرباباً، ولم
يخبرنا بأي معنى اتخذوها أرباباً، وقد وجدنا في أخبار المشركين أن منهم من كان
لا يفرق بين الرب والإله، وأن الأنبياء والرسل (ص) كانوا يجاهدون مشركي
أممهم في توحيد الربوبية كما بيناه سابقاً.

وقد أخبر الله عما جرى لإبراهيم (ع) مع عبدة الكواكب في سورة الأنعام،
وقال:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ*
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ* فَلَمَّا

رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿ (الآيات ٧٥ - ٨٠).

كَلِمَ الخليل هنا عبّاد الكواكب من قومه بلغتهم في معنى الربّ، وكان قوله (هذا ربّي) للكوكب والقمر والشمس على سبيل التورية والاستفهام، أي أهذا ربّي؟ مثل قوله لعبّاد الأصنام عندما كسر أصنامهم وسألوه.

ب - جهاد إبراهيم (ع) في توحيد الربوبية بمعنى تربية الأجسام:

كان كثير من البشر في العصور القديمة يعتقدون بتأثير الكواكب على عالمنا هذا وما فيه من إنسان وحيوان ونبات بإنزال المطر وحبسه، ونشر السعادة والشقاء للإنسان، والجذب والرخاء والصحة والمرض في مجتمعه، وكثرة الموت وقلته للإنسان والحيوان والنبات، ونشر المحبة أو النفور بين الاثنين، أو إلقاء محبة إنسان في نفوس الآخرين، وما شاكل كل هذه الأمور، ومن ثم يجرون بعض الطقوس العبادية مع تبخير العود ذي الرائحة الطيبة وسائر الروائح العطرة، ويتلون أوراداً وأدعية ويطلبون منها الخير ودفع الشرّ، وقد قرأت شيئاً ذلك في مخطوط منسوب للسكاكي (ت ٦٢٦ هـ): فيه أنواع من الطلاسم وأدعية ومناجاة لبعض الكواكب مثل الزهرة والمريخ وغيرهما، وأحياناً في الخطاب لبعضهم يخاطب باسم الربّ، ولم يثبت عندي أن الكتاب من تأليف السكاكي. وذكر ابن النديم - أيضاً - في أخبار الصحابة من المقالة التاسعة من الفهرست عن بعض فرق الصابئة أنهم يعبدون بعض الكواكب ولهم طقوس خاصّة

ج - جهاد إبراهيم (ع) في أمر توحيد الربّ المشرّع للنظام:

أخبر الله عن ذلك وقال في سورة البقرة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ...﴾ (الآية ٢٥٨).

إنّ منطق الخليل في هذه الآية هو منطق القرآن في سورة الأعلى، وأنّ الربّ هو الله الذي خلق فسوّى والَّذي قَدَّرَ فَهَدَى، وأنّ مثل جميع الخلق في ذلك مثل المرعى الذي أخرجهُ الربّ ثمّ جعله يابساً أحوى؛ أي أنشأ الحياة للموجودات ثمّ أماتها.

كان استدلال إبراهيم قوياً وواضحاً، وأراد طاغوت عصره أن يغشي هذا الاستدلال بغطاء من التضليل، فقال:

إنّ كانت الربوبية لمن يحيي ويميت فإنّي أحيي وأميت، وأمر بسجين محكوم بالإعدام فأطلق سراحه، وبإنسان بريء عابر طريق فأعدم، وبذلك ألقى الشبهة في نفوس الملأ حوله.

ولم يسترسل إبراهيم (ع) في الجدال معه في معنى الإحياء والإماتة بل احتجّ على الطاغوت بأمر محسوس واضح الدلالة على زيف دعوى الطاغوت، وقال: فإنّ ربّي الله يأتي بالشمس من المشرق، فإنّ كنت ربّاً فغيّر هذا النظام وأت بالشمس من المغرب، فبهت الذي كفر.

كان شرك طاغوت عصر إبراهيم (ع) من نوع شرك طاغوت عصر

موسى (ع)؛ كلاهما ادّعى الربوبية بمعنى أن لها حقّ تشريع نظام الحياة للإنسان؛ تشابهت دعواهما وتشابه جواب الرسولين (ع) لهما وقالوا: إنّ ربّ الإنسان الذي شرّع له نظام الحياة هو ربّ جميع الموجودات والذي أنشأ حياة الموجودات وسنّها نظاماً لإدامة وجودها في الحياة، وهداها كيف تديم حياتها وفق ما سنّها لها من نظام، وهو الذي يميت كلّ الأحياء.

كان هذا منطق إبراهيم (ع) في دعوته للتوحيد مع المشركين كما أخبر الله عنه في سورة الشعراء، وقال:

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إذ قال موسى (ع) لفرعون: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ كما قال جدّه إبراهيم (ع) لقومه ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (الآيات ٧٩ - ٨٢). ثمّ شرح إبراهيم ربوبية الله وقال:

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء ٧٩).

والقرآن حين يكرّر أخبار محاججات الرسل مع أقوامهم يذكر في كلّ مرة جانباً من احتجاجهم وفق مناسبة ماورد في السورة من توجيه فكري وإرشاد لمن كان حول الرسول من مسلمين ومشركين ويهود ونصارى. وليس القرآن كتاب تاريخ كي يورد الخبر مسلسلًا كما وقع.

بعد دراستنا معارك الأنبياء ومعرفتنا أنّ جلّ معاركهم كانت حول ربوبية ربّ العالمين؛ أي أنّ ربّ العالمين هو ربّ الإنسان الذي يقدر حياته ويشرّع له نظاماً يتناسب وفطرته، وأنّ اسمه دين الإسلام الذي أوحى به الى جميع رسله وقاموا بتبليغه الى الناس، يتجه إلينا السؤال عن معنى نسخ شريعة بعض الرسل بشريعة رسول آخر، وهذا مانحاول درسه في النسخ في مسيرة الأنبياء الآتي بحوله تعالى.

(٩)

النسخ في مسيرة الرسل أصحاب الشرائع

- أ - وحدة شرايع آدم ونوح وإبراهيم ومحمد (ص) .
- ب - مصطلحا النسخ والآية ومعناها .
- ج - تفسير آية ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ... ﴾ .
- وآية ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ... ﴾ .
- د - شريعة موسى كانت خاصة لبني إسرائيل .
- هـ - إنتهاء أمد شريعة موسى ببعثة خاتم الأنبياء .

في هذا البحث ندرس من مسيرة الرسل أصحاب الشرائع ما يوضح لنا
أمر النسخ في شرائعهم من خلال أخبارهم في القرآن الكريم ومصادر الدراسات
الإسلامية، ومن ثمّ لاندكر أمر من بادت أمهم، مثل هود، وصالح وشعيب (ع)،
بل نخصّ بالذكر من بقيت شرائعهم من بعدهم، وهم كلُّ من: آدم، ونوح،
وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (ص)، حسب تسلسلهم الزمني كما يأتي
بيانه:

- ١ -

وحدة شرايع

آدم ونوح وإبراهيم ومحمد (ص)

أولاً - أبو البشر آدم (ع):

جاء في الروايات ما موجزه: إن رسول الله (ص) قال: «يوم الجمعة سيّد الأيام وأعظمها عند الله، خلق الله فيه آدم، وفيه أُدخل الجنة، وأُهبط فيه إلى الأرض»^(١) وأنزل معه بالحجر الأسود»^(٢).
وفي روايات أخرى: «خلق الله الأنبياء والأئمة - الأوصياء - يوم الجمعة»^(٣).

وفي الروايات الصحيحة:

إن جبرئيل أخذ آدم (ع) إلى الحجّ، وعلمه كيف يقضي مناسكه، وفي بعضها: إن غمامةً ظلّلت مكان البيت، فطاف جبرائيل بآدم (ع) حوله أسبوعاً، ثمّ أخذه إلى الصّفا، والمروة، وسعى بينهما أسبوعاً، ثمّ أخذه إلى عرفات في التاسع من ذي الحجّة، وتضرّع إلى الله في عصره فتاب الله عليه، ثمّ ذهب به

(١) صحيح مسلم (٥/٥) كتاب الجمعة باب فضل الجمعة، وطبقات ابن سعد ط. أوروبا (٨/١)، ومسنّد أحمد (٢٣٢/٢ و ٣٢٧ و ٥٤٠).

(٢) أخبار مكة للازرقمي (ت ٢٢٣ هـ). ط مدينة غتنفة عام ١٢٧٥ هـ ص ٣١.

(٣) مادّة الجمعة من سفينة البحار.

ليلة العاشر إلى المشعر فناجى فيه ربّه إلى الصباح، ثمّ ذهب به صباح العاشر إلى منى، وحلق هناك رأسه علامةً لقبول توبته، ثمّ ذهب به ثانية إلى مكّة، وطاف به حول البيت أسبوعاً وصلى لله بعده، ثمّ ذهب إلى الصفا، والمروة، وسعى بينهما أسبوعاً، وجمع الله بينه وبين زوجته حواء بعد قبول توبتهما، واصطفاه لرسالته^(٤).

(٤) طبقات ابن سعد ط. أروبا (ج ١ ق ١ / ١٢ و ١٥ و ٢٦)، ومسنند أحمد (١٧٨/٥ و ١٧٩ و ٢٦٥)، ومسنند الطيالسي الحديث ٤٧٩، وفي البحار (١١ / ١٦٧-١٩٧) روايات متعدّدة مع اختلاف وزيادة ونقيصة في كيفية حجّ آدم (ع).

ثانياً: أبو الأنبياء نوح:

قال سبحانه في سورة نوح:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ... قَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا... وَقَالُوا: لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا...﴾ (الآية ١ - ٢٣).

ومما يتعلّق ببحثنا من أخبار نوح في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الشورى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ (الآية ١٣).

شرح الكلمات

أ - وَدَّ، وَسُوَاع، وَيَغُوث، وَيَعُوق، وَنَسْر:

في البحار عن الإمام الصادق (ع) وورد - أيضاً - في كتاب الأصنام لابن الكلبي، وموجزاً في تفسير الآية بصحيح البخاري، واللفظ للأول موجزاً:

إِنَّ وَدًّا، وَسُوَاعًا، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرًا كانوا بررة مؤمنين يعبدون الله عزَّ وجلَّ فماتوا فضجَّ قومهم وشقَّ ذلك عليهم، فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم: اتَّخَذَ لَكُمْ أَصْنَامًا عَلَىٰ صُورِهِمْ فَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ وَتَنْسُونَ بِهِمْ وَتَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَأَعَدَّ لَهُمْ أَصْنَامًا عَلَىٰ مِثْلِهِمْ فَكَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ تِلْكَ الْأَصْنَامِ، فَلَمَّا جَاءَهُم الشِّتَاءُ وَالْأَمْطَارُ أَدْخَلُوا الْأَصْنَامَ الْبُيُوتَ فَلَمْ يَزَالُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّىٰ هَلَكَ ذَلِكَ الْقَرْنُ وَنَشَأَ أَوْلَادُهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّ آبَاءَنَا كَانُوا يَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ، فَعْبُدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا

وَلَا سَوَاعًا ﴿الآية (٥)﴾.

ب - وَصَّى الرجل غيره توصية بأن يفعل كذا: رغب إليه في أن يفعله لما يرى فيه خيراً وصلاً.

ووصَّى الله بكذا: أمر به، وفرضه على عباده (٦).

تفسير الآيات بإيجاز

في الآيات الأولى أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أرسل نوحاً إلى قومه أنْ أُنذِرهم فقال لهم أني لكم نذير أبينُّ لكم ما أرسلت به أن اتَّقوا الله، واعبدوه، وأطيعوني في ما أبلغكم من أوامر الله ونواهيه، فأبى قومه، وقالوا: لا تذروا عبادة أصنامكم..

وفي الآيات الأخيرة أخبر الله سبحانه وتعالى وقال:

شَرَعَ لكم من الدين يا أمة محمد (ص) ما كتبه وشرعه لنوح ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، أي وهو الذي أوحينا إليك يا محمد (ص)، وهو ما ﴿وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ ثم بين ذلك بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٧).

ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة الصافات:

﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الآيات ٧٩ - ٨٤).

(٥) البحار (٣/ ٢٤٨ - ٢٥٢) وصحيح البخاري (٣/ ١٣٩) بتفسير سورة نوح.

(٦) معجم الفاظ القرآن الكريم، مادة وَصَّى.

(٧) تفسير الآية في التبيان (٢/ ٥٥٣)، ومجمع البيان (٩/ ٢٤).

شيعة:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره^(٨)، والشيعة: الجماعة الثابتة لرئيس لهم^(٩)
ويكون المعنى وإن من شيعة نوح إبراهيم^(١٠).
وسنورد مزيد بيان له في ما يأتي إن شاء الله تعالى:

(٨) لسان العرب، مادة شيع.

(٩) تفسير الآية في التبيان (٤٩٢/٢) ط. الحجر في ايران ١٣٦٥ هـ.

(١٠) وكذلك تعدد تفسيره في تفسير الآية في التبيان وجمع البيان وتفسير الطبري وابن كثير
والدر المنثور للسيوطي.

ثالثاً - خليل الله إبراهيم (ع):

ويتعلق ببحثنا من أخبار إبراهيم في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى:

أ- في سورة الحج:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (الآيات ٢٦ - ٢٨).

ب - في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *... وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (الآيات ١٢٥ - ١٢٨).

ج - في سورة البقرة:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (الآيتان ١٣٥ - ١٣٦).

د - في سورة آل عمران:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الآية ٦٧).

هـ - وفيها أيضاً:

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الآية

١٩٥).

و - في سورة الأنعام:

﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الآية ١٦١).

ح - في سورة النحل:

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الآية

١٢٣).

شرح الكلمات

أ - بَوَّأْنَا:

بَوَّأْتُ الْمَنْزِلَ لِفُلَانٍ: هَيَّأْتُ الْمَنْزِلَ لَهُ.

وبَوَّأْتُهُ فِيهِ: مَكَّنْتُ لَهُ فِيهِ، وبَوَّأْتُهُ مَنْزِلاً: أَنْزَلْتُهُ فِيهِ.

ب - أَذَّنَ بِالشَّيْءِ تَأْذِيناً: أَعْلَمَ بِهِ أَوْ أَكْثَرَ الْإِعْلَامِ وَنَادَى بِهِ، وَالْأَذَانُ اسْمُ

التَّأْذِينِ كَالسَّلَامِ اسْمُ التَّسْلِيمِ.

ج - رَجَالاً:

رَجُلٌ يَرْجُلُ رَجْلاً: لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَرْكَبُهُ فَهُوَ رَجُلٌ وَرَاجِلٌ، وَالْجَمْعُ رَجَالٌ.

د - الْبَهِيمَةُ: كُلُّ ذَاتٍ أَرْبَعِ قَوَائِمٍ.

هـ - ضَامِرٌ:

جَمَلٌ ضَامِرٌ وَنَاقَةٌ ضَامِرٌ وَضَامِرَةٌ: قَلِيلُ اللَّحْمِ لَطِيفُ الْجِسْمِ.

و - فَجٌّ:

الْفَجُّ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، أَوْ فِي جَبَلٍ.

ز - مَثَابَةٌ:

المثابة: الموضع الذي يرجع الناس إليه ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي مرجعاً يرجع إليه الحجاج أفواجاً بعد أفواج، أو أن المثابة موضع ثواب يُثابون بحجّه وأعتماره، وموضع أمنٍ لهم.

ح - مَنَاسِكُنَا:

النسك: العبادة، ونسك نسكاً: تطوّع لله بعبادة، وعمل يتقرب به إلى الله مثل ذبح الهدي في الحج، ويقال للذبيحة: النسيكة، والمنسك: موضع العبادة، والمناسك: أعمال الحجّ وزمانها، وأماكنها في عرفات، والمشعر، ومنى، وما عداها. ط - السَّعي: المراد من السعي: العمل أو الإستعداد للعمل.

ي - مقام إبراهيم (ع):

صخرة على الأرض أتجاه الكعبة عليها أثر قدمي إبراهيم (ع).

ك - حَنِيفاً:

الحنف: ميل عن الضلال الى الاستقامة.

والجنف: ميل عن الاستقامة الى الضلال، والحنيف: هو المائل عن الضلالة

إلى الاستقامة، والحنيفيّة: شريعة إبراهيم (ع).

ل - قِيماً:

القيم والقيّم: الثابت المستقيم لا عوج فيه.

م - مِلَّةً:

المِلَّة: الدّين حقّاً كان أو باطلاً، فإذا أضيف إلى الله ورسله والمسلمين قصد

به الدين الحقّ.

تفسير الآيات بإيجاز

أذكر أيّها النّبيّ إذ مكّنا لإبراهيم مكان البيت لبنيه، وإذ كان إبراهيم

وإسماعيل بينان البيت ويدعوان ربّهما ويقولان: ربّنا تقبّل مِنّا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسك الحجّ، فتقبّل الله سبحانه وتعالى دعاءهما، ورأى إبراهيم في المنام أنّه يذبح ابنه إسماعيل (ع) في سبيل الله، وما يراه النبي في المنام نوع من أنواع الوحي، وكان إسماعيل (ع) قد بلغ سنّ العمل وعمل مع أبيه في بناء البيت، فأخبر إبراهيم (ع) ابنه إسماعيل (ع) بذلك، فقال: يا أبتِ افعل ما تُؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما لأمر الله وألقى إبراهيم ابنه إسماعيل (ع) على جبينه ليضحّي به في سبيل الله ناداه الله: يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا، فإنّه بدأ بذبحه وهذا ما رآه في المنام ولم ير أنّه ذبحه، وفداه الله بكبش رآه أمامه، فضحّي به في منى.

أمر الله تعالى إبراهيم أن يعلن الدعوة للحج وأخبر أن الناس سيأتون إلى الحجّ مشاة وركبانا من كلّ فجٍ عميق، وأنّ الله قد جعل البيت مكان أمن وتحصيل ثواب للناس، وأمر أن يتخذ الناس من مقام إبراهيم (ع) مصلّى.

وأخبر الله سبحانه وتعالى في آياتٍ أخرى عن ملة إبراهيم (ع) ودينه وقال: إنّ إبراهيم كان حنيفاً مسلماً، ولم يكن من المشركين ولم يكن يهودياً، ولا نصرانياً، كما يزعم ذلك بعض أهل الكتاب^(١١)، وأمرنا أن نتبع ملة إبراهيم (ع)، وخصّ رسوله (ص) بهذا الأمر، وأوصى اليه بقوله: قل إنني هداني ربيّ إلى صراط مستقيم، وهو الدين القيم، وملة إبراهيم الحنيف عن الشرك إلى الإسلام، ومما اتّبع خاتم الأنبياء (ص)، من شريعة جدّه إتيان مناسك الحجّ كما أمر به إبراهيم وكذلك فعلت أمّته، وأدّت مناسك الحجّ كما أدّاه خليل الرحمان إبراهيم (ع).

(١١) البقرة الآية ١٤٠.

نتيجة البحث

كان يوم الجمعة مباركاً على آدم ومن كان في عصره، ومباركاً لخاتم الأنبياء، وأُمته الى أبد الدهر.

وحجّ البيت آدم وإبراهيم وخاتم الأنبياء (ص) ومن تبعهم حتى اليوم وكذلك يفعلون الى أبد الدهر، وكذلك شرع لأمة خاتم الأنبياء من الدين ما وصّى به نوحاً، وكان إبراهيم من شيعة نوح ومتابعيه في الشريعة، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء (ص) وأُمته أن يتبعوا ملة إبراهيم ودينه القيم.

ولا اختلاف بين شرايع هؤلاء الأنبياء من لدن آدم إلى النبي الخاتم (ص)، وإنما كانت الشريعة اللاحقة تجديداً للشريعة السابقة، وأحياناً إكمالاً لها. وقد مرّ بنا أن آدم (ع) حجّ، وأن إبراهيم جدّد بعض معالم الحجّ ببناء البيت، وأكمّله النبي الخاتم بتعيين مواقيت الإحرام واتخاذ مقام إبراهيم (ع) مصلىً، وتبيين سائر معالم الحجّ.

أنزل الله من أحكام الإسلام إلى آدم ما يحتاجه الإنسان الذي يعيش في الريف على الزرع والضرع^(١٢).

ولما كثر نسل بني آدم، وبنوا القرى في عصر نوح (ع)، وسكنوا المدن الكبيرة احتاجوا إلى تشريع موسّع لانسان حضريّ له حاجات متعدّدة في أمر التجارة والاجتماع، ومشاكل مختلفة لسكان المدن الكبيرة، فأنزل الله على نوح من أحكام الشرع الإسلامي ما يسدّ حاجاتهم مثل ما أنزل على خاتم الأنبياء (ص) من تلك الأحكام.

وكانت الأمم تنحرف بعد أنبيائها عن التوحيد إلى الشرك كما انتهى إليه

(١٢) الضرع: مدرّ اللبن، يقال: ماله زرع ولا ضرع.

أمر بني آدم في عصر نوح إلى عبادة الأصنام، فبدأ النبي عندئذ بدعوتهم إلى توحيد الله الخالق، وترك عبادة الأصنام كما كان شأن نوح، وإبراهيم، وسائر الأنبياء إلى خاتم الأنبياء (ص)، الذي كان يتجول في أسواق العرب ومضارب الحجيج ويقول: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.

وفي بعض الأمم يدعي طاغيتهم الربوبية كما كان شأن الطاغية نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه.

وشأن الطاغية فرعون الذي تجبر وقال أنا ربكم الأعلى، وفي مثل هذه الحال يبدأ النبي بالدعوة إلى توحيد الربوبية ويقول إبراهيم (ع) ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

ويقول موسى (ع): ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ وجاء شرح قول موسى لفرعون في قوله سبحانه وتعالى في سورة الأعلى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى* وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى* فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ (الآية ١ - ٥). وقوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (الأعراف ٥٤). إذا فإن بعض الأمم تنحرف في أصل العقيدة بالتوحيد. وينحرف بعض الأمم عن الإسلام في أعمالها: كما كان شأن قوم لوط، وشعيب.

وإذا درسنا ما جاء في القرآن الكريم، وروايات النبي (ص)، وما بقي من آثار الأنبياء، وما جاء من أخبارهم في مصادر الدراسات الإسلامية، أدركنا أن كل رسول لاحق كان يجدد شريعة الله التي نزلت على من سبقه من الأنبياء بعد اندراسها، وتحريفها من قبل أمم الأنبياء أنفسهم، ولذلك أمرنا الله أن نقول: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة ١٣٦﴾.

وإذا كان أمر شرايع الأنبياء كما أوضحناه فللسائل أن يسأل:
إذا ما معنى النسخ في شرايع الأنبياء (ع) كما جاء ذكره في قوله تعالى في
سورة البقرة:

﴿مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية ١٠٦) ؟

وما معنى التبديل في قوله تعالى في سورة النحل:
﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ١٠١) ؟

ونقول في مقام الجواب: إنَّ البحث هنا يدور حول أمرين:
حول مصطلحي النسخ والآية، ومعنى الآيتين مورد البحث كما سندرسهما
في ما يأتي بإذن الله تعالى وتقدس:

مصطلحا النسخ والآية ومعناها

أ - النسخ في اللغة: إزالة شيء بشيء يتعقبه، يقال: نسخت الشمس الظلّ.
وفي المصطلح الإسلامي: نسخ أحكام في شريعة بأحكام في شريعة أخرى،
مثل نسخ بعض أحكام الشرائع السابقة بأحكام في شريعة خاتم
الأنبياء (ص)، وكذلك نسخ حكم مؤقت بحكم أبدي في شريعة خاتم
الأنبياء (ص)، مثل نسخ حكم توارث المتأخين من المهاجرين والأنصار في
المدينة قبل فتح مكة بحكم توارث ذوي الأرحام بعد فتح مكة^(١٣).

ب - آية:

الآية مشتركة في المصطلح الاسلامي بين ثلاثة معان:

١ - معجزات الأنبياء كما جاء في قوله سبحانه وتعالى في سورة النمل في

خطابه لموسى بن عمران:

﴿وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

وَقَوْمِهِ﴾ (الآية ١٢).

٢ - جملة من ألفاظ قرآنية مشخصة بالعدد كما جاء في سورة يوسف،

(١٣) راجع تفسير الآيتين الكريميتين: ٧٢ و ٧٥ في سورة الأنفال بتفسير الطبري

(١٠/٢٦-٢٧)، وتفسير ابن كثير (٢/٣٢٨، ٢٢١) وتفسير الدر المنثور (٢/٢٠٧).

والرعد، ويونس، والنمل ﴿آلر﴾ تلك آيات الكتاب...﴿﴾.

٣ - فصل أو فصول من كتاب الله يُبَيِّنُ حكماً من أحكام شريعة الله كما فصلنا القول فيه في بحث المصطلحات من الجزء الأول من القرآن الكريم وروايات المدرستين.

وقد لوحظ في تسمية بعض القرآن (آية) مدلوله وهو الحكم المذكور في ذلك البعض من القرآن، وإنَّ النسخ يتعلّق بذلك الحكم، وليس بلفظ القرآن الذي دلَّ على ذلك الحكم.

ويشخص المعنى في اللفظ المشترك بالقرينة الدالة على المقصود في الكلام.

* * *

كان ذلك معنى الآية في المصطلح الاسلامي أما تفسير الآيتين فكالاتي:

أولاً - آية النسخ:

وردت آية النسخ ضمن آيات (٤٠ - ١٥٢) من سورة البقرة، ونورد منها ما يخص البحث في ما يأتي:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ * وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُون﴾ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ * ... يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ * ... وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ...﴾ *

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرِّسَالِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ

اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ* وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ* وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ* بِنَسَاءِ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نَأْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ*

... ولقد أنزلنا إليك آياتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ*... وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ*... مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ* مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*

... وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ*... وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أُمَانِيَّتُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*... وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ*
... يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ* وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ*.

ثمَّ يَعيِّنُ مَوردَ النسخِ بَعدَ تَمهيدِ مَقدِّمَةِ أوردنا بَعضَها في مَاسبق في ما أخبر الله سَبحانَه وتعالى عَن قيامِ إِبِراهيمَ وإِسماعيلَ (ع) بَيناءِ الكعِبة وقال:

أ - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾.

ب - ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

ج - ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ *.... الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وأخبر الله قبله عن جدالهم مع المسلمين في تحويل القبلة وقال تعالى:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاَهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ *.... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

ثانياً - آية التبديل:

جاءت آية التبديل ضمن مجموعة آيات سورة النحل^(١٤) ونذكر منها ما يخص

(١٤) راجع تفصيل البحث ومصادره في بحث مصطلحات اسلامية من المجلد الأول من القرآن الكريم وروايات المدرستين.

البحث في ما يأتي:

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ *.... إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ *.... فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ... *... ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾ (الآيات ١٠١ - ١٢٤).

والذي قصه الله على نبيه من قبل قوله تعالى:

أ - في سورة آل عمران:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (الآية ٩٣).

ب - في سورة الأنعام:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الآية ١٤٦).

أولاً - شرح الكلمات:

أ - مُصَدِّقاً لما معكم:

أي إنّ صفات القرآن وصفات الرسول يصدّق لما ورد في التوراة من الأخبار ببعثة الرسول (ص) وانزال القرآن عليه، مثل ما ورد في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية ط. رجارد واطس بلندن عام ١٨٣١ م والآتي نصّه:

الإصحاح الثالث والثلاثون

فهذه البركة التي بها بارك موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته وقال جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه الوف الأظهار في يمينه سُنّة من نار أحب الشعوب جميع الأظهار بيده والذين يقتربون من رجله يقبلون من تعليمه موسى أمرنا بسُنّة: ميراثا لجماعة يعقوب.

وجاء هذا النص في ط. رجارد واطس بلندن سنة ١٨٣٩ م باللغة الفارسية

كالآتي:

١ - و اينست دعای خير که موسى مرد خدا قبل از مردن بر بنی اسرائيل

خواند.

٢ - و گفت که خداوند از سينای بر آمد و از سعيّر نمودار گشت و از کوه

فاران نور افشان شد و با ده هزار مقرّبان ورود نمود و از دست راستش شريعتی آتسين برای ايشان رسيد.

٣ - بلکه قبائل را دوست داشت و همگی مقدساتش در قبضه تو هستند

و مقرّبان پای تو بوده تعليم تو را خواهند پذيرفت.

٤ - موسى ما را بشريعة امر کرد که ميراث جماعت بنی يعقوب باشد.

وترجمة النص الى العربية كالآتي:

(وهذا دعاء الخير الذي تلاه موسى رَجُلُ الله قبل موته على بني اسرائيل وقال: إِنَّ الله استعلَى من سيناء، وظهر من ساعير ونشر النور من فاران، وجاء مع عشرة آلاف من المقرّبين، وجاءهم من يمينه شريعة نارِيّة. أحبّ القبائل، وجميع مقدّساته في يمينك ومقرّبون الى رجلِك ويتقبّلون تعاليمك.

موسى أمرنا بشريعة هي ميراث لجماعة بني يعقوب).
في هذا النص (وجاء مع عشرة آلاف من المقرّبين) مع تعيين عدد الألوف وفي النص الأول (ومعه الوف الأطهار) مع عدم تعيين عدد الالوف لأنّ الذي ظهر من غار حراء بفاران ثمّ جاء الى أرض فاران مكّة - مع عشرة آلاف هو خاتم الأنبياء محمّد (ص)، فبادروا الى تحريف هذا النص في عصرنا الحاضر كي يكتبوا ما جاء فيه من بشارات ببعثة خاتم الأنبياء كما شرحنا ذلك في البحث التمهيدي الخامس من الجزء الثاني من كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلف).

نتيجة البحث في تفسير ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾:

يتّضح بجلاء أنّ هذا الإصحاح ينصّ على أنّ موسى بن عمران (ع) ذكر في وصيّته لبني اسرائيل قبل موته:

أنّ الله الرّبّ أنزل التوراة في جبل سيناء والانجيل في جبل سعير والقرآن في جبل فاران - مكّة - ثمّ توسّع في ذكر خصوصيات الشريعة الثالثة وقال: وجاء معه عشرة آلاف من المقرّبين وهم عشرة آلاف من الجنود في فتح مكّة، وأنّ شريعة الثالث شريعة القتال، وأنّ أمّته يقبلون تعاليمه، وفي هذا التصريح تعريض بمواقف بني اسرائيل في انحرافاتهم وعبادتهم العجل ومجادلاتهم مع نبيّهم موسى وسائر أنبيائهم والتي جاء ذكرها في القرآن والتوراة.

وكذلك صرّح بأنّ شريعة خاتم الأنبياء (ص)، نزلت لجميع القبائل بينا شريعة موسى بن عمران نزلت لجماعة يعقوب أي لبني إسرائيل.

ويطول بنا البحث إذا أردنا أن نستعرض جميع البشارات ببعثة خاتم الأنبياء والتي بقيت إلى عصرنا الحاضر مع التحريف الذي أجروه عليها في مابقي من الكتب السماوية بأيدينا اليوم، وكانت موجودة بأيدي أهل الكتاب في عصر خاتم الأنبياء (ص)، ولذلك قال سبحانه بعيد هذا في الآية (١٤٦) منها: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وبناءً على ذلك فإنّ في بعثة خاتم الأنبياء بالقرآن وما يتّصف به هو وأُمّته تصديق لما عند أهل الكتاب في التوراة والإنجيل، والحمد لله ربّ العالمين.

ب - لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ:

أي لا تخلطوا الحقّ بالباطل لتخفوا الحقّ، أو لاتستروا الحقّ بالباطل لتجعلوه مشكوكاً

ج - عَدْل:

عدل: أي فدية.

د - قَفِينَا:

قفى من بعد الشيء بالآخر: أتى بالآخر بعد الأوّل أو جعله يتبعه.

هـ - غُلْف:

غُلْف الشيء: جعل له غلافاً، وغلف جمع الأغلف وهو الموضوع في الغلاف.

و - يَسْتَفْتِحُونَ:

أي يطلبون النصر على خصومهم في القتال بذكر اسمه ويستشفعون به

إلى الله لينصرهم^(١٥).

ز - نُسِيَهَا:

لا بدّ أن تكون (ننسيها) مخففة من (ننسيها)، ونسأ الشيء أو الأمر وأنساه
آخره، ويكون المعنى ما ننسخ من آية - من أحكام - أو نُؤجِّلها نأت بخير منها
أو مثلها، كما سيأتي بيانها وبيان الحكمة فيها في ما يأتي إن شاء الله تعالى.
ولا يصحّ أن تكون من (ننسيها)، ويكون المعنى لا ننسي الناس قراءة (آية)
من القرآن كما فسروها^(١٦)، وذلك:

أولاً: لقوله تعالى في سورة الأعلى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾، إذا فقد ضمن
الله حفظ القرآن من النسيان.
وثانياً: لعدم وجود مصلحة لإنساء الله الناس قراءة آية أو آيات أنزلها
ليقرأها الناس.

ح - هَادُوا وَهُودًا:

هَاد: دان باليهودية فهو هائد وجمعه هوداً، مثل عائد وعوداً، ونازل ونزلاً.

ط - فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ:

أي فضّلهم في عصرهم على العالمين من قوم فرعون بمصر والعمالقة وأمثالهم
في الشام.

ي - شَطْر:

شطر الشيء: من معانيه جهة الشيء، وهو المقصود هنا.

ك - مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ:

أي ما كان الله ليضيع صلاتكم التي صليتموها مستقبلين بيت المقدس قبل
تحويل القبلة إلى الكعبة.

(١٥) راجع تفسير الآية في تفسير الطبري.

(١٦) راجع رواية القرطبي والطبري عن سعد بن أبي وقاص في تفسير الآية.

ل - بَدَّلْنَا:

بَدَّلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ وَبَدَّلَ شَيْئاً مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ: جعل الشَّيْءَ الثَّانِي مَكَانَ الشَّيْءِ الْأَوَّلِ.

والفرق بين العوض والبدل: أَنَّ العوضَ ما تعقَّب به الشَّيْءُ على جهة المِثَامَةِ، تقول: هذا الدرهم عوض من خاتمك، والبدل ما يقام مقامه ويوقع موقعه على جهة التعاقب دون المِثَامَةِ^(١٧).

م - رُوحُ الْقُدُس:

هو الملك الَّذِي أَنزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ وتفسيره وأحكام الإسلام معه إلى الرسول.
ن - ذِي ظُفْر:

الظفر في اللغة ظفر الإنسان وغيره، والمقصود هنا والله أعلم كلَّ حيوان ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط.

س - الْحَوَايَا:

الحوايا: الأمعاء والمباعر.

ع - مَا اخْتَلَطَ بِعَظْم:

اختلط الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ: امتزج، والمقصود هنا شحم الجنب والآلية لَأَنَّهُ على العصعص وهو عظم.

(١٧) مَادَّةُ بَدَلَ مِنْ كِتَابِ التَّحْقِيقِ فِي مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ نَقْلًا عَنْ الْأَوَائِلِ لِلْعَسْكَرِيِّ.

ثانياً: تفسير الآيات:

أ - آية التبديل التي جاءت ضمن آيات سورة النحل المكية:

في هذه الآيات قال الله تعالى:

وإذا بدلنا آية أي بعض أحكام من شرع سابق بأحكام أخرى نزلت في

القرآن قالوا للرسول (ص): إنما أنت مفتر.

لا. ليس الأمر كذلك: بل أكثرهم جهال لا يعلمون!

يا رسول الله (ص)! قل: نزل الأحكام في القرآن الملك من عند ربك بالحق

كي يثبت المؤمنين على الإيمان وليكون هدىً وبشرى للمسلمين، ولست أنت

المفترى، وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - أي المشركون

أنفسهم - وأولئك هم الكاذبون.

ثم شرح الله سبحانه بعد هذا مورد النزاع وقال: كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالاً

طَيِّباً مثل لحم الجمل وبعض شحوم الحيوان ونظائرها مما حرّمها على بني

إسرائيل، فإن الله لم يحرمها عليكم وإنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير

وما أهلك به لغير الله، أي ما هتف عند ذبحه باسم غير الله مثل اللات والعزى

ونظائرها، إلا لمن اضطرّ إلى أكلها، هذه مما حرّمت عليكم ولا تصفوا الأشياء

بألسنتكم بأن هذا حلال وذاك حرام، كما أخبر الله عن قول المشركين في الآيات

١٣٨ - ١٤٠ من سورة الأنعام، كان ذلكم شأن المشركين، أمّا اليهود فقد حرّم

الله عليهم خاصّة ما قصّه على الرسول قبل هذه السورة - أيضاً - في الآية ١٤٦

من سورة الأنعام، وكان ذلك التحريم لليهود.

أمّا أنت أيها الرسول فقد أوحينا إليك أن أتبع في أمر الحلال والحرام ملة

إبراهيم، وكان من جملة ما في ملة إبراهيم اتخاذ يوم الجمعة يوم استراحة في

الاسبوع، أمّا السبت فقد جعل يومه عطلة على بني إسرائيل خاصّة تحرّم

عليهم العمل فيه، كما ورد ذكره في الآية ١٦٣ من سورة الاعراف.
وبناءً على ما أوردناه فإن معنى تبديل آية هنا إنما هو تبديل بعض أحكام
جاءت في توراة موسى بن عمران (ع) بأحكام نزلت في القرآن على خاتم
الرسل (ص)، وعودة الأمر الى ما كان عليه في شريعة إبراهيم الخليل (ع).
ويؤكد ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ... قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾.

وإعادة الضمير في (نزله) إلى معنى (آية) وهو الحكم، ولو كان الجدل حول
تبديل الآية التي هي جزء من السورة لكان ينبغي ان يقول سبحانه: (قل نزها
روح القدس) ويعيد الضمير مؤثراً.

ب - الآيات التي وردت في ضمنها آية النسخ في سورة البقرة المدنية:

في هذه الآيات قال الله سبحانه:

يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم وأوفوا بعهده حين أنزل لكم التوراة
وقال لكم: خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه، وفيه البشارة ببعثة خاتم الأنبياء،
يوف الله بعهده اليكم، فيصدق نعمه عليكم في الدنيا والآخرة، وآمنوا بما أنزل
على خاتم الأنبياء وهو يصدق لما معكم من كتب الله، ولا تكتموا الحق ولا تلبسوا
الحق بالباطل وأنتم تعلمون. ولقد أتى الله موسى الكتاب وقفى بعده بالرسول
ومنهم عيسى بن مريم الذي آيده بالأدلة الواضحة وآيده بروح القدس. أفكلما
جاءكم رسول بأحكام لاتهواها أنفسكم استكبرتم وكذبتم فريقاً منهم وفريقاً
تقتلونهم، وقلتم قلوبنا مغلفة عن دركها، وأخيراً لما جاءكم القرآن من عند الله
وهو يصدق ما عندكم من الأخبار كفرتم به، في حين أنكم كنتم قبل ذلك
تستشفعون في طلب الفتح على الكفار باسمه، وعندما جاءكم النبي وعرفتموه
كفرتم به وبما أنزل الله معه من الوحي، بشما اشتريتم لأنفسكم ان تكفروا بما

أنزل الله، لأنه أنزله على ذرية إسماعيل دون ذرية يعقوب فبوءوا بغضب من الله وللكافرين عذاب مهين.

وإذا قيل لليهود آمنوا بما أنزل الله على خاتم أنبيائه قالوا: نؤمن بما أنزل علينا معشر بني إسرائيل، ونكفر بما أنزل على غيرنا، وهو حق يُصدق ما معهم في كتب الأنبياء من الاخبار ببعثته.

قل لهم يارسول الله: إن كنتم تزعمون أنكم مؤمنين بالله فلم قتلتم أنبياء الله الذين جاءوكم قبل هذا؟! كيف تقولون إنكم تؤمنون بما أنزل اليكم، ولقد جاءكم موسى بالآيات البينات فعبدتم العجل بدل الإيمان بالله، وكما أنزل الله على موسى آيات بينات أنزل - أيضاً - آيات بينات على خاتم أنبيائه محمد (ص)، ولا يكفر بها إلا الفاسقون.

ولو أن اليهود آمنوا واتقوا الله لأثابهم الله، ولكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين بمكة لا يحبون أن ينزل عليكم ايها المسلمون خبر وكتاب من ربكم في حين أن الله يختص برحمته من يشاء.

وما ينسخ الله من آية أو ينسها يأت بخير منها أو بمثلها، أي ما ينسخ الله من أحكام أو يؤجلها يأت بخير منها أو بمثلها، إن الله على كل شيء قدير. أحب كثير من أهل الكتاب أن يردوكم عن إيمانكم بخاتم الأنبياء الى الكفر حسداً أن ينزل الوحي على غير بني إسرائيل، بعد أن تبين لهم أنه الحق وقالوا لكم لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود أو النصارى، أي إنكم بإسلامكم لن تدخلوا الجنة، قل هاتوا برهانكم. بلى من أسلم وعمل الصالحات فله أجره عند ربه، ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملةهم.

ثم خاطب اليهود وقال لهم: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي عليكم وأناي فضلتكم على العالمين في عصركم واتقوا يوم القيامة.

ثم ذكر موضع النزاع وسبب الخصومة وكيف وقعا بين الرسول واليهود، وقال

سبحانه: نرى تقلب وجهك نحو السماء انتظاراً لتحويل القبلة من بيت المقدس
فلنولينك قبلة ترضاها اينما كنت انت والمسلمين ولّ وجهك نحو المسجد الحرام،
وإن الذين أوتوا الكتاب اليهود منهم الذين يخاصمونك والنصارى ليعلمون أن
تحويل القبلة إلى الكعبة حقّ من ربّهم، وإنك مهما تأتهم بآية لا يقبلون قولك
ولا يتبعون قبلك. وسيقول السفهاء ما ولاهم عن بيت المقدس قبلتهم السابقة.
قل إن الأمر لله والمشرق والمغرب له يهدي من يشاء الى صراط مستقيم، وكان
جعل القبلة بيت المقدس وتحويلها الى الكعبة لامتحان الناس في مكة حيث
جعل قبلتهم إلى بيت المقدس دون الكعبة، وفي المدينة - أيضاً - تحويل القبلة
الى الكعبة امتحاناً لليهود، في أنهم هل يتركون العصبية الاسرائيلية ويتركون
استقبال بيت المقدس ويستقبلون الكعبة بعد أن عرفوا أنه الحقّ من ربّهم.
إمتحاناً لهؤلاء وأولئك ليعلم من يتبع رسول الله (ص) ممن ينقلب على عقبيه.
أما صلاتهم التي استقبلوا بها بيت المقدس قبل ذلك فلا تضيع عند الله.
وهكذا يتبين أن المقصود من (آية) في ذكر مجادلة قريش في مكة عند
تبديلها بآية أخرى: تبديل الله حكماً بآخر، كما جاء تفصيل ذلك الجدال قبل هذه
السورة في سورة الأنعام؛

وأيضاً تبين أن المقصود من نسخ آية أو تأجيلها في خبر اليهود في المدينة:
نسخ حكم في شريعته (ع) أو تأجيل حكم شريعة لحكمة يعلمها الله.
إن الراغب قد أصاب في تفسيره آية: (وكلّ جملة دالة على حكم آية،
سورة كانت أو فصلاً أو فصلاً من سورة) أي باعتبار معنى الآية في السورة.
كان ذلك المقصود من تبديل آية مكان آية أخرى ونسخ آية وإنسائها في
الآيتين الكريمتين، وسندرس في ما يأتي شأن النسخ وحكمته في شريعة موسى
ابن عمران (ع) بإذنه تعالى.

- ٣ -

شريعة موسى كانت تخصّ بني إسرائيل

إنّ شريعة موسى التي جاءت في التوراة كانت تخصّ بني إسرائيل كما جاء في العدد الرابع من الإصحاح الثالث والثلاثين في سفر التثنية مانصّه: (موسى أمرنا بسنة ميراثا لجماعة يعقوب). أي أنّ موسى أمرنا بشريعة تخصّ جماعة يعقوب وهم بنو إسرائيل، وكذلك مرّ في الآيات التي درسناها آنفاً بيان ذلك. وفي ما يأتي ندرس أمر النسخ بتفصيل أوفى باذنه تعالى.

حقيقة النسخ في شريعة موسى عليه السلام:
نبدأ بذكر أخبار بني إسرائيل في القرآن حسب التسلسل الزمني ثم ندرس
أمر النسخ في شريعتهم:

أولاً - تذكير بني إسرائيل بما أنعم الله عليهم:

أ - في سورة البقرة:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ *...وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبُّحُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ
الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَإِذْ وَاغَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (الآيات ٤٧ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١).

ب - في سورة الأعراف:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا
يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الآية ١٣٨).

ج - في سورة طه:

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ *...فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى...﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ
فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾
(الآيات ٨٥ - ٩١).

د - في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ

فَتُوبُوا إِلَى بَرِّئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِّئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ (الآية ٥٤).

ثانياً - التَّوْرَةُ وَبَعْضُ أَحْكَامِهَا:

أ - في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ (الآية ٦٣).

وقريب منه في الآية ٩٣ منها والآية ١٧١ من سورة الأعراف.

ب - في سورة الإسراء:

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ... ﴿ (الآية ٢).

ج - في سورة آل عمران:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ... ﴿ (الآية ٩٣).

د - في سورة الأنعام:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿ (الآية ١٤٦).

هـ - في سورة النحل:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ (الآية ١١٨).

و - في سورة النساء:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً... فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ... وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ

بِمِثْقَاهُمْ... وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً* فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلْتُمْ الْأَنْبِيَاءَ... وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً* فَظَلَمْنَا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدُّهُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً* وَأَخَذَهُمُ الرُّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ* (الآيات ١٥٣ - ١٦١).

ز - في سورة الأعراف:

﴿وَسُئِلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الآية ١٦٣).

والبقرة (٦٥) والنساء (٤٧ و ١٥٤).

ح - وفي سورة النحل:

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾ (الآية ١٢٤).

ثالثاً - نعم الله على بني إسرائيل وطغيانهم وتمردهم:

أ - في سورة الأعراف:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ* وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَنَزِدْنَا لَهُمُ الْمَحْسِنِينَ* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (الآيات ١٦٠ - ١٦٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (الآيات ٢٠ - ٢٦).

شرح الكلمات

أ - إِسْرَائِيلُ:

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم لقبه إسرائيل وبنو إسرائيل ذريته من أبنائه الإثني عشر.

ب - يَسُومُونَكُمْ:

سام الإنسان يسومه ذُلاًّ أو خَسْفاً أو هواناً: أولاهُ إِيَّاهُ وأرادَه عليه.

ج - يَسْتَحْيُونَ:

استحيا الأسير: تركه حياً فلم يقتله.

د - يَعْكِفُونَ:

عكف في المسجد عكوفاً: أقام للعبادة، وعكف عليه يعبدُه: أقبل عليه يعظّمه وواظب على عبادته لا يصرف وجهه عنه.

هـ - خُوار:

الخُوار: صوت البقر والغنم.

و - يَبْرَحُ:

برح المكان براحاً: فارقه.

ز - فتنتم:

الْفِتْنَةُ من الله لعباده امتحان، ومن النَّاسِ للنَّاسِ: إضلال وإيقاع في المكروه.

ح - بَارِئُ:

بَرَأَ اللهُ الخلق: خلقهم فهو بارئهم.

ط - فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ:

أي يقتل من لم يعبد العِجْلَ منكم الذين عبدوا العِجْلَ منكم.

ي - أسباطاً:

الأسباط هنا بمعنى القبيلة.

ك - فَأَنْبَجَسَتْ:

بَجَسَ وَانْبَجَسَ وَتَبَجَّسَ: انفجر وتفجّر.

ل - المَنَّ والسُّلُوئُ:

١ - المَنَّ: ندى يُشبه العسل جامد ينزل من السماء وقيل غير ذلك.

٢ - السُّلُوئُ: واحدته سَلَوَاة: طائر يشبه السَّمانِي، أو هو السَّمانِي،

والسَّمانِي: طائر صغير من الدجاجيات جسمه ممتلئ يستوطن حوض البحر الأبيض ويهاجر شتاءً الى مصر والسودان^(١٨).

م - حِطَّة:

حَطَّ الله وزره: اي وضع الله عن ظهره ما يحمله من آثام، وَحِطَّةٌ مثل

مغفرة: أي حَطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا.

ن - رَفَعْنَا:

رفع الشيء فوق الشيء: اعلاه عليه.

س - ميثاقُكُمْ:

الميثاق:

العهد وما يشد به العهد ويوثق كأنه عهد على الالتزام بالعهد.

ع - الرُّجُز:

العذاب، ورجز الشيطان وساوسه.

ف - يَتِيهُونَ:

تاهَ تَيَّهاً في الأرض: ضلَّ الطريق وتحيرَ.

(١٨) المعجم الوسيط مادة (سلوى).

ص - لَا تَأْسَ:

أَسَى وَأَسَى عَلَيْهِ أَسَى: حزن عليه.

ق - تَعْدُو:

عَدَا عَدُوًّا وَعُدُوًّا وَعُدُوًّا وَعُدُوًّا وَعُدُوًّا: ظلم وتجاوز الحق.

ر - مِيثَاقًا غَلِيظًا:

وَتَقَى بِهِ ثِقَةً وَمَوْتًا: ائتمنه وسكن إليه، والموتق: الائتمان والعهد المؤكد.

ش - الْحَوَايَا:

الْحَوَايَا: الأُمْعَاءُ، واحدها: حَوِيَّة.

ت - شُرْعًا:

شُرْعَ شُرْعًا: دنا وأشرف وظهر فهو شارع وهم شُرْع.

ث - جَعَلَ لَهُم:

جَعَلَ: شُرْعَ وَحَكَمَ وَقَرَّرَ.

تفسير الآيات

خاطب الله بني إسرائيل وقال لهم: أذكروا نعمتي عليكم إذ جعلت فيكم الأنبياء والملوك وآتيتكم النعم كالمَن والسلوى مالم يؤت أحدٌ من العالمين.

وإنه سبحانه نجّاهم من ذلّ عبودية فرعون وقتله أبناءهم واستحيائه نساءهم وأغرق فرعونَ وجنودَه وجاوز بهم البحر فأتوا على قوم يعبدون الأصنام فقالوا لموسى اجعل لنا صنماً كصنمهم نعبده، وإنهم عبدوا العجل عندما ذهب موسى لتسلّم التوراة من الله في الطور، وأمرهم أن يدخلوا الأرض المقدّسة التي قدّرها الله يومذاك لهم، فقالوا: ياموسى إنّ فيها قوماً جبارين - العماقة - وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها. قال يشوع - اليسع - ورجل آخر منهم: ادخلوا المدينة فإنّكم ستغلبونهم، فأبوا ذلك وقالوا: ياموسى اذهب أنت وربك فقاتلا العماقة، إنا هاهنا قاعدون. قال موسى: ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي هارون ففرّق بيني وبين القوم الفاسقين، قال الله سبحانه: فإنّ الأرض المقدسة محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في هذه المدّة في صحراء سيناء فلا تحزن على الفاسقين.

وأخبر عنهم سبحانه في سورة الأعراف، وقال تعالى: وَقَسَمْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَبِيلَةً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى عِنْدَمَا اسْتَسْقَى قَوْمَهُ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْحَجَر فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، لِكُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَيْنٌ، وظلّل عليهم الغمام وقاية لحرّ الشمس عنهم وأطعمهم حلاوة كالعسل ولحم الطير، وقيل لهم بعد طول السفر اسكنوا مدينة كانت أمامهم، وكلوا مما فيها من رزق، وادخلوا باب المدينة شاكرين لله ساجدين له، وقولوا حطة أي ربّنا اغفر لنا خطايانا، فبدّل الظالمون قولاً غير ما أمروا بقوله، وقالوا: حنطة، أي نطلب

الحنطة^(١٩)، فأنزل الله عليهم العذاب من السماء بسبب عملهم.
وأخبر الله سبحانه عنهم في سورة النساء، وقال تعالى: يسألك - يا رسول الله - أهل الكتاب أي اليهود أن تُنزلَ عليهم كتاباً من السماء، وقد سبق لهم أن سألوا موسى أكبر من ذلك حين قالوا له: أرنا الله جهاراً لنُبصرَهُ بعيوننا، فَعَفَوْنَا عن ذنوبهم، ورفعنا فوقهم الطور، وإذ أخذنا الميثاق على العمل بعهدكم في العمل بها جاء في التوراة.

كان أحبَّ الطعام والشراب إلى إسرائيل ألبان الإبل ولحومها وإنه أشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرّم على نفسه أحبَّ الطعام والشراب إليه لحوم الإبل وألبانها شكراً لله.

وحرّم على نفسه زائدتي الكبد والكليتين والشحم إلا ما كان على الظهر فإن ذلك كان يقرب للقربان فتأكله النار^(٢٠).

وكان ممّا عاهدوا الله عليه في العقائد: الإيمان بمن بشر ببعثته موسى بن عمران (ع) من بعثة عيسى (ع) وبعده بعثة خاتم الأنبياء (ص) كما مرّ بنا في ما نقلناه عن سفر التثنية.

وفي الأحكام عاهدوا أن لا يتعدّوا في يوم السبت ولا يعملوا فيه وأخذ الله منهم في ذلك ميثاقاً شديداً أكيداً.

وبسبب نقضهم - أي بني إسرائيل - ميثاقهم مع ربّهم وكفرهم بآيات الله وقولهم في مريم بهتاناً عظيماً ورميهم الطاهرة مريم بهتاناً عظيماً وبظلمهم حرّماً عليهم - تأديباً لهم - طيّبات أحلت لهم كما أنّهم بظلمهم وعبادتهم العجل أمروا بقتل أنفسهم - أي بقتل من لم يؤمن بالعجل من عبد العجل منهم - وبمنعهم

(١٩) هكذا ورد في تفسير الآية في البحار في أخبار موسى وهارون وتفسير المجمع.

(٢٠) سيرة ابن هشام ط. الحجازي بالقاهرة (٢/ ١٦٨ - ١٦٩) وكان ما ذكرناه في المتن.

جاء في تفسير الطبري والسيوطي، ونرى أن ما جاء في سيرة ابن هشام أصحّ ممّا أثبتناه في المتن.

عن الإيمان بالله وأخذهم الربا في المعاملات وأكلهم الربا مع أنهم مُنَعُوا عن الربا، حُرِّمَتْ طَيِّبَاتُ لَهُمْ.

ومَّا خَالَفُوا مَا وَاثَقُوا بِهِ رَبَّهُمْ صَيْدَهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ الْحَيْتَانِ مِنَ الْبَحْرِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَدْنُو مِنْهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ وَتُظْهِرُ لَهُمْ وَلَا تَأْتِي الْحَيْتَانِ غَيْرَ يَوْمِ السَّبْتِ كَذَلِكَ. وَكَانَ ذَلِكَ امْتِحَانًا لَهُمْ خَاصَّةً، وَإِنَّمَا جَعَلَ لَهُمُ السَّبْتَ أَيَّ شَرِّعِ الْعِطْلَةِ يَوْمَ السَّبْتِ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ.

وقال تعالى في سورة النساء:

يَسْأَلُكَ الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، وَقَدْ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: أَرِنَا اللَّهَ جَهَارًا لِنُبْصِرَهُ بَعْيُونَنَا... فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمَوَاقِيقَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، وَكَانَ مِنْهُ الْإِيمَانُ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَخَاصَّةً عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ (ع) وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (ص) وَأَفْتَرَوْا عَلَى مَرْيَمَ (ع)، وَالْأَحْكَامَ الَّتِي فِيهَا، فَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ، وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ وَأَخَذُوا الرِّبَا وَأَكَلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ، وَبَسَبَ ظَلَمَهُمْ حَرْمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ حَلَالًا عَلَيْهِمْ، وَمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْدَ الْأَسْمَاكِ يَوْمَ السَّبْتِ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَيْتَانِ الْبَحْرِ تَدْنُو إِلَيْهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ.

حصيلة البحث

فَضَّلَ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُعَاَصِرِيهِمْ مِنْ أَقْبَاطِ مِصْرَ وَعَمَالِقَةِ الشَّامِ وَسَائِرِ الْأُمَمِ، وَبَعَثَ اللهُ فِيهِمُ النَّبِيِّينَ كَمُوسَى وَهَارُونَ وَعِيسَى وَأَوْصِيَانَهُمْ، وَفِي مَقَدِّمَتِهَا التَّوْرَةَ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمَوَاقِفَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْمَنْ وَالسَّلَاطَةِ وَإِسَالَةِ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ وَغَيْرِهَا، وَفِي مُقَابِلِ كُلِّ تِلْكَ النِّعَمِ جَحَدُوا بِآيَاتِ اللهِ وَعَبَدُوا الْعَجَلَ وَأَخَذُوا الرَّبَّ وَأَكَلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ وَعَمَلُوا أَمْوَالاً أَمْثَالَهَا مِنْ أَنْوَاعِ التَّمَرُّدِ عَلَى اللهِ، فَكَانُوا بِحَاجَةٍ لَتَرْبِيَةِ نَفْسِهِمْ إِلَى مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ نَفْسِهِمْ وَتَرْكِ الْعَمَلِ لِلدُّنْيَا يَوْمَ السَّبْتِ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي تَرْكِ الْعَمَلِ يَوْمَ السَّبْتِ كَفَعَلَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ^(٢١)، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَكْلِ الشَّحْمِ وَلَحْمِ الْجَمَلِ وَأَمْثَالِهَا تَرْوِيضاً لِنَفْسِهِمْ، وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَاجَةٍ إِلَى تَمَاسُكِ قَبْلِي بَيْنَ أَسْبَاطِهَا لِمُقَابَلَةِ الْأُمَمِ الطَّاعِيَةِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ مِنْ عَمَالِقَةِ وَقِبَاطِ، فَشَرَعَ اللهُ لَهُمْ اسْتِقْبَالَ خِيَمَةِ الْإِجْتِمَاعِ لِلْعِبَادَةِ، قَبْلَ بِنَاءِ سَلِيمَانَ الْمَسْجِدِ الْمُسَمَّى بِهَيْكَلِ سَلِيمَانَ، وَاجْرَاءِ الطَّقُوسِ الدِّينِيَةِ بِإِشْرَافِ أَبْنَاءِ هَارُونَ، وَكَمَا أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ مَرْيَمُ مِنْ سُلَالَةِ دَاوُدَ مِنْ سُبُطِ يَهُودَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ أَحَلَّ لَهُمْ بَعْضَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ عِيسَى (ع) فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ:

﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ.. وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (الآية ٤٩ - ٥٠).

(٢١) راجع مادة السَّبْت في قاموس الكتاب المقدس وتفسير الآية في تفسير الطبري وابن

كثير والسيوطي.

وبناءً على ما أوردناه تَبَيَّنَ أَنَّ الأنبياء من بني إسرائيل من موسى بن عمران (ع) إلى عيسى بن مريم (ع) أرسلوا الى بني إسرائيل، وأنَّ بعض الأحكام في شريعة التوراة أنزلت لمصلحة بني إسرائيل. إذاً فإنَّ تلك الأحكام من قبيل تحريم ما حَرَّمَ إسرائيل على نفسه كان أَمْدُها مُوقَّتاً وانتهى أمد بعضها ببعثة عيسى بن مريم (ع)، وأَحَلَّ لهم بعض ما حَرَّمَ عليهم، وأَمْدُ البَعْض كان الى بعثة خاتم الأنبياء (ص)، فجاء خاتم الأنبياء ببيان انتهاء أَمْدِها جميعاً كما أخبر الله سبحانه عن ذلك وقال تعالى في سورة الأعراف:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾
(الآية ١٥٧).

إِصْرَهُمْ: أي التكاليف الشاقّة عليهم.

* * *

كان ذلكم شأن النسخ في شريعة موسى (ع) بالنسبة الى الشرائع السابقة عليها ونسخ بعض ما في شريعة موسى (ع) في شريعة خاتم الأنبياء (ص).
ونوع آخر من النسخ ما يقع في شريعة نبيّ واحد كالأتي بيانه:

- ٤ -

معنى النسخ في شريعة نبي واحد

لمعرفة معنى النسخ في شريعة نبي واحد نذكر مثلاً واحداً منه في شريعة خاتم الأنبياء (ص) كالآتي بيانه:

من أمثلة النسخ في شريعة نبي واحد نسخ وجوب دفع الصدقة على من يريد أن يناجي الرسول (ص) كما جاء في قوله تعالى في سورة المجادلة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الآيات ١٢ - ١٣).

وجاء تفصيل الخبر في التفاسير كالآتي:

إن البعض من أصحاب النبي (ص) كانوا يكثرون مناجاة النبي (ص)، يظهرون بذلك نوعاً من التقرب إليه والاختصاص به، وكان من مكارم أخلاق الرسول (ص) أنه لم يكن يردّ طلب ذي حاجة إليه، وكان ذلك يضايق النبي (ص) ويصبر عليه، فنزل حكم أداء الصدقة لمن يريد أن يناجي الرسول (ص)، فترك أولئك نجوى الرسول وصرف علي بن أبي طالب ديناراً بعشرة دراهم، وتصدق بها عشر مرّات، وناجى الرسول (ص) في ما كان يهمه،

ولما تحققت الغاية في تربية أولئك بهذا الحكم، وانتهى أمد الحكم، رُفِعَ الحُكْمُ^(٢٢).

(٢٢) راجع تفسير الآية بتفسير الطبري وسائر التفاسير التي تعتمد الروايات في تفسير الآيات.

خلاصة بحث النسخ ونتيجته

كان يوم الجمعة يوماً مباركاً ويوم راحة لبني آدم منذ عصر آدم (ع) إلى عصر أنبياء بني إسرائيل: موسى بن عمران إلى عيسى بن مريم (ع).
وأيضاً أجرى آدم ومن جاء بعده من الأنبياء إلى عصر إبراهيم (ع) مناسك الحج في عرفات والمشعر ومنى وطافوا سبعةً حول مكان البيت، ثم بنى إبراهيم وإسماعيل البيت وطافا بعد ذلك مع من تبعهما في الحج حول البيت.
ثم جدّد نوح شريعة آدم وجاء بشريعة كشرعية خاتم الأنبياء، وتبعه الأنبياء من بعده لقوله تعالى:

١ - ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

٢ - ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ - أي من شيعة نوح -.

٣ - قوله تعالى لخاتم أنبيائه ولأمته:

أ - ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

ب - ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

إذاً فإن شرايع الأنبياء واحدة منذ اصطفاء الصفي آدم (ع) إلى اجتناء النبي الخاتم (ص)، عدا ما كان من أمر الشريعة التي أرسل الله بها أنبياء بني إسرائيل من موسى بن عمران إلى عيسى بن مريم حيث لوحظ فيها مصلحة بني إسرائيل لقوله تعالى:

أ - ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

ب - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ - أي على اليهود -.

ج - ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ - أي جعل فرض تعطيل

يوم السبت على الذين اختلفوا فيه، وهم بنو إسرائيل -.

وكما جاء التصريح بذلك في العدد الرابع من الاصحاح الثالث والثلاثين

من سفر التثنية: (بناموس أوصانا موسى ميراثاً لجماعة يعقوب). (موسى أمرنا بسنة ميراثاً لجماعة يعقوب).
وفي نسخة (بشريعة).

والحكمة في ذلك أن بني إسرائيل كانوا قوماً معاندين لأنبيائهم مشاكسين^(٢٣) متابعين لأهواء نفوسهم الأتمة بالسوء والضعيفة امام أعدائهم يتخذون العجل إلهاً لهم بعد أن فلق الله البحر لهم ونجّاهم من ذلّ عبودية فرعون وأبوا أن يدخلوا الأرض المقدسة التي جعلها الله لهم خوفاً وهلعاً من قوم العماقة الذين كانوا فيها، وكان تهذيب نفوسهم واصلاحها في تشديد الشرع لهم من جانب؛ بأمر المؤمنين الذين لم يعبدوا العجل المرتدين منهم بقتل الذين عبدوا العجل، وتحريم العمل يوم السبت عليهم وابتلائهم بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة.

ومن جانب آخر لما كانوا الأمة المؤمنة الوحيدة في عصرهم وهي محاطة بأمم كافرة معتدية قوية من حولهم، احتاجوا الى رباط قوي يشدّ بعضهم الى بعض ويكون منهم أمة متميزة عن الآخرين، متماسكة فيما بينها، لذلك كله شرع لهم قبلّة خاصّة بهم فيها التابوت الذي حوى الواح التوراة الكتاب الذي أنزله الله تشريعاً لهم وتشريعاً يناسب ظروفهم ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ (البقرة ٢٤٨)، إلى غير ذلك من التشريعات المناسبة لظروف بني إسرائيل يومذاك.

في عصر عيسى بن مريم (ع) انتهى أمدُ بعض تلك التشريعات بانتهاء بعض تلك الظروف، فأحلّ عيسى (ع) بعض تلك المحرّمات بأمر من الله. وعلى عهد خاتم الأنبياء انتشر بنو إسرائيل في البلاد وحشروا بين الناس، وكان يضيرهم ويضير الأمم التي يعيشون بينهم أن يشعر بنو إسرائيل أنهم

(٢٣) مشاكسين: سيئو الخلق عسرو المعاملة، والهلع: الجزع الشديد.

ليسوا من الأمة التي يعيشون معها، وأنهم جسم غريب عن جيرانهم وأهل بلدهم، وكذلك يكون شعور أهل البلد مع الإسرائيليين بأنه غريب عنهم، ومبعث قلق ومشاكل للمجتمع الواحد الذي يعيش الجميع فيه، ولذلك أصبحت الأحكام التي تفصلهم عن الأمم غلاً في أعناقهم، مثل تحريم العمل عليهم يوم السبت خلافاً لسائر الأمم التي تتخذ غير يوم السبت يوم راحة عن العمل، وإصراراً عليهم، كما ورد شرحها وتفصيلها في سفر التثنية من التوراة، فأحلّ لهم خاتم الأنبياء (ص) وبأمر من الله ما حرّم الله عليهم في العصور السابقة، وقال تعالى في سورة الأعراف:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾ (الآية ١٥٧).

وهكذا رفع الله عنهم الأحكام التي كانت تصلح لهم في العصور السابقة وأصبحت غلاً عليهم حين عايشوا الناس كل الناس في كل مكان، أما الأحكام التي وردت في شريعة موسى بلحاظ أن بني إسرائيل من الناس فلم ترفع ولم تنسخ مثل حكم القصاص، كما يخبر الله عنه ويقول في سورة المائدة:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا... وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الآيتان ٤٤ - ٤٥).

فإن حكم القصاص هذا كان جارياً قبل التوراة وبعدها إلى اليوم، وكذلك سائر الأحكام التي شرعها الله للإنسان بلحاظ كونه إنساناً لم تتغير ولم تتبدل في عصر من العصور، وفي شريعة من شرايع الأنبياء.

ولما بَدَّلَ الله بعض أحكام شريعة موسى بأحكامٍ أخرى في شريعة خاتم الأنبياء، كما شرحناه، اعترضت قريش على رسول الله كما أخبر الله عنه في سورة النحل وقال (وقالوا له إنا أنْتَ تفتري على الله) فردَّ الله عليهم قولهم وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ قَالُوا: إِنَّا أَنْتَ مُفْتَرٍ... إِنَّا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ... فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ مثل لحم الجمل وشحوم لحم الحيوانات فهي غير محرمة عليكم، إِنَّا حَرَّمْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ، واللّٰتِي كَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي مَكَّةَ يَعْمَلُونَ بِهَا مِثْلَ تَقْدِيمِهِمُ الْقَرَابِينَ لِأَصْنَامِهِمْ، ثُمَّ نَهَاہُمْ أَنْ يَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ وَيَقُولُوا هَذَا حَلَالٌ وَذَاكَ حَرَامٌ كَمَا شَرَحَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ... وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ...﴾ (الأنعام ١٣٨ - ١٣٩).

وأشار إليها في سورة يونس وقال سبحانه:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَلَالًا وَحَرَامًا قُلْ اللَّهُ أُذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (الآية ٥٩).

وهكذا كانت مسألة التحريم والتحليل مَوْرَدَ جدالٍ بين مشركي قريش ورسول الله (ص) سواء ما كان منها ما هم شرعوه وخالفها رسول الله (ص)، أو ما شرعه الله في شريعة موسى وبدّلها الله بأخرى بحسب المصلحة في شريعة خاتم الأنبياء (ص).

هكذا كانت قريش في مكّة تخاصم رسول الله (ص) في ما أحلّ وحرم بأمر من الله، مخالفاً للمألوف عندهم في ما اتخذوه ديناً لهم وفي ما عرفوه من شريعة موسى بن عمران، ووقعت نفس الخصومة في المدينة من اليهود مع النبيّ في بعض

الأحكام التي نسخ بها بعض ما جاء في التوراة، كما شرحها الله في سورة البقرة وقال سبحانه مخاطباً لبني اسرائيل:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (الآية ٨٧).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالَوا نؤمنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيكفرونَ بِمَا وَرَاءَهُ...﴾ (الآية ٩١).

﴿مَآ تَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا...﴾ (الآية ١٠٦).

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾ (الآية ١٢٠).

وإنما كانت مجادلة بني اسرائيل مع رسول الله (ص) حول ما نسخ من أحكام التوراة وأهمها نسخ القبلة إلى البيت الذي أخبر الله عنه في سورة البقرة وقال تعالى ما موجهه:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ سِوَا الْيَهُودِ مِنْهُمْ أَوْ النَّصَارَىٰ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ قِبْلَتَكَ مِمَّا تَأْتِهِمْ بآيَةٍ مِنْ اللَّهِ لَا يَقْبَلُونَ مِنْكَ.

إذا فإن المقصود من نسخ الآية في هذا المورد نسخ هذا الحكم، كما إن المقصود من تبديل آية بأخرى في مجادلة قريش بشأنها رسول الله (ص) تبديل بعض أحكام الحلال والحرام بمكة عند قريش وغير قريش.

وبناءً على هذا تبين أن المقصود من (آية) في قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾: وإذا بدلنا حكماً مكان حكم.

وفي قوله تعالى: ﴿مَآ تَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾: مانسوخ من أحكام أو نوجّلها نأت بخير منها أو مثلها.

ومثال تأجيل الحكم تأجيل حكم استقبال الكعبة في شريعة موسى وتبديله

بحكم استقبال بيت المقدس الذي كان فيه الخير يومذاك لبني اسرائيل.
ومثال نسخ حكم وتبديله بحكم خير منه نسخ حكم استقبال بيت المقدس
في شريعة خاتم الأنبياء بحكم استقبال الكعبة للناس كل الناس أبد الدهر.
وكذلك الأمر في تبديل آية مكان آية، المقصود حكم مكان حكم.
وكذلك تبين أن الأحكام التي يشرعها الله للناس قد يلاحظ فيها مصلحة
الانسان من حيث هو إنسان، فتلك التي لا تبديل فيها كما أخبر الله عنه في قوله
تعالى في سورة الروم:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ٣٠).
لا تبديل لما شرع الله للناس متناسباً مع فطرتهم مثل قوله تعالى في سورة
البقرة:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾
(الآية ٢٣٣)

سواء كانت الوالدة حواء زوجة آدم (ع) وترضع ولدها من آدم في ظل
شجرة أو كهف، أو من نسلت من بعدها من مختلف العصور من سكان الكهوف
أو الخيم أو القصور.

وكذلك لا يتغير حكم الصوم لبني آدم والقصاص وحرمة الربا كما قال
سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

أ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ﴾ (الآية ١٨٣).

ب - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ...﴾ (الآية ١٧٨).

ج - ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ (الآية ٢٧٥).

إلى غيرها مما شرعه الله للإنسان متناسباً مع فطرته التي فطره عليها، فإن

أحكامها لا تتبدل في شريعة عن شريعة أخرى من شرايع الأنبياء ويعبر عن تلكم الأحكام في القرآن بلفظ (وَصَّى اللهُ وَيُوصِيكُمْ وَصِيَّتَهُ) و (كتب كتابه).

وما شرع الله لبعض الناس متناسباً مع ظروفهم الخاصة بهم فتلك ينتهي أمدّها بانتهاء تلك الظروف، مثل ما ذكرنا من الأحكام التي شرعت لبني إسرائيل متناسباً مع ظروفهم الخاصة لهم، وما شرع الله للمهاجرين مع النبي من مكة الى المدينة من التوارث بينهم وبين من تأخى معهم من الأنصار في بدء الهجرة، ثم انتهى أمدّه بعد فتح مكة، ونسخ الحكم كما أخبر الله عنه في الآيات (٧٢ - ٧٥) من سورة الأنفال بقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا... - مِنْ مَكَّةَ - وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا - وَهُمْ الْأَنْصَارُ فِي الْمَدِينَةِ - أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ - وَلَا يَهِيمُ فِي الْإِثْرِ وَالنَّصْرَةِ - وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالُكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾.

ثم أخبر الله بنسخ هذا الحكم بقوله تعالى:

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في ما كتب الله وشرع للناس كل الناس^(٢٤).

وفي سورة آل عمران قال تعالى:

﴿وَقَتَلَهُمُ الْآنِبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ... قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ... فَلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (الآيات ١٨٠ - ١٨٤).

لما جاء اليهود القرآن من عند الله وكانت صفات القرآن تصدق الأخبار التي عندهم عن بعثة الرسول الخاتم بالقرآن كفروا به وقالوا نؤمن بالتوراة التي انزلت علينا ويكفرون بغيرها من الإنجيل والقرآن وأخبر الله أنه أنزل إليه آيات

(٢٤) تفسير الآية في مجمع البيان والطبري وسائر التفاسير بالمأثور.

واضحات في القرآن وما أوتي من معجزات وأحكام في القرآن وما يكفر بها إلا الفاسقون وقال سبحانه: ما ننسخ من أحكام شريعة مثل نسخ استقبال بيت المقدس أو ننسها ونؤجل بيانها نأت بأحكام خير منها للناس أو بمثلها، والله هو مالك السموات والأرض يفعل ما يشاء، وإن اليهود والنصارى لن ترضى عن رسول الله حتى يترك ما نزل عليه من أحكام الشريعة ويتبع أحكام شريعتهم.

وكرر الله سبحانه هذا المفهوم بلفظ آخر في سورة الإسراء وقال:

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ هَذَا

الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ مما في كتاب موسى (ع).



إلى هنا ذكرنا في بحوث الربوبية كيف شرع الله رب العالمين للإنسان نظاماً يتناسب وفطرته، ثم هداه للعمل بما شرع له، وفي البحث الآتي ندرس بإذنه تعالى من صفات الربوبية كيف يجزي رب العالمين الإنسان بآثار عمله في الدنيا والآخرة.

(١٠)

رَبِّ الْعَالَمِينَ يَجْزِي الْإِنْسَانَ بِآثَارِ عَمَلِهِ

أ و ب - في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ج - عند الممات.

د - في القبر.

هـ - في المحشر.

و - في الجنة والنار.

ز - جزاء الصبر.

ح - توارث الأعمال.

- ١ -

كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله في الدنيا

نحن نرى من آثار أعمالنا في الحياة الدنيا أن من زرع قمحاً حصداً قمحاً، ومن زرع شعيراً حصداً شعيراً، وكذلك يرتزق كل إنسان ما يعمله. كان ذلكم مثلاً مما نعلمه من آثار أعمالنا المادية في الحياة الدنيا، وإن لأعمالنا في الحياة الدنيا آثاراً معنوية كثيرة مثل مالملة الرّحم من الآثار، كما أخبر رسول الله (ص) عن ذلك وقال:

«صلة الرّحم تزيد في العمر وتنفي الفقر». وقال (ص):

«صلة الرّحم تزيد في العمر، وصدقة السرّ تطفئ غضب الربّ، وإنّ قطيعة الرّحم واليمين الكاذبة لتذران الديار بلاقع من أهلها ويشقلان الرّحم، وإنّ تشقّل الرّحم انقطاع النسل»^(١).

المقصود من تطفئ غضب الربّ: إن الإنسان إذا كان قد استحقّ بعمله سخط ربّه في الدنيا، وأن تصيبه لذلك مصيبة في نفسه أو ماله وما شابههما، فإنّ صدقة السرّ تدفع ذلك عنه.

البلاقع جمع البلقع وبلقعة: هي الأرض القفر التي لا شيء بها^(٢).

(١) مادّة (الرّحم) من سفينة البحار.

(٢) مادّة (بلقع) من نهاية اللغة.

ومن هنا قال أمير المؤمنين (ع):

«وصلة الرَّحْمِ فانها مثرأة في المال منسأة في الأجل، وصدقة السرِّ فانها تكفِّر الخطيئة»^(٣).

وقال (ع): «...وصلة الرَّحْمِ منماة للعدد»^(٤).

ومن ثمَّ ندرك أنَّ الله شاء بحكمته أن يجعل إدرار الرزق وتكثير النسل في صلة الرَّحْمِ، والإعسار وقطع النسل في قطع الرَّحْمِ.

ولهذا السبب قد يعرض تاجران نوعاً واحداً من السلعة، فتبور عند أحدهما وتنفق عند الآخر، فيقال للثاني: حسن الحظَّ، وللأول سيئ الحظَّ، ويكون منشأهما قطع الرَّحْمِ عند الأول وصلة الرَّحْمِ عند الثاني، جزاءً وفاقاً من الله لعملهما.

ولا يترتب جزاء الأعمال هذا على الايمان بالله ولا على عدمه، وإنما جعل الله لعمل الإنسان آثاراً في الحياة الدنيا - إذا بدرت منه بادرة في حالة وعي وتنبيه وعن قصد - وآثاراً في الحياة الآخرة.

كذلك جعل الله لأعمال الإنسان تجاه الخالق جزاءً وفاقاً وتجاه الخلق جزاءً وفاقاً، إنساناً كان ذلك الخلق أو حيواناً أو نعمةً أنعم الله عليه من متاع الدنيا، جعل الله كلَّ ذلك بمشيئته وحكمته، وأخبر أنَّ ليس للإنسان إلاَّ جزاء عمله، وقال:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم ٣٩).

وكذلك أخبر جلَّ ذكره أنَّ مَنْ عمل للدنيا أراه الله سبحانه جزاء عمله في الدنيا، ومن عمل للآخرة أراه جزاء عمله في الآخرة، وقال عزَّ اسمه:

﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٠٨.

(٤) العدد ٢٥٢ من الحكم في نهج البلاغة.

الشَّاكِرِينَ ﴿ (آل عمران ٤٥).

وقال سبحانه:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نَوْفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ...﴾ (هود ١٥ - ١٦).

وقال تبارك وتعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا... * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء ١٨ - ٢٠).

شرح الكلمات

نَوْفٌ إِلَيْهِمْ:

وفى إليه: أعطاه حقه وافياً تاماً.

لا يبخسون:

بخس الكيل والميزان: نقصه، وبخس فلاناً حقه: لم يوفه إياه.

محظوراً:

حظر الشيء: منعه، ومحظوراً: ممنوعاً.

الجزاء في الدنيا والآخرة:

إذا فَمِنَ الأَعْمَالِ مَا يَتَلَقَّى الْإِنْسَانُ جَزَاءَهُ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْهَا مَا يَنْحَصِرُ جَزَاؤُهُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فِي مِثْلِ الشَّهِيدِ الَّذِي قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى اسْتَشْهَدَ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى لَهُ مَجَالٌ لَتَلَقَّى الْجَزَاءَ فِي الدُّنْيَا، بَلْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *

فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٩ - ١٧١﴾.

وكذلك شأن الإنسان المتسلط الذي قتل نفساً مؤمنة ظلماً وعدواناً، فإنه - أيضاً - ينال جزاءه في الآخرة، كما قال سبحانه:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٩٣).

وكذلك الذي يولد مصاباً بعاهة جسمية مثل: العمى والصمم والعرج، وكان مؤمناً بالله واليوم الآخر موالياً لأولياء الله صابراً محتسباً، فإن الله سوف يجزيه في حياة الخلد ما لا يُقاس بما أُصيب به من عاهة في الحياة الدنيا، أو ما عاناه وتحمل من أذى في سبيل الله في الدنيا^(٥).

وبناءً على ما ذكرناه فإن العدل الإلهي لن يتحقق دون أخذ جزاء الأعمال بعد الحياة الدنيا، وقد جعل الله أخذ جزاء الأعمال بعد الحياة الدنيا في مراحل متعددة نذكرها تباعاً في ما يأتي إن شاء الله تعالى، بدءاً بذكر جزاء الأعمال بعد الحياة الدنيا:

(٥) راجع ثواب الأعمال للشيخ الصدوق، باب ثواب من لقي الله مكفوفاً محتسباً، الحديث:

٢١. وراجع معالم المدرستين: الجزء الأول، بحث الشفاعة، خبر الضرير الذي أتى النبي (ص) وطلب منه أن يدعو الله ليعافيه.

- ٢ -

كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله في الحياة الآخرة

إنَّ الإنسان يزرع القمح والذُّرة والخضار في الشتاء أو الربيع فيحصده في صيف تلك السنة.

ويغرس الأعناب والتين والزيتون والحمضيات فيجني ثمارها بعد ثلاث سنوات أو أربع من غرسها.

ويغرس النخل والجوز ويجني ثمارها بعد ثماني سنوات من غرسها أو أكثر. وكذلك يرتزق الإنسان نتيجة عمله الدائب ويرزق منها أهله ومن شاء من الخلق إنساناً أو حيواناً، ومع كل ذلك يقول الله سبحانه:

أ - في سورة الذاريات:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الآية ٥٨).

ب - في سورة الروم:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ (الآية ٤٠).

ج - في سورة الأنعام:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الآية ١٥١).

د - في سورة العنكبوت:

﴿وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ (الآية ٦٠).

هـ - في سورة النحل:

﴿وَاللَّهُ فَضْلَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ...﴾ (الآية ٧١).

إنَّ الإنسانَ يحِثُّ الأرضَ ويَزرعُ الحَبَّ ويَغرِسُ الشَّجَرَ ثُمَّ يَسْقِيهِمَا، ثُمَّ يَكافِحُ الآفَاتَ عَنْهُمَا وَيَرْبِّيهِمَا حَتَّى يَحْصِدَ الحَبَّ وَيَجْنِيَ الثَّمَرَ وَيَرْتَاقُ مِنْهُمَا وَيَرْزُقُ مَنْ شَاءَ، وَيَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وَصَدَقَ اللهُ العَظِيمُ فَإِنَّ الَّذِي جَعَلَ مِنْ خَوَاصِّ المَاءِ والأَرْضِ إِنْبَاتَ النِّبَاتِ وَعَلَّمَنَا كَيْفَ نَزْرَعُ وَنَغْرِسُ هُوَ الَّذِي رَزَقَنَا، وَمِثْلُ ارْتِاقِ الإنسانِ كَذَلِكَ مِثْلُ ارْتِاقِ الضَّيْفِ فِي مَطْعَمٍ (سَلَفٍ سَرُوسٍ) إِخْدَمَ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّ المُضَيِّفَ فِي مِثْلِ هَذَا المَطْعَمِ يَطْعَمُ ضَيْفَوَهُ وَيَرْزُقُهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ مَا يَخْتَارُهُ الضَّيْفُ مِنَ الطَّعَامِ لِنَفْسِهِ بِكَامِلِ حَرِيَّتِهِ، وَإِنَّ الضَّيْفَ الَّذِي يَدْخُلُ هَذَا النُّوعَ مِنَ المَطْعَمِ لَا يَأْكُلُ شَيْئاً إِنْ لَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ مِمَّا أَعَدَّهُ المُضَيِّفُ مَاعُوناً وَشَوْكَةً وَمَلْعَقَةً، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ بِإِنَائِهِ إِلَى المَوَائِدِ المَعْدَّةِ وَيَأْخُذُ مِنْهَا بِيَدِهِ مَا يَشْتَهِي، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ صَاحِبَ المَطْعَمِ هُوَ الَّذِي أَطْعَمَ ضَيْفَوَهُ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ تَقَعُ التَّبَعَةُ عَلَى الضَّيْفِ فِي مَا إِذَا تَنَاولَ مِنَ المَأْكَلِ مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ، وَصَدَقَ اللهُ العَظِيمُ حَيْثُ يَقُولُ:

أ - في سورة إبراهيم:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَاثِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (الآيتان ٣٢ و ٣٣).

ب - في سورة النحل:

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ* وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ* وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ

سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ
اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشُّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ
فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ
لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٥ - ٦٩﴾.

شرح الكلمات

أ - دائبين:

دأب الشيء: لازمه واعتاده من غير فتور، والدأب: العادة المستمرة
والشأن، ودائبين: دأبها وشأنهما السير باستمرار.

ب - فرث:

الفرث ما في الكرش.

ج - يعرشون:

عرش الكرم: رفع أغصانه على الخشب، ويقال: لسقف يتخذ على نخلات
العرش.

عود على بدء

إِنَّ الرَّبَّ الرَّزَّاقَ عَلَّمَ بوساطة الأنبياء والأوصياء والعلماء ضيفه الإنسان في هذا العالم كيف يتناول من النعم التي أعدها الله؛ ما ينفعه ولا يضره، عاجلاً في هذه الدنيا وآجلاً في الآخرة، قال سبحانه:

أ - في سورة البقرة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ (الآية

(١٧٢).

ب - في سورة المائدة:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ (الآية ٤).

ج - في سورة الأعراف في وصف خاتم أنبيائه (ص):

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الآية ١٥٧).

إذاً فإنَّ الربَّ خلقنا وسَخَّرَ لنا ما خلق من حولنا وَرَزَقَنَا في الدنيا من

الطَّيِّبَاتِ نتيجة زرعنا وغرسنا.

وكذلك يرزقنا نتيجة أعمالنا آجلاً في الآخرة، كما قال سبحانه:

أ - في سورة الحج:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ليرزقنهم الله رِزْقاً حَسَناً﴾

(الآية ٥٨).

ب - في سورة مريم:

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾

جَنَّاتٍ عَذْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾ لَا يَسْمَعُونَ

فِيهَا لَغَوْاً إِلَّا سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ (الآيات ٦٠ - ٦٣).

إذاً فإنَّ الربَّ الحكيم يجزي الانسان بعمله عاجلاً في الدنيا وآجلاً في

الآخرة، كما أخبر سبحانه عن ذلك في عدة سور، منها قوله تعالى:

أ - في سورة الزلزلة:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الآيتان

٧ و ٨).

ب - في سورة يس:

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الآية ٥٤).

أجل إن الإنسان الذي يزرع الحنظل في الدنيا يجني الحنظل، والذي يغرّس الأشجار المثمرة يجني أطايب الثمر، كما قال سبحانه في سورة النجم:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (الآيتان ٤٠

و ٤١).

ولا يقتصر تلقّي الإنسان جزاء عمله بالحياة الدنيا، بل يتلقّى جزاءه في

عوالم خمسة وهي:

أ - عند الممات.

ب - في القبر.

ج - في المحشر.

د - في الجنة والنار.

هـ - يورث جزاء عمله لخلفه في الدنيا.

* * *

لقد ذكرنا مثلاً من تلقّي الإنسان جزاء عمله في الدنيا، وفي ما يأتي ندرس

بإذنه تعالى كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله عند الممات.

- ٣ -

كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله عند الممات

إنَّ أوَّلَ مرحلةٍ من مراحل الآخرة هو الموت، وقد قال سبحانه في وصفه: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق / ١٩).

أي جاءت غشية الموت وشدته التي تغلب على عقل الإنسان، ذلك الموت الذي كنت تهرب منه.

وقال تعالى:

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

(السجدة / ١١).

ولا منافاة بين قوله تعالى هذا وقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ (الزمر ٤٢)،

وقوله تعالى: ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (النحل ٢٨ و ٣٢)، و﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام ٦١).

فإنَّ الملائكة هم رسل الله وهم أعوان ملك الموت في قبض الأرواح، وكلهم يقبضون الروح بأمر الله. إذاً فإنَّ الله هو يتوفَّى الأنفس حين يأمر الملائكة بذلك^(٦).

إبتداءً من هذه المرحلة من مراحل الآخرة ينتهي تمكن الإنسان من العمل الذي كان ميسراً له في الحياة الدنيا ويبدأ بتلقّي جزاء عمله، ومما يجزي

(٦) سورة محمد (ص)، آية ٢٧.

في بدء هذه المرحلة ما رواه الصدوق بسنده عن رسول الله (ص) أنه قال: «صوم رجب يهون سكرات الموت»^(٧).

وتنقسم حال الإنسان في هذه المرحلة بحسب عمله إلى صنفين، كما أخبر سبحانه وقال:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ﴾ (الواقعة ٨٨ - ٩٤).

وأخبر تعالى عما يتلقاه الصنف الأول وقال:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٧ - ٣٠).

وأخبر عن الصنف الثاني وهم الذين ظلموا أنفسهم في الحياة الدنيا وقال تبارك وتعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون ٩٩ - ١٠٠).

شرح الكلمات

أ - يتوفى:

وفاه حقه: أعطاه إياه كاملاً، وتوفاه: أخذه كاملاً، وتوفى الله أو ملك الموت الإنسان إذا قبض روحه بإماتته، وتوفاه الله وقت النوم بسلبه تمييزه وبعض

(٧) ثواب الأعمال، باب ثواب صوم رجب الحديث / ٣٣٤.

حواسه فكانت يتوفى روحه.

ب - حميم:

الحميم: الماء الشديد الحرارة.

ج - تصلية:

صلى الشيء: ألقاه في النار، وصلاه النار: أحرقه وأصلاه النار وصلّاه بها وفيها وعليها: شواه بالنار، وتصلية جحيم أي إحراق بالحميم.

د - برزخ:

البرزخ: الحاجز والحدّ بين الشيئين.

* * *

يدرك الإنسان من هذه المرحلة ما فيها نهاية الحياة الدنيا وهو موت جميع أعضاء الإنسان، وليست له وسيلة لفهم ما بعد ذلك إلاّ بما أخبرت به الأنبياء، فإن كان ممن صدّق الأنبياء وآمن بهم في ما أخبروا به عن صفات الله وما جاءوا به من شريعة إلهية، آمن بما أخبروا به عن عالم الآخرة مرحلة بعد أخرى، ولا يمكن قياس ما أخبرت به الأنبياء عن الآخرة بما رآه وعرفه في الحياة الدنيا، فإنّ ما وهبه الله من وسائل المعرفة خاصّة بهذه الحياة، ولا مجال لعملها في ما أخبرت عنه الأنبياء عن الآخرة وكما ذكرناه سابقاً، ومن الأحاديث التي وردت عن آثار الأعمال عند الممات ما ورد عن رسول الله (ص) أنّه قال:

«صوم رجب يهون سكرات الموت»^(٨).

وعن أبي عبد الله الصادق أنّه قال:

«من مات ولم يحجّ حجة الاسلام دونها مانع يمنعه فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»^(٩).

(٨) ثواب الأعمال للصدوق (١٣١ - ١٣٢).

(٩) ثواب الأعمال (٥٣٧).

- ٤ -

كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله في القبر؟

قد حفلت كتب الحديث بما يلقاه الميت في قبره من سؤال الملكين عن عقائده^(١٠) وما يتلقاه من آثار سوء خلقه وحسن خلقه وسائر أعماله، وأن القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النار^(١١). وأنه يعذب من كان يمشي بالنميمة ولا يستتر عن البول^(١٢). ويثاب من حسنت أخلاقه بدءاً من القبر حتى سائر مراحل يوم القيامة^(١٣). ومن أتم ركوعه لم يدخله وحشة في قبره^(١٤).

(١٠) راجع مادة نكر من سفينة البحار.

(١١) راجع مادة قبر من سفينة البحار.

(١٢) ثواب الأعمال: ص ٥١٥، الحديث ١، وصحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ص ٢٤٠ - ٢٤١، سنن الدارمي: كتاب الطهارة، باب الإتيان من البول (١/١٨٨)، وسنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب الإستبراء من البول (١/٣٤ - ٣٥)، وسنن ابن ماجه: كتاب الطهارة، باب التشديد في البول (١/١٢٤ - ١٢٥)، ومسنند أحمد (١/٢٢٥، ٢٢٦/٥، ٤١٧، ٤١٩)، وصحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (١/٦٤)، وكتاب الادب، باب الغيبة (٨/٢٠)، وباب النميمة من الكبائر منه (٨/٢١).

(١٣) ثواب الأعمال (/ ٣٣٤)، باب ثواب ادخال السرور على الأخ المؤمن.

(١٤) سفينة البحار (١/٥٢٤)، مادة ركع.

كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله في المحشر

أ - عند نفخ الصور:

يبدأ يوم المحشر بنفخ الصُور للمحشر للحساب، والصُور في اللغة العربية شيء كالقرن يُنفخ فيه فيكون له صوت، قال سبحانه:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر / ٦٨).

الصعق هنا صوت أثره الموت، وجاء في الحديث ما موجزه: أن النفخ مرتان: الأولى: ينفخ الملك إسرافيل في الصور، فيموت جميع من في السموات والأرض إلا من شاء الله وهم حملة العرش وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل، فيقول الله لملك الموت: من بقي؟ وهو أعلم! فيقول: يارب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل! فيقول عز اسمه: قل لجبرائيل وميكائيل: فليموتا، فيقبض روحيهما فيقول الله لملك الموت: من بقي؟ وهو أعلم! فيقول: يارب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش! فيقول: قل لحملة العرش فليموتوا فيقبض أرواحهم فيقول له: ياملك الموت من بقي؟ فيقول: لم يبق إلا ملك الموت، فيقول: مت ياملك الموت! فيموت ثم ينادي الجليل: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول: لله الواحد الأحد. ثم ينفخ حين يشاء في الصور ثانية كما قال سبحانه: ثم نفخ

فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون^(١٥).

وقال سبحانه عن النفخة الثانية:

أ - ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف / ٩٩).

ب - ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ﴾ (النحل / ٨٧).

ج - ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ قالوا يا ويلنا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُم جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس / ٥١ - ٥٤).

أتوه داخرين: أي أذلاء. والأجداث: القبور. وينسلون: ينفصلون، يجمعهم ويحشرهم جميعاً كما قال سبحانه:

أ - ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف / ٤٧).

ب - ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه / ١٠٢).

ج - ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم / ٨٥).

شرح الكلمات

زُرْقًا:

زُرُق لونه: صار إلى لون بين السواد والبياض فهو أزرق وجمعه: زرق. والمعنى هنا: زرق الأبدان بمكابدة الشدائد أو عمياً أو عطاشاً. وفداً:

وقد وفداً على الملك ونحوه: قدم عليه قاصداً اعطاءه، أو في طلب حاجة

(١٥) تفسير الآية في الدر المنثور (٣٣٦/٥ - ٣٣٧)، والبحار نقلاً عن الكافي وغيره

(٣٢٦/٦ - ٣٢٧) وقد أوردنا موجز الروايات.

فهو وافد، والجمع: وفد ووفود.

ب - مشاهد يوم القيامة:

أخبر الله سبحانه عن مشاهد يوم القيامة وقال تعالى:

أ - في سورة المطففين:

﴿...مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الآيات

٤ - ٦).

ب - في سورة النبأ:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ

صَوَابًا﴾ (الآية ٣٨).

ج - في سورة الجاثية:

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الآية ٢٢).

د - في سورة الإسراء:

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ

مَنْشُورًا* أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الآيتان ١٣ و ١٤).

هـ - في سورة الجاثية:

﴿...كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ* هَذَا كِتَابُنَا

يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ*...وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ

مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ* وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ

يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ* ذَلِكَمُ بَأْسُكُمْ أَتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ

هُزُوءًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (الآيات

٢٨ - ٢٩ و ٣٣ - ٣٥).

و - في سورة الحاقة:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ *... * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالِيتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ﴾ (الآيات ١٩ - ٢٦).

ز - في سورة الإنشقاق:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسيراً *... * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبوراً ﴾ (الآيات ٧ - ١١).

ح - في سورة آل عمران:

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خِيراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (الآية ١٨٠).

ط - في سورة غافر:

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ... ﴾ (الآية ٥١).

ي - في سورة النحل:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ (الآية ٨٩).

ك - في سورة فصلت:

﴿...حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ... ﴾ (الآيتان ٢٠ - ٢١).

شرح الكلمات

أ - طائرُهُ: كناية عن عمله من خير أو شرّ.

ب - ثبوراً:

ثبر فلان: هلك، ودعوة الثبور: ما ينادي به الواقع في شدة ويطلب الموت

ويقول: واثبورا!

ج - سَيُطَوَّقُونَ:

طوّقه: جعل في عنقه طوقاً من ذهب وما شابهه، ويطوقون ما بخلوا به

معناه: تجسيد لبخله في أداء الحقوق في المال على صورة حيّة في رقبته كما في مفردات الراغب.

د - الشهيد والأشهاد:

شهد على كذا: أخبر به خبراً قاطعاً فهو شهيد، والأشهاد جمع الشاهد

مثل الأصحاب جمع الصاحب، وهم الأنبياء ومن معهم حين يشهدون على أممهم وكلّ ما يشهد بما صدر من الإنسان من عمل.

وورد في الآثار عن آثار الأعمال في يوم القيامة:

أ - عن الرسول (ص):

«أطولكم قنوتاً في دار الدنيا أطولكم راحة يوم القيامة في الموقف»^(١٦).

ب - عن الوصيّ أنّه قال:

«إذا سجد أحدكم فليباشر بكفيه الأرض لعلّ يصرف عنه الغلّ يوم

القيامة»^(١٧).

(١٦) ثواب الأعمال ص ٥٥.

(١٧) ثواب الأعمال ص ٥٥ - ٥٦.

ج - عن الرسول (ص):

«من بغى على فقير أو تطاول عليه واستحقره حشره الله يوم القيامة مثل الذرة على صورة رجل يدخل النار»^(١٨).

د - عن أبي عبد الله (ع):

«إنَّ المتكبرين يجعلون في صورة الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب»^(١٩).

الذر: صغار النمل وواحدة: الذرة.

(١٨) ثواب الأعمال، ص ٦٥٥.

(١٩) ثواب الأعمال، ص ٥٠٢، ح: ١٠.

- ٦ -

كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله في الجنة والنار

إنَّ الله يجزي الإنسان في الآخرة حسب عمله بالنعيم، ويجازيه كذلك بالعذاب بتجسيد أعماله التي صدرت منه في الحياة الدنيا، وأخبر الله عن ذلك في قوله تعالى:

أ - في سورة الحج:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ (الآية ٢٣).

ب - في سورة غافر:

﴿...وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الآية ٤٠).

ج - في سورة النساء:

﴿...مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا* وَمَنْ يَعْمَلِ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (الآيتان ١٢٣ - ١٢٤).

د - في سورة الزمر:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ*... وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ...* وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا

رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا... ﴿ (الآيات ٦٠ و ٧٠ - ٧٣).

هـ - في سورة الزخرف:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ* أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (الآيتان ٦٩ - ٧٠).

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* ... إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ* .. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (الآيات ٧٢ و ٧٤ و ٧٦).

و - في سورة التوبة:

﴿... وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ﴾ (الآيتان ٣٤ - ٣٥).

روى الصدوق بسنده عن رسول الله (ص)، أنه قال:

أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى ينادون بالويل والثبور:
رجل عليه تابوت من حجر فإنه مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداء ولا مخلصاً.

ورجل يجرّ أمعاءه، فإنه كان لا يبالي أين أصاب البول جسده.
ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، فإنه كان يحاكي فينظر كل كلمة خبيثة فيفسد بها ويحاكي بها.

ورجل يأكل لحمه، فإنه كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة^(٢٠).

وأخبر الله سبحانه أن لكل من الجنة وجهنم أبواباً وقال سبحانه:

أ - في سورة (ص):

(٢٠) عقاب الأعمال ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

﴿...وإن للمتقين لحسن مآب * جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ (الآيتان

٤٩ و ٥٠).

ب - في سورة الحجر مخاطباً إبليس - لعنه الله :-

﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين *...﴾ لها

سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ (الآيتان ٤٢ - ٤٤).

شرح الكلمات

أ - نقيراً:

النقير: النقطة التي في وسط ظهر نواة التمر ومنها تنبت النخلة، ويضرب

بها المثل في الشيء الذي لا قيمة له.

ب - مَثْوًى:

ثوى ثواءً، الثواء: الإقامة مع الإستقرار، ومثوى: اسم مكان من الثواء.

ج - زُمَراً:

الزمرة: الفوج والجماعة، والجمع: الزُمَر.

د - مآب:

آب إليه أوباً ومآباً: رجع رجوعاً.

هـ - جنات عدن:

عدن بمكان كذا: استقر، وجنات عدن: أي جنات استقرار وثبات.

تفسير الآيات بالروايات

ورد في تفسير الآية ان رسول الله (ص) قال:
«للجنة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض»^(٢١).
وعن الإمام علي (ع) أنه قال:
أتدرون كيف أبواب جهنم؟ قلنا كنعو هذه الأبواب، قال: لا ولكنها
هكذا: ووضع يده فوق يده وبسط يده فوق يده. وفي تفسير القرطبي بعده:
بعضها فوق بعض وروى عن رسول الله: «أهل كل طبقة فيها»^(٢٢).
وعن رسول الله (ص)، أنه قال في تفسير جزء مقسوم:
«لكل باب منهم - من أهل النار - جزء مقسوم يعذب كل جزء على قدر
أعمالهم»^(٢٣).

وفي الختام نذكر بعض الأحاديث التي تشرح الآيات السابقة وتبين آثار
الأعمال جملة وتفصيلاً:

أ - في أصول الكافي بسنده عن الإمام جعفر الصادق (ع)، أنه قال:
«من أدخل على مؤمن سروراً خلق الله عزَّ وجلَّ من ذلك السرور خلقاً
فيلقاه عند موته، فيقول له: أبشِرْ يا وليَّ الله بكرامة من الله ورضوان، ثم لا يزال
معه حتى يُدخله قبره [يلقاه]، فيقول له مثل ذلك، فإذا بُعثَ يلقيه فيقول له مثل
ذلك، ثم لا يزال معه عند كلِّ هول يبشِّره ويقول له مثل ذلك، فيقول له: من
أنت رحمك الله؟ فيقول: أنا السرورُ الذي أدخلته على فلان»^(٢٤).

(٢١) تفسير السيوطي (٤/٩٩/١٠٠).

(٢٢) تفسير الآية في تفسير مجمع البيان والقرطبي والسيوطي.

(٢٣) راجع المصدر رقم ٢١.

(٢٤) أصول الكافي (٢/١٩١ - ١٩٢)، الحديث ١٢.

ب - في البحار نقلاً عن معاني الأخبار للصدوق، بسنده عن أبي عبد الله الصادق، أنه قال:

«من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كَرَبَ الآخرة وخرج من قبره وهو تَلَجَ الفؤاد، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم»^(٢٥).

ج - في أصول الكافي عن الإمام أبي الحسن (ع)، أنه قال:
«إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فِي الْأَرْضِ يَسْعَوْنَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، هُمْ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَدْخَلَ عَلَى مُؤْمِنٍ سُروراً فَرَّحَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢٦).

د - في أصول الكافي بسنده عن أبي عبد الله الصادق (ع)، أنه قال:
«ما قَضَى مُسْلِمٌ لِمُسْلِمٍ حَاجَةً إِلَّا ناداهُ اللَّهُ تبارك وتعالى: عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة»^(٢٧).

هـ - في ثواب الأعمال ماموجزه:

عن الإمام جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص):

«وفي ثواب الأعمال، عن معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: مامن مؤمن يصاب بمصيبة في الدنيا فيسترجع عند مصيبته حين تفجأه المصيبة، إلا غفر الله له ماضى من ذنوبه إلا الكبائر التي أوجب الله عليها النار، قال: وكلما ذكر مصيبة فيما يستقبل من عمره فاسترجع عندها وحمد الله، غفر الله له كلّ ذنب اكتسبه فيما بين الإسترجاع الأول إلى

(٢٥) البحار (٦/٣٥٥).

(٢٦) أصول الكافي (٢/١٩٧)، الحديث ٢.

(٢٧) أصول الكافي (٢/١٩٤)، الحديث ٧.

الاسترجاع الثاني إلا الكبائر من الذنوب»^(٢٨).
استرجع: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي البحار عن الإمام أبي عبدالله (ع)، قال:
«قال رسول الله (ص): قال الله تعالى: ما من عبدٍ أريدُ أن أُدخله الجنةَ إلا
أبتليتهُ في جسده، فإن كان ذلك كفارةً لذنوبه وإلا سلَّطْتُ عليه سلطاناً، فإن
كان ذلك كفارةً لذنوبه وإلا ضيَّقتُ عليه في رزقه، فإن كان ذلك كفارةً لذنوبه
وإلا شددت عليه عند الموتِ حتى يأتيني ولا ذنبَ له حتى أُدخله الجنةَ...»
الحديث^(٢٩).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله (ص) قال:
«ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياها كما تحات ورق
الشجر»^(٣٠).

وفي رواية أخرى:
«ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها»^(٣١).
وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم، قال رسول الله (ص):
«ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط
الشجرة ورقها»^(٣٢).

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد، قال رسول الله (ص):

(٢٨) البحار (٨٢/ ١٢٧ - ١٢٨)، عن ثواب الأعمال ص ١٧٩.
(٢٩) البحار (٦/ ١٧٢)، عن كتاب التمهيد.
(٣٠) صحيح البخاري (٣/ ٢ - ٣)، كتاب المرضى باب شدة المرض.
(٣١) صحيح البخاري: كتاب المرضى باب ما جاء في كفارة المرض.
(٣٢) صحيح البخاري (٣/ ٣)، كتاب المرضى، باب شدة المرض، صحيح مسلم، كتاب
البرِّ والصلة والأدب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه.

«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٣٣)!

(٣٣) صحيح البخاري (٢/٣)، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ومسند أحمد

- ٧ -

جزاء الصبر

كما إن الله جعل لكل عمل يصدر من الإنسان جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة، كذلك جعل الله لصبر الإنسان على المكاره والمصائب جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة، وقد أخبر الرسول (ص) أن الصبر يكون على ثلاثة أنواع، كما روى ذلك عنه وصيه الإمام علي، وقال:

قال رسول الله (ص): «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية»^(٣٤).

وقد أخبر الله في سورة الأعراف أنه جزى بني إسرائيل بما صبروا في الحياة الدنيا، وقال تعالى:

﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرُشُونَ﴾ (الآية ١٣٧).

وأخبر عن جزاء الأنواع الثلاثة من الصبر في سورة البقرة، وقال:

أ - ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

(٣٤) البحار (١٣٩/٨٢) نقلاً عن سكن الفؤاد، وراجع ص ١٣٦ منه.

رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٥﴾ (الآيات ١٥٥ - ١٥٧).

ب - ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (الآية ١٧٧).

في هاتين الآيتين من سورة البقرة: إن المتقين هم الذين يعملون الصالحات ويتصفون بالأنواع الثلاثة من الصبر.

ومن أنواع الصبر على الطاعة والمصيبة صبر المؤمنين على الأذى والسخرية لإيمانهم بالله، كما أخبر الله تعالى عنه وقال:

أ - في سورة المؤمنون:

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبُّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٠٩ - ١١١﴾ (الآيات ١٠٩ - ١١١).

ب - في سورة القصص:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٢ - ٥٥﴾ (الآيات ٥٢ - ٥٥).

وفي سورة الرعد بشرّ الذين صبروا وأقاموا الصلاة وقال سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿جَنَّاتٌ عِنْدِي يَدْخُلُونَهَا
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ
بَابٍ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الآيات ٢٢ - ٢٤).

شرح الكلمات

أ - يعرشون:

المعنى هنا ما يدعمون به ملكهم.

ب - البأس والبأساء: الشدة والمكروه والحرب، والمقصود من البأساء هنا
الشدة والمكروه، ومن البأس ساعة الحرب.

ج - يدرأون:

دراً: دفع، ودرأ عنه الشر: دفعه.

أجر الصابرين وجزاؤهم في الروايات:

في البحار بسنده عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله (ص): إذا
نُشِرَت الدَّوَابُّ، وَنُصِبَت الموازين، لَمْ يُنْصَبْ لِأَهْلِ الْبَلَاءِ مِيزَانٌ، وَلَمْ يُنْشَرْ لَهُمْ
دِيْوَانٌ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣٥).

وفي البحار بسنده عن الإمام زين العابدين (ع)، قال:

«إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَنَادِي مُنَادٍ أَيْنَ الصَّابِرُونَ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
جَمِيعاً بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالَ: فَيَقُومُ عَنقٌ مِنَ النَّاسِ فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: إِلَى
أَيْنَ يَا بَنِي آدَمَ؟ فَيَقُولُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: وَقَبْلَ الْحِسَابِ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالُوا:
وَمَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: الصَّابِرُونَ، قَالُوا: وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟ قَالُوا: صَبَرْنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ،

(٣٥) في البحار (٨٢/١٤٥).

وصبرنا عن معصية الله، حتى توفانا الله عز وجل، قالوا: أنتم كما قلتم، ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين»^(٣٦).

وفي ثواب الأعمال بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر (ع)، أنه قال: «من لقي الله مكفوفاً محتسباً موالياً لآل محمد (ص) لقي الله ولا حساب عليه»^(٣٧).

مكفوفاً: كف بصره وكف: ذهب فهو مكفوف.



كان ذلكم أمثلة مما يتلقاه الإنسان جزاءً لعمله أو لصبره على المكاره. وفي ما يأتي ندرس بحوله تعالى توارث جزاء الأعمال.

(٣٦) في البحار (١٣٨/٨٢).

(٣٧) ثواب الأعمال ص ٩٢ وص ٤٦٤، واللفظ في الصفحة السابقة.

- ٨ -

توارث جزاء العمل

أخبر الله سبحانه عن توريث الانسان جزاء عمله لعقبه، وقال سبحانه:
أ - في سورة النساء:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿ (الآيتان ٩ و ١٠).

ب - في سورة الكهف:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتُخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا...﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ... ﴿ (الآيتان ٧٧ - ٨٢).

شرح الكلمات

أ - سديداً:

سَدَّ سَدَاداً، السَّدَاد: الصواب من القول، وقولاً سديداً أي صواباً موافقاً

للعدل والشرع.

ب - سعيراً:

سَعَرَ النار والحرب: أوقدهما وهيجهما، ونار سعير: موقدة مهيجة، والمراد بالسعير جهنم.

ج - ينقض:

نقض البناء: هدمه، ويريد أن ينقض: يريد أن ينهدم.

د - أشدهما:

شد: قوي، ويبلغا أشدهما أي يبلغا قوتها.

أعمال يبقى أثرها بعد حياة المتوفى:

من الأعمال ما يبقى أثرها للإنسان المتوفى ويلحقه ضررها أو نفعها بعد حياته، كما جاء في الخصال عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع)، أنه قال:

«ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة، صدقة موقوفة لا تورث، أو سنة هدى سنّها وكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره، أو ولد صالح يستغفر له». وشرحه في حديث آخر، وقال (ع):

«ست خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولد صالح يستغفر له ومصحف يقرأ فيه، وقلب يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنة حسنة يؤخذ بها بعده»^(٣٨).

* * *

ذكرنا آثار العمل في الدنيا والآخرة وتوارث آثار العمل، ومن آثار العمل منح رب العالمين لعبده حق الشفاعة كما سندرسه في البحث الآتي بحوله تعالى.

(٣٨) الخصال للصدوق (١/٧٣ و ١٥٧)، كما نقله المجلسي في البحار (٦/٢٩٣) عنه.

(١١)

استحقاق الشفاعة جزاءً لبعض الأعمال

شَفَعَ الشَّيْءَ شَفْعاً: ضَمَّ مثله إليه، وشَفَعَ له عند آخر شَفَاعَةٍ: طلب التجاوز عن سَيِّئَتِهِ كأنَّه ضَمَّ نفسه إليه معيناً له فهو شافع وشفيع، والشفاعة أيضاً كلام الشفيع في هذا المقام، وقد قال الله سبحانه:

أ - في سورة طه:

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ... *... * يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (الآيتان ١٠٢ و ١٠٩).

ب - في سورة مريم:

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (الآية ٨٧).

ج - في سورة الإسراء:

﴿...عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الآية ٧٩).

د - في سورة الأنبياء:

﴿...وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى...﴾ (الآية ٢٨).

هـ - في سورة الأعراف:

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هَوًى وَلَعِباً وَغَرَّتُهُمُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا... *... * يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا...﴾ (الآيات ٥١ و ٥٣).

تفسير الآيات

يوم ينفخ في الصور لاتنفع شفاعة أحد إلا من أذن الله له في أن يشفع
ورضى قوله من عباده الصالحين، وإنه لا يملك الشفاعة إلا من آتخذ عند
الرحمن عهداً من الأنبياء والأوصياء ومن دونهم من عباد الله الصالحين، وإن
الشفاعة هي المقام المحمود الذي وعد الله خاتم أنبيائه (ص).
وإن الأنبياء لا يشفعون إلا لمن أرتضى الله أن يشفعوا له، وفي ذلك اليوم
يقول الذين غرّتهم الحياة الدنيا: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ وليس لهم
من شفيع.

الشفاعة في الروايات:

في البحار نقلاً عن عيون الأخبار للصدوق: أن الإمام الرضا (ع) روى
عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (ع)، أنه قال: «قال رسول الله (ص): من
لم يؤمن بحوضي - الحوض: الكوثر - فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن
بشفاعتي فلا أنا له الله شفاعتي...» الحديث.
وفي آخره سأل الراوي الإمام الرضا (ع) وقال: يا ابن رسول الله (ص)
فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾؟ قال: «لا يشفعون
إلا لمن أرتضى الله دينه»^(١).
إن رسول الله قال (ص):

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته
الطعام والشهوات بالنهار فشفعني»^(٢) فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل

(١) البحار (٣٤/٨).

(٢) مسند أحمد ١٧٤/٢، وما جاء في النص فيشفعني خطأ.

فشفّعني فيه، قال: فيشفعان» .

وروى عن الإمام علي (ع) - أيضاً -، أنه قال:

«قال رسول الله (ص): ثلاثة يشفعون الى الله عز وجل فيشفعون: الأنبياء

ثم العلماء ثم الشهداء»^(٣).

وفي سنن ابن ماجة، قال رسول الله (ص):

«يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»^(٤).

وروي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) حديث عن شفاعة رسول

الله (ص) يوم القيامة، جاء في آخره:

«...أن رسول الله يومئذ يخرُّ ساجداً فيمكث ما شاء الله، فيقول الله عزَّ

وجلّ: إرفع رأسك وأشفع تُشفّع، وسلّ تُعط. وذلك قوله تعالى:

﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾»^(٥).

وجاء تفصيل الخبر في تفسير ابن كثير وتفسير الطبري وغيرهما بلفظ

آخر^(٦).

وروى الترمذي، عن الإمام الصادق (ع) أن رسول الله (ص) قال:

«شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»^(٧).

(٣) البحار (٣٤/٨).

(٤) سنن ابن ماجة في باب ذكر الشفاعة، الحديث (٤٣١٣).

(٥) البحار (٣٦/٨).

(٦) راجع تفسير الآية في تفسير الطبري (٩٧/١٥ - ٩٩)، وتفسير القرطبي

(١٠/٢٠٩ - ٣١٢)، وأبن كثير (٣/٥٥ - ٥٨)، والبخاري: كتاب التفسير، تفسير سورة

الإسراء، باب قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾، (٣/١٠٢).

وفي سنن ابن ماجة: الحديث (٤٣١٢)، وسنن الترمذي (٩/٢٦٧)، كتاب صفة القيامة،

باب (في الشفاعة).

(٧) كتاب صفة يوم القيامة.

نتيجة البحث

يفهم من مجموع الآيات والأحاديث في شأن الشفاعة أن الشفاعة يوم القيامة ليست لمن شاء كما شاء، بل تجري وفق مشيئة الله الحكيم جزاء لأعمال جعلها الله أسباباً للشفاعة، مثل أن يُقَصِّرَ العبدُ المسلم في فريضة من فرائض الله، وفي مقابل ذلك كان في حياته قد والى الرسول (ص) وأهل بيته وأخلص لهم الودّ في قلبه لأنهم أولياء الله، أو كان قد أكرم عالماً لعلمه بالاسلام، أو أحسن الى مؤمن صالحٍ إستشهد بعد ذلك، فيجازيه بعمل قلبه في الحالة الاولى، وبعمل جوارحه في الحالة الثانية، ما يكافأ به نقص عمله في أداء تلك الفريضة. ومن آثار الأعمال السيئة حبط أجر الأعمال الحسنة كما سندرسها في البحث الآتي بحوله تعالى.

(١٢)

حبط الأعمال جزاءً لبعض الأعمال

حَبَطَ العمل أو الصنع يَحْبَطُ: بطل ولم يحقق ثمرته، ويحبط عمل الإنسان في الآخرة للأسباب الآتية:

أ - أن يصدر العمل من الانسان بقصد النفع الدنيوي فهو عندئذ يأخذ جزاء عمله في الدنيا كما أراد.
ومن هذا الصنف من لا يؤمن بالله والحياة الآخرة كما أخبر الله عنهم وقال سبحانه:

أ - في سورة الأعراف:
﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الآية ١٤٧).

ب - في سورة التوبة:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (الآيتان ١٧ و ١٨).

ج - في سورة البقرة:

﴿...وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الآية ٢١٧).

د - في سورة محمد (ص):

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِبُّ أَعْمَالَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿ (الآيتان ٣٢ و ٣٣).

ولا يقتصر حبط الاعمال على الكافرين بل يشمل المسلمين - أيضاً -

للأسباب التي ذكرها الله وقال سبحانه:

أ - في سورة الحجرات:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الآية ٢).

ب - في سورة البقرة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ
النَّاسِ... ﴾ (الآية ٢٦٤).

وجاء في الأحاديث ذكر كثير من أسباب حبط الأعمال، مثل ما رواه

الصدوق في ثواب الأعمال عن رسول الله (ص)، أنه قال:

« مَنْ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ) غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَ:
(الْحَمْدُ لِلَّهِ) غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) غَرَسَ
اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ) غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي
الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَجَرَنَا فِي الْجَنَّةِ لَكَثِيرٌ، قَالَ: نَعَمْ،
وَلَكِنْ إِيَّاكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا عَلَيْهَا نيراناً فَتَحْرِقُوهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ «^(١).

وروى مسلم وغيره واللفظ لمسلم عن رسول الله (ص)، أنه قال:

أ - «إِنَّ فِرْطَكُم عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَ،

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) ط. طهران، ترجمة غفاري ص ٣٢، والآية ٣٣

من سورة (محمد).

وليردَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني ثمَّ يحال بيني وبينهم». وفي رواية فيقول - الرسول - : «إنَّهم منِّي، فيقال: إنَّك لاتدري ما عملوا بعدك».

وفي رواية أخرى أنَّه قال: «ليردَنَّ عليَّ الحوض رجالٌ ممَّن صاحبنِي حتَّى إذا رأيتهم اختلجوا دوني، فلاقولنَّ أي ربِّ أصحابي أصحابي، فيقالنَّ لي: إنَّك لاتدري ما أحدثوا بعدك»^(٢). وفي حديث رسول الله (ص): «إنَّ المرأني يُدعى به يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر! يا فاجر! يا غادر! يا خاسر! حَبطَ عملك، وبطلَ أجرك ولا خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك ممَّن كنت تعمل له»^(٣).

الخلاق: الحظ والنصيب من الخير.



خلاصة البحث:

ذكرنا إلى هنا أمثلة ممَّا يجزي ربَّ العالمين صنف الإنسان من الخلق بآثار عمله. وفي ما يأتي نذكر بحوله تعالى مشاركة الجنِّ للإنس في ما يتلقاه من ربِّ العالمين في جزاء عمله.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٦ و٢٧ و٢٨ و٣٢ و٤٠.

(٣) البحار (٧٢ / ٢٩٥) عن أمالي الصدوق ٣٤٦.

(١٣)

مشاركة الجنّ للإنس في جزاء الأعمال يوم القيامة

الجنّ

قد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عما جرى الشيطان بتمرّده على أمره وعدم سجوده لآدم في الدنيا، وأخبرنا عن مآل أمرهم يوم القيامة:

أ - في سورة الأنعام بقوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً يَمَعَشَرَ الْجِنُّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ...﴾
﴿يَمَعَشَرَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الآيات ١٢٨ - ١٣٠).

ب - في سورة الجنّ في حكاية وصف الجنّ لقومهم، بقوله تعالى:

﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشْداً* وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ (الآيتان ١٤ و ١٥).

ج - في سورة الأعراف بقوله تعالى:

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبُّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ* وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (الآيتان ٣٨ و ٣٩).

د - في سورة هود:

﴿...وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (الآية

كان ذلكم ماجاء في القرآن الكريم من أمر مجازاة الله للجنّ بأعمالهم في الدنيا والآخرة، ولم يأت تفصيل شأنهم يوم القيامة كما جاء شأن الإنس يوم الجزاء.

خلاصة البحث:

كما أن الإنسان يحصد ما عمله في زرع القمح والشعير وسائر الحبوب والخضروات بعد شهور، ويجني ثمر عمله في غرس أنواع الأشجار بعد سنوات ثم يتناول رزقه من نتائج أعماله تلك مع ذلك بقوله تعالى:

أ - ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...﴾ (المائدة ٨٨، والنحل ١١٤).

ب - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ...﴾

(البقرة ٧٢).

ج - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾

(الإسراء ٣١).

وذلك لأن مثل الإنسان في ذلك كله مثل إنسان يدخل مطعم (سلف سروس) إخدم نفسك بنفسك، فإن المضيف في مثل هذا المطعم يطعم ضيفه ويرزقه من أنواع الطعام ما يختاره الضيف لنفسه بكامل حرّيته وإن الضيف لا يأكل شيئاً ما لم يتخذ لنفسه ممّا أعدّه المضيف من الأواني والملاعق ولم يتقدّم بنفسه إلى الموائد ولم يأخذ منها ما يشتهي وتقع التبعة عليه إذا أضّر نفسه بالإسراف في الأكل أو أكل ما يضرّه، وكذلك شأن الإنسان في ما يجتنيه من آثار عمله المعنوية، فإنه يستوفي آثار عمله عاجلاً في الحياة الدنيا دون الآخرة؛ مثل آثار صلة الرّحم للإنسان الكافر، أو آجلاً بعد الموت؛ مثل آثار الإستشهاد للمؤمن، أو يستوفيها عاجلاً وآجلاً معاً؛ مثل آثار عمل صلة الرّحم التي يستوفي الإنسان المؤمن آثارها في الدنيا والآخرة.

وبناء على ما ذكرنا يستوفي الإنسان قيمة عمله الحسن المعنوي كما يستوفي قيمة عمله الحسن المادّي عاجلاً أو آجلاً أو عاجلاً وآجلاً معاً، وكذلك الشأن في أخذ الإنسان قيمة عمله السيئ.

وإن استحقاق بعض الاناسي للشفاعة يوم القيامة، وإذن الربّ لآخرين بالشفاعة - أيضاً - تحصّلات لكلّ منهما نتيجة لعمل قام به كل منهما في الدنيا. وكذلك حبط بعض أعمال الاناسي يوم القيامة تكون نتيجة لبعض أعمالهم في الدنيا وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾. وقد أخبر القرآن أنّ صنف الجن - أيضاً - كالإنس يستوفون جزاء عملهم في الحياة الآخرة.

وإنّ كلّ ما ذكرناه يجري وفق تقدير حكيم ربّ العالمين، وهي جميعاً بعض صفات ربّ العالمين، وسندرس بحوله تعالى صفات أخرى لربّ العالمين.

(١٤)

من صفات ربّ العالمين وأسمائه

أولاً - ذو العرش وربّ العرش.

ثانياً - الرَّحْمَنُ.

ثالثاً - الرَّحِيمُ.

رابعاً - الإِسْمُ.

صِفَاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَسْمَاؤُهُ

في القرآن الكريم صفات خاصة بالله منها ما تظهر آثارها في الدنيا، ومنها ما تظهر آثارها في الآخرة، ومنها ما تظهر آثارها فيهما معاً، وندرس منها في ما يأتي: رَبُّ الْعَرْشِ = ذو العرش والرحمن والرحيم بإذنه تعالى ونقول:

أولاً - ذو العرشِ وَرَبُّ الْعَرْشِ:

مما جاء فيه ذكر عرش الله في القرآن الكريم المواضع التالية:

أ - في سورة هود:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ (الآية ٧).

ب - في سورة يونس:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ...﴾ (الآية ٣).

ج - في سورة الفرقان:

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِ بِهِ خَيْرًا﴾^(١) (الآية ٥٩).

(١) ورد نظيرها في سورة الأعراف (٥٤) والحديد (٤) والسجدة (٥).

د - في سورة غافر:

﴿...الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا
وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الآية ٧).

هـ - في سورة الزمر:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الآية ٧٥).

و - في سورة الحاقة:

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الآية ١٧)

ثانياً - الرَّحْمَنُ:

قال سبحانه:

أ - في سورة طه:

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ (الآية ٩٠).

ب - في سورة الأنبياء:

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ﴾ (الآية ١١٢).

ج - في سورة النبأ:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ (الآية ٣٧).

ثالثاً - الرَّحِيمُ:

أ - قال سبحانه في سورة (يس):

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (الآية ٥٨).

ب - في سورة الشعراء:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الآيات ٩ و ٦٨ و ١٠٤ و ١٢٢ و ١٤٠ و ١٥٩

و ١٧٥ و ١٩١).

ج - وجاء الإِسْمَانُ كلاهما جميعاً في سورة الفاتحة في قوله تعالى:

﴿... رَبُّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الآيتان ٢ و ٣).

شرح الكلمات

أ - العَرْشُ:

العرش، في اللغة شيء مُسَقَّف، وجمعه عروش، وسمي مجلس السلطان: عَرْشاً، اعتباراً بعلوه، وكُنِّيَ به عن العِزِّ، والسُّلْطَانِ، والمملكة، في لسان العرب: ثَلَّ اللَّهُ عَرْشَهُمْ أَنِي هَدَمَ مُلْكَهُمْ^(٢).

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلَّتْ عروشهم وأودتْ كما أودتْ إِيَادُ وَحِمِيرٍ
أراد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا^(٣).

ب - استوى:

جاء في مادة (سوى) بكل من:

أ) كتاب (التحقيق في كلمات القرآن)^(٤):

الإِسْتَوَاءُ يختلف باختلاف المواضع، ففي كل موضع بحسبه وعلى ما

يقتضيه.

(٢) مادة (العرش) من مفردات الراغب، والمعجم الوسيط ومادة ثَلَّ من لسان العرب.

(٣) البحار (٧/٥٨).

(٤) كتاب التحقيق في كلمات القرآن: تأليف الأستاذ حسن المصطفوي، ط. طهران

(ب) مفردات الراغب:

استوى فلان على عمالته، واستوى أمر فلان، ومتى عُدِّيَ بعلى اقتضى
معنى الاستيلاء كقوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه/٥).

(ج) المعجم الوسيط:

يقال استوى على سرير الملك، أو على العرش: تولى الملك.

كما قال الأخطل في مدح بشر بن مروان الأموي:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق^(٥)

(٥) بشر بن مروان، أخو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وواليه على العراق سنة: ٧٤ هجرية، توفي في البصرة.

راجع ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر.
وذكر شعره:

القاضي عبد الجبار في كتاب: تنزيه القرآن، ط. القاهرة ١٣٢٩هـ، ص: ١٥٧ و ١٥٩.

وعبد الرحمن الأبيحي (ت: ٧٥٦هـ) في كتابه: المواقف، ط. القاهرة ١٣٥٧هـ، ص: ٢٩٧، وفيه ورد: عمرو بدل بشر.

ثانياً وثالثاً - الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

جاء في معاجم اللغة: رَحِمَهُ رَحْماً وَرُحْماً وَرَحِمَةً وَمَرَحَمَةً: رَقَّ له قلبه.
قال الراغب ما موجهه:

الرَّحْمَةُ: رَقَّةٌ تَقْتَضِي الإِحْسَانَ إِلَى المَرْحُومِ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي الرَقَّةِ الْمَجْرُودَةِ وَتَارَةً فِي الإِحْسَانِ الْمَجْرُودِ عَنِ الرَقَّةِ نَحْوَ رَحِمَ اللَّهُ فُلَاناً. وَإِذَا وَصَفَ بِهِ الْبَارِي فَلَيْسَ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الإِحْسَانُ الْمَجْرُودُ دُونَ الرَقَّةِ، وَعَلَى هَذَا رُوي أَنَّ الرَّحْمَةَ مِنْ اللَّهِ إِنْعَامٌ وَإِفْضَالٌ وَمِنْ الْآدَمِيِّينَ رَقَّةٌ وَتَعَطُّفٌ... وَالرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ مِثْلُ نَدْمَانٍ وَنَدِيمٍ.

ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى من حيث إنَّ معناه لا يَصِحُّ إلاَّ له، إذ هو الذي وسع كلَّ شيءٍ رحمةً.

والرحيم يستعمل فيه وفي غيره، وهو الذي كثرت رَحِمَتُهُ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقال في صفة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الآية ١٢٨).

وقيل إنَّ الله تعالى هو رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَرَحِيمُ الآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ إِحْسَانَهُ فِي الدُّنْيَا يَعْمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَفِي الآخِرَةِ يَخْتَصُّ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى هَذَا قَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ (الآية ١٥٦).

تنبيهاً أنها في الدنيا للمؤمنين والكافرين وفي الآخرة مختصة بالمؤمنين.

وفي تاج العروس ما موجه:

الرَّحْمَنُ اسم خاصٌّ بالله لا يسمَّى به غيره، لأنَّ رَحْمَتَهُ تشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرِّزْق والنَّفْع، والرَّحِيمُ اسم عام لجميع من اتَّصف بالرحمة. قال: (وهذا معنى قول جعفر الصادق (ع): الرَّحْمَنُ اسمٌ خاصٌّ لصفةٍ عامَّةٍ، والرَّحِيمُ اسمٌ عامٌّ لصفةٍ خاصَّةٍ) وَيُؤَيِّدُ ما ذَكَرَ وامجىء الرَّحِيمُ في القرآن الكريم قَرِيناً بِالْغَفُورِ وبِالْبَرِّ والرُّؤُوفِ والودود والتَّوَّابِ في سبعةٍ وأربعين مورداً^(٦).

وجاء الرَّحْمَنُ في سورة الرَّحْمَنِ اسماً وصفة لمن أنعم على الإنسان بعد خلقه وتعليمه البيان بنعمة الهداية بالقرآن، وخلق الأرض لمنفعته مع ما فيها من فاكهة ونخل وحبٍّ وريحان ثم قال مخاطباً الثقلين: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وبعد الإشارة إلى بعض آلائه في الدنيا ذكر بعض آلائه في الآخرة بقوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ إلى آخر السورة حيث ختم السورة بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

تفسير الآيات

بعد أن عرفنا أنَّ (العرش) كُنِيَ به في لغة العرب عن السلطان والمملكة وأنَّ (استوى) متى عُذِّيَ بعلى اقتضى معنى الاستيلاء، وأنه يقال: استوى على سرير الملك أو على العرش تولَّى الملك، وراجعنا الموارد السبعة التي جاء فيها ذكر الاستواء على العرش عُذِّيَ جميعها بعلى وأنه جاء في سورة يونس الآية (٣): ﴿استوى على العرش يدبّر الأمر﴾، وفي سورة السجدة الآية ٤ و ٥ ﴿ثُمَّ استوى على العرش... * يدبّر الأمر﴾، وفي سورة الرعد الآية (٢) ﴿ثُمَّ استوى

(٦) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (رحم).

عَلَى الْعَرْشِ ... يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴿﴾ حيث جاء التصريح فيها بأنه استوى على العرش يدبّر الأمر في ملكه، وفي سورة الأعراف الآية (٥٤) ذكر فعل التدبير في قوله تعالى: ﴿اَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾، وفي سورة الحديد الآية (٤) كنّى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿اَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ...﴾ فهو عالم بكل ما يجري في ملكه.

ومن هنا نعرف أن معنى قوله تعالى في سورة الفرقان الآية (٥٩) ﴿ثُمَّ اَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ أنه يعامل مَنْ في ملكه بما تقتضيه رحمته، وأكد ذلك في قوله تعالى في سورة طه الآية (٥): ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اَسْتَوَى﴾.

وبناءً على ذلك يكون معنى قوله تعالى في سورة هود الآية (٧) ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ أنه لم يكن في ملكه قبل خلق السموات والأرض غير الماء الذي هو أعلم بحقيقته.

ويكون المقصود من قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ في سورة غافر الآية (٧) الملائكة الذين جعل منهم رسلاً^(٧) وجعل منهم من يمدّ بهم الأنبياء، ومن ينزلون بالعذاب على من استحقوا العذاب من الأمم^(٨)، مثل قوم لوط، ومنهم من يتوفّون الأنفس، الى غير ذلك من أعمال تقتضيها ربوبية الله تعالى في عالمنا هذا.

ويكون المقصود من قوله تعالى في سورة الحاقة الآية (١٧): ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ أن الملائكة الذين يُنفَّذُونَ أوامر الربوبية يوم القيامة ثمانية أصناف.

(٧) راجع سورة الحج الآية (٧٥) وسورة فاطر الآية (١).

(٨) راجع سورة الأنفال (٩) وينزل معهم العذاب على الكافرين.

رابعاً - الإسم:

جاء الإسم في هذا الباب بمعنى صفات الشيء وخواصه المبيّنة لحقيقته.
وبناءً على ذلك فإن قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أي علّمه خواصّ الأشياء كلّها والعلوم كلّها ما عدا علم الغيب الذي لا يشارك الله فيه أحدٌ إلّا مَنْ خَصَّهُ الله بتعليمه ما شاء من أنباء الغيب.

ومعنى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ (النحل ١٤) أنه سخر البحر لنا لنتنفع منه وهو من مواضع تعليم آدم (ع)، كما أنّ معنى ما ذكره الله قبل هذه وقال:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جِبَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّوُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً...﴾ (الآيات ٥ - ٨).

أنّه سخرها لنا وعلمنا كيف ننتفع منها للأكل والدفع والركوب وحمل الأثقال.

وقال في سورة الزخرف:

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لَتَسْتَخْرِجُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (الآيتان ١٢-١٣).

فكما أنّه هو الذي علمنا أن ننتفع ممّا ذكره في هذه الآيات وسخره لنا بمقتضى ربوبيته، كذلك فأنّه هو الذي أوحى إلى النحل - أي ألهما - أن تتخذ من الجبال بيوتاً وتجرس من الزهر النور وتعمل العسل، وهو الذي سخر البحر للأسماك وعلمها غريزياً كيف تنتفع منه، وهكذا سخر برحمته الواسعة لكلّ

واحد من خلقه ما يحتاج من سائر ما خلق، وعلمه خواص الأشياء التي يحتاجها، وبعبارة أخرى علم النحل أسماء ما يحتاجه لإدامة حياته، وعلم الحيتان أسماء ما تحتاجه لإدامة حياتها وسخره لها.

أما الإنسان الذي قال الله تعالى عنه عندما أتم خلقه: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فقد علمه الأسماء كلها وقال تعالى في سورة الجاثية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (الآية ١٣). وقال في سورة لقمان:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الآية ٢٠).

وبناءً على ذلك فإنَّ الربَّ الرحمن قد هدى كل صنف من خلقه إلى الانتفاع بما يحتاجه من سائر الخلق، وجعل الخلق الذي يحتاجه هذا الصنف سخرياً له وذلك بتعليمه تكوينياً بما وهبه من عقل خواص جميع الأشياء إذا سعى وجاهد في تعلُّمها، وسخر له جميع المخلوقات ليتخذها سخرياً له، فإذا سعى جاهداً لتعلم خواص الذرة، تعلم خواصها، ولما كانت مما سُخر للإنسان فقد استطاع أن يفلقها ويستعملها في تحقيق أهدافه. كما علمه خواص النار والكهرباء وغيرها من العلوم الفيزيائية والكيميائية، وسخرها له ليصنع من أصناف الفلزات سفينة فضائية يمتطيها من جانب من الأرض إلى جانب آخر.

ولما كان هذا الإنسان بحاجة إلى من يهديه كيف ينتفع بما سُخر له من الخلق ولا يستعمل ما علمه وما سخره له في ما يضرُّ به نفسه ويهلك به الحرث والنسل فقد أرسل الربُّ الرحمن الأنبياء كي يهدوه كيف يعمل في ما علمه وسخره له.

وبناءً على ذلك فإنَّ من آثار رحمة الربِّ الرَّحْمَن إرسال الأنبياء وإنزال الكتب وتعليم الناس، وجاء بيان ذلك في سورة الرحمن مع تفسير لفظ الرحمن

وجملة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ حيث قال سبحانه وتعالى في سورة الرحمن:

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.

إذا فإن من آثار رحمة الرحمن للإنسان تعليمه القرآن خاصة والبيان عامة.

﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾ (مريم ٩٣).

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا - رَبُّ الرَّحْمَنُ - وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾.

﴿... وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾. للإنسان.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ

آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلى قوله في آخر السورة ﴿تَبَارَكَ أَسمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ﴾.

وإنَّ الربَّ هو الذي:

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (سبا ٣٦ و ٣٩).

وكلَّ ما ذكر من آثار رحمة الرب في الدنيا تعمُّ الناس أجمعين مؤمنين

وكافرين. وبناءً على ما ذكرناه فالرحمن من صفات الربِّ في الدنيا، وهي تعمُّ

المخلائق أجمعين، ثمَّ الناس مؤمنين وكافرين.

ولمَّا كان الربُّ يهدي الناس بوسيلة الوحي الى الرسل فإنَّ القرآن يسند

الوحي إلى الربِّ ويقول:

﴿... ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ (الإسراء ٣٩).

﴿إِتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (الأنعام ١٠٦).

وكذلك يسند إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى الرب، كما أخبر عن

هود (ع) أنه قال لقومه:

﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي...﴾ (الأعراف ٦٧ - ٦٨).

وعن نوح أنه قال لقومه:

﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي...﴾ (الأعراف ٦٠ - ٦١).

وعن موسى (ع) أنه قال لفرعون:

﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف ١٠٤).

وفي إنزال الكتب يقول:

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ (الكهف ٢٧).

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (السجدة ٢).

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * ...تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة ٧٧ و ٨٠).

ويسند الأمر إلى الرب، قال تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ، وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف ٢٩).

ومن ثم تكون الطاعة لأوامر الرب.

كما أخبر الله تعالى عن خاتم الأنبياء والمؤمنين وقال:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ... قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا...﴾ (البقرة ٢٨٥).

ولما كانت الرسل هي التي تبليغ أوامر الرب فقد أمر الله سبحانه وتعالى

بطاعتهم وقال:

﴿أَطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد ٣٣).

وكذلك تكون المعصية معصية لأوامر الرب كما قال سبحانه:

﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف ٥٠).

وقال عز من قائل:

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ (الأعراف ٧٧).

وأحيانا يسقط لفظ الأمر كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه ١٢١).

ولما كانت الرسل تبلغ أوامر الرب فإن معصيتهم تعتبر معصية للرب كما

أخبر الله عن فرعون وقومه ومن كان قبلهم، وقال:

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ (الحاقة ١٠١).

وبعد المعصية قد يتوب العبد ويستغفر ربه فيتوب عليه كما أخبر عن ذلك

سبحانه وقال:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ (آل عمران ١٦)

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ (آل عمران ١٦٧).

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكُفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ (آل عمران ١٩٣).

وقال في سورة القصص يحكي عن موسى أنه قال:

﴿... رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ (الآية ١٦).

ومن ثم فإن من صفات الرب: الغفور والغفار كما قال سبحانه وتعالى في

سورة الأعراف:

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ (الآية ١٥٣).

وحكى في سورة نوح (ع) أنه قال لقومه:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ (الآية ١٠).

وقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (الآية ٣٧).

أما من لم يستدرك المعصية بالتوبة فإن الرب سيجازيه على عمله كما قال

سبحانه وتعالى في سورة البينة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... فِي نَارِ جَهَنَّمَ... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...
جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ... ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (الآيات ٦ - ٨).

وجزاء الربّ للأعمال قد يكون في الدنيا، وقد يكون في الآخرة، وقد يكون في كليهما، ويسند القرآن جميعها إلى الرب، كما قال الله سبحانه وتعالى في سورة سبأ:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ لَئِنْ أُجَازِي إِلَّا الْكَفُورُ﴾ (الآيات ١٥ - ١٧).

وأما الجزاء فيكون بعد الحشر والحساب يوم القيامة، ويسند القرآن الحشر والحساب إلى الربّ ويقول في سورة الحجر:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ (الآية ٢٥).

وقال سبحانه في سورة الأنعام:

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الآية ٣٨).

وقال سبحانه وتعالى في سورة الشعراء:

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ (الآية ١١٣).

وبعد الحساب إمّا ان يكون من المؤمنين الذين تتداركهم رحمة الله، كما قال

سبحانه وتعالى في سورة مريم:

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (الآية ٨٥).

وتختص رحمة الربّ يومئذٍ بالمؤمنين ولذلك يسمّى: (الرحيم) ويأتي

(الرحيم) في الذكر بعد (الرحمن) كما قال سبحانه:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة ٢ - ٣).

لأنَّ فعل الرَّحْمَنِ يَعْمُ مَنْ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ وَفَعَلَ الرَّحِيمُ يَخْصُ الْمُؤْمِنِينَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَقَدْ
أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ أَمْرِهِ فِي سُورَةِ النَّبَأِ فَقَالَ:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَابًا * ... جَزَاءً وَفَاقًا * ... إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * ... جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ (الآيات ٢١ - ٣٦).
وَمَنْ ثُمَّ يَسْمَى الرَّبُّ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ
الْفَاتِحَةِ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الآيات
٢ - ٤).

وَبِنَاءً عَلَى مَا ذَكَرْنَا فَإِنَّ الرَّبَّ هُوَ الرَّحْمَنُ وَهُوَ الرَّحِيمُ وَهُوَ التَّوَّابُ وَهُوَ
الْغَفَّارُ وَهُوَ الرَّزَّاقُ.

نتيجة البحث:

في سورة الأعلى بين القرآن أن ربّ الخلق هو الذي خلقهم ثم سواهم أي هيأهم لقبول الهداية ثم قدر حياة كل واحد من الخلق ثم هداهم، وأخيراً ضرب مثلاً بمرعى الحيوان مما خلق وقال ما معناه أن الربّ هو الذي أخرج مرعى الحيوانات ورباه حتى بلغ درجة كماله حيث جعله غشاء أحوى نباتاً يابساً بعد أن كان شديد الخضرة، وفي سورة الرحمن التي جاءت آياتها كلها في وصف الربوبية بدأ بذكر جانب من صفة الربوبية مع صنف الانسان، حيث قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أي هيأه لقبول الهداية بوسيلة البيان.

في سورة العلق بين جانباً من صفات الربوبية مع صنف الإنسان، حيث قال: خلق الإنسان وعلمه بالقلم أي هيأه لقبول الهداية بوسيلة القلم. وكلتاها شرح لكلمة (فسوى) في سورة الأعلى.

وفي سورة الشورى والنساء وآل عمران فصل كيفية هداية الربّ للإنسان، وقال شرّع للإنسان الدين وأوحى به في كتبه إلى أنبيائه. وفي سورة يونس والأعراف قال أن ربكم هو الله الذي خلق السماوات والأرض وهداها تسخييراً.

وفي سورة الأنعام بعد ذكره أنواع الخلق في الآيات: (٩٥ - ١٠١) قال في آية (١٠٢): ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ...﴾.

صفات الرب وأفعاله

للرب في المصطلح القرآني صفات خاصة به، ومنها ما تظهر آياتها في الدنيا ومنها ما تظهر آثارها في الآخرة، ومنها ما تظهر آثارها في الدنيا والآخرة، ومن تلك الصفات: الرَّحْمَنُ، قال الله تعالى في سورة طه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ...﴾. والرَّحْمَنُ مشتق من الرحمة.

وقد وصف الله آثاره في الدنيا وقال في سورة طه: ﴿...خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (الآيتان ٤ - ٥).

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ (الآية ٥٩).

إذاً فإنَّ الرَّحْمَنُ هو الذي استولى على عرش القدرة يرب العالمين أجمعين إذاً فإنَّ الرَّحْمَنُ هو الذي استولى على عرش القدرة يرب العالمين أجمعين برحمته الواسعة، ومن آثار رحمته هداية الخلق أجمعين إلى ما يبلغهم إلى درجة الكمال في وجودهم تسخيراً أو إلهامياً للحيوان وبواسطة العقل والوحي إلى الأنبياء وبيانه بحاجة إلى دراسة موسَّعة لمعنى (الإسم) و (التسخير) في ما جاء منها في القرآن الكريم.

سَخَّرَهُ يسَخِّرُهُ تسخييراً: فهو مسخَّر.
سَخَّرَهُ: ذَلَّلَهُ وأخضعه وساقه إلى غرض معين قهراً، والسُّخْرِي: الذي يقهر فيتسخر.

ب - الإسم:

جاء الإسم في هذا الباب بمعنى صفات الشيء وخواصه المبيّنة لحقيقته.
وبناءً على ذلك فإنّ قوله تعالى علّم آدم الأسماء كلّها أي علّمه خواص
الأشياء كلّها والعلوم كلّها ما عدا علم الغيب الذي لا يشارك الله فيها أحد إلاّ
من خصّه الله بتعليمه ما شاء من أنباء الغيب.

ومعنى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتُسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً
تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازٍ فِيهِ﴾ (النحل ١٤)، أي سَخَّرَ البحر لنا لنتنفع منه
وهو من مواضع تعليم آدم (ع) كما أنّ ما ذكره الله قبل هذه وقال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا
لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ
تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً...﴾ (الآيات ٥ - ٩)، أي
سَخَّرَهَا لنا وعَلَّمَنَا كيف ننتفع منها للأكل والدّفء والركوب وحمل الأثقال.

وقال في سورة الزخرف الآيتان / ١٢ و ١٣:

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ *
لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾.

وكما علمنا أنّ ننتفع ممّا ذكرها في هذه الآيات وسَخَّرَهَا لنا بمقتضى ربوبيّته
كذلك ربّنا هو الذي أوحى إلى النحل - ألهما - أن تتخذ من الجبال بيوتاً
وتجرس من الزهر النور وتعمل العسل، وكذلك سَخَّرَ الرَّبُّ الرَّحْمَنُ البحر
للأسماك وعَلَّمَهَا غريزياً كيف تنتفع، وهكذا سَخَّرَ برحمته الواسعة لكل واحد
من خلقه ما يحتاج من سائر ما خلق وعلمه خواص الأشياء التي يحتاجها،
وبعبارة أخرى علّم النحل أسماء ما يحتاجه لإدامة حياته وعلم الحيتان أسماء ما
تحتاجها لإدامة حياتها وسَخَّرَهَا لها.

أما الإنسان الذي قال تعالى عندما أتمّ خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين

فقد علّمه الأسماء كلها، وقال تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (الجماثية ١٣).

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (لقمان ٢٠).

وبناءً على ذلك فإنّ الربّ الرَّحْمَن هَدَى كل صنف من خلقه إلى الإنتفاع ممّا يحتاجه من سائر الخلق وجعل الخلق الذي يحتاجه هذا الصنف سخرىاً له.

أمّا الإنسان فقد علّمه تكوينيّاً بما وهبه من عقل، خواصّ جميع الأشياء إذا سعى وجاهد في تعلّمها وسخّر له جميع الخلق ليتّخذها سخرىاً له فإذا سعى جاهداً لتعلّم خواصّ الذرة تعلّم خواصّها ولما كانت ممّا سخرها للإنسان استطاع أن يفلتها ويستعملها في تحقيق أهدافه كما علّمه خواصّ النار والكهرباء وغيرها من العلوم الفيزيائية والكيميائية وسخرها له ليصنع من أصناف الفلزّات سفينة فضائية يمتطيها من جانب من الأرض إلى جانب آخر ولما كان هذا الإنسان بحاجة إلى من يهديه كيف ينتفع ممّا سخر الله له من الخلق ولا يستعمل ما علّمه وما سخره له في ما يضرّ به نفسه ويهلك به الحرث والنسل، أرسل الربّ الرَّحْمَن الأنبياء كي يهدوه كيف يعمل في ما علّمه وسخره له.

وبناءً على ذلك فإنّ من آثار رحمة الربّ الرَّحْمَن إرسال الأنبياء وإنزال الكتب وتعليم الناس، وورد بيان ذلك في سورة الرَّحْمَن مع تفسير لفظ الرَّحْمَن: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ و﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، إذاً فإنّ من آثار رحمة الرَّحْمَن للإنسان تعليمه القرآن خاصّة والبيان عامّة وخلق ما ينتفع به كما قال بعده:

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا - الربّ الرَّحْمَن - وَوَضَعَ الْمِيزَانَ... وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ - للإنسان - فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * - إلى آخر قوله في آخر السورة - تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ ﴿١٠٨﴾

إِنَّ الرَّبَّ هُوَ الَّذِي ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (سبا ٣٦ و ٣٩).
وكل ما ذكر من آثار رحمة الرب في الدنيا تعم الناس أجمعين مؤمنين
وكافرين، وبناءً على ما ذكرناه فالرحمن من صفات الرب في الدنيا، وهي تعم
المخلاتق أجمعين ثم الناس مؤمنين وكافرين. ولما كان الرب يهدي الناس بوسيلة
الوحي إلى الرسل فإن القرآن أسند الوحي إلى الرب ويقول:

﴿... ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ...﴾ (الإسراء ٣٩).

﴿... اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ (الأنعام ١٠٦).

وكذلك يسند إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى الرب كما أخبر في سورة
الأعراف عن نوح أنه قال لقومه:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتُ
رَبِّي﴾ (الآيتان ٦٧ و ٦٨).

وعن موسى (ع) أنه قال لفرعون:

﴿قَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الآية ١٠٤).

وفي إنزال الكتب يقول:

في سورة الكهف:

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ (الآية ٢٧).

وفي سورة السجدة:

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الآية ٢).

وفي سورة الواقعة:

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ... تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الآية ٧٧ و ٨٠).

وأسند الأمر إلى الرب وقال تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف ٢٩).

ومن ثم تكون الطاعة لأوامر الرب.

كما أخبر الله سبحانه في سورة البقرة / ٢٨٤ عن خاتم الأنبياء، والمؤمنين وقال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ... قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا...﴾.

ولما كانت الرسل هي التي تبلغ أوامر الرب أمر الله بطاعتهم وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد ٣٣).

وكذلك تكون المعصية لأوامر الرب، قال سبحانه: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف ٥٠). وقال عز من قائل:

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ (الأعراف ٧٧).

وأحياناً يسقط لفظ الأمر، كما قال سبحانه:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه ١٢١).

ولما كانت الرسل تبلغ أوامر الرب تكون معصيتهم معصية الرب كما أخبر الله عن فرعون وقومه ومن كان قبلهم وقال في سورة الحاقة: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ...﴾ (الآية ٦٩).

وبعد المعصية قد يتوب العبد ويستغفر ربه فيتوب عليه، كما أخبر عن ذلك سبحانه وقال:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ (آل عمران ١٦ و ١٤٧ و ١٩٣).

وقال في سورة القصص حكى عن موسى (ع) أنه قال:

﴿... رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ (الآية ١١٦).

ومن ثم فإن من صفات الرب الغفور والغفار كما قال سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ بِعَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف ١٥٣).

وحكى في سورة نوح (ع) إنه قال لقومه:
﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (الآية ١٠).

وقال في سورة البقرة:
﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (الآية ٣٧).
أما من لم يستدرك المعصية بالتوبة فإنَّ الربَّ سيجازيه على عمله كما قال سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... فِي نَارِ جَهَنَّمَ... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.. جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ... ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة ٦ - ٨).
وجزاء الربَّ للأعمال قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة وقد يكون في كليهما، ويسند القرآن جميعها إلى الربَّ كما قال الله سبحانه وتعالى في سورة سبأ (١٥ - ١٧):

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِينِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجْزِي إِلَّا الْكَافُورَ﴾.

وأما الجزاء فيكون بعد الحشر والحساب يوم القيامة، ويسند القرآن الحشر والحساب إلى الربَّ ويقول:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ﴾ (الحجر ٢٥).
﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام ٣٨).
ويقول:

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ (الشعراء ١١٣).

وبعد الحساب إمّا أن يكون من المؤمنين الذين تتداركهم رحمة الله كما قال

سبحانه وتعالى في سورة مريم:

﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (الآية ٨٥).

وتختص رحمة الربّ يومئذ بالمؤمنين، ولذلك يسمّى (الرحيم)، ويأتي

الرحيم في الذكر بعد الرحمن، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ*

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنّ فعل الرحمن يعمّ من في هذا العالم وما فيه، وفعل الرحيم

يخصّ المؤمنين يوم القيامة، وإن لم يكن من المؤمنين، وحقّت عليه كلمة العذاب

يوم القيامة، فقد أخبر الله عن أمره وقال سبحانه في سورة النبأ (٢١ - ٣٧):

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا* لِلطَّاغِينَ مَابَا... جَزَاءُ وِفَاقًا... إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ

مَفَازًا* حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا... جَزَاءُ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا* رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، ومن ثمّ يسمّى الربّ (مالك يوم الدين) كما قال سبحانه في سورة

الحمد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وبناءً على ما ذكرنا فإنّ الربّ هو الرحمن وهو الرّازق وهو الرحيم وهو

التّوّاب وهو الغفور، إلى غيرها من الأسماء الحسنی.

* * *

كلّ ما ذكرناه إلى هنا في بحوث الألوهيّة من صفات الإله وأفعاله، وفي

بحوث الربوبية من صفات الربّ وأسمائه، من صفات الله وأسمائه، كما سنذكره

بالإضافة إلى أسماء أخرى لله في بحث (ولله الأسماء الحسنی) الآتي إن شاء الله

تعالى.

(١٥)

وللهِ الأسماءُ الحُسنى

١ - الله :

قال اللغويون إنَّ لفظ (الله) مشتق من الإله.
وفي المصطلح الاسلامي اسم خاص لجميع صفات الكمال كما قال سبحانه
وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (الأعراف ١٨٠).

وقال جلَّ اسمه:

﴿أَلَلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه ٨).

وعلى هذا فان معنى: لا إله إلا الله: لا خالق ولا مؤثر في الوجود ولا معبود
غير الله الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، والذي له جميع الأسماء الحسنی
ومن الأسماء الحسنی، القيوم أي:
القائم الحافظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه وذلك هو المعنى المذكور
في قوله تعالى:

﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

وبناءً على ما ذكرنا فإنَّ الله هو الربُّ، وهو الرحمن، وهو الرزاق، وهو
التوَّاب، وهو الغفار، وهو الرَّحِيم، وهو مالك يوم الدين، إلى غير ذلك من الأسماء
الحسنی. ولذلك فإنَّ لفظ (الله) قد يأتي في القرآن الكريم في مورد ينبغي فيه ذكر
اسم الربِّ، ويوصف بصفات الربِّ، أي: الرزاق والتوَّاب والغفور والرحيم،
والذي يعطي الإنسان جزاء عمله كما جاء أمثال ذلك في قوله تعالى:

أ - ﴿أَلَلَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الرعد ٢٦).

ب - ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة ١٠٤).

ج - ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة ١٨٢).

د - ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة ١٢١).

ومئات المواضع الأخر أمثالها.

وهناك صفات - أسماء - تأتي صفة لله خاصة مثل قوله تعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

كلّ هذه الصفات والأسماء خاصة بالله وليست من صفات الإله الخالق ولا الربّ المربّي للعالمين.

و- أيضاً - من صفاته الخاصّة:

العزیز، الحکیم، القدير، السميع، البصير الخبير، غنيّ حميد، ذو الفضل العظيم، واسع عليم، يفعل ما يشاء... وبناء على ما ذكرنا فإنّ (الله) اسم لكلّ تلکم الصفات وحقيقته تلک الصفات وتلکم الأسماء الحسنی ويقابل لفظ الله (يهوه) في اللغة العبريّة. كما يقابل لفظ الإله (الوهيم) في العبريّة.

ومن صفات الله الربّ أنّه وسع كرسيّه السموات والأرض. فما معنى الكرسيّ؟

٢ - الكرسيّ:

الكرسيّ في اللّغة: السرير والعلم.

روى الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن عباس واللفظ من الطبري بإيجاز أنّه قال كرسيّه علمه.

قال الطبري: كما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم: رَبُّنَا وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَأَخْبَرَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّ عِلْمَهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ، فكذلك قوله وسع كرسیه السموات والأرض، قال: وأصل الكرسي العِلْمُ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب: كراسة.

ومنه يقال للعلماء الكراسي.

ومنه قول الرّاجز: (حتى إذا ما احتازها انكرسا) يعني: علم.

ومنه قول الشاعر:

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب

يعني بذلك علماء بحوادث الأمور - انتهى مانقلناه عن الطبري.

ونضيف الى ما قاله الطبري ونقول بحوله تعالى:

وحكى الله عن إبراهيم (ع) أنه قال لقومه:

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام ٨٠).

وعن شعيب (ع) أنه قال لقومه:

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الأعراف ٨٩).

وعن موسى (ع) أنه قال للسامري:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (طه ٩٨).

وقال الامام الصادق (ع) السادس من أوصياء الرسول (ص) في جواب

من سألته عن قوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة ٢٥٥).

قال: علمه^(١).

(١) توحيد الصدوق، ص ٣٢٧، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ﴾.

وإنَّ الكرسيَّ جاء في مكان واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى:
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ (البقرة ٢٥٥).

ومجيئه في هذه الجملة بعد علمه يدلُّ على أنَّ المقصود من كرسيِّه، علمه
تعالى. ويكون معنى الجملة عندئذ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون
بشيءٍ من علمه إلا بما شاء وسِعَ عِلْمُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.
وعلى هذا فإنَّ معنى بعض الروايات أنَّ (كلُّ شيءٍ في الكرسي) أي إنَّ
كل شيءٍ في علم الله.

* * *

ويتصل ببحث الأسماء الحسنی - أيضاً - بحث العبودية الذي ندرسه في
ما يأتي بحوله تعالى.

العبد والعبادة:

عبد عبادة وعبودية: أطاع .
والعبودية: الخضوع وإظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها الغاية في التذلل.

والعبودية: الطاعة.

وفي هذا المعنى جاء في سورة الحمد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بعد أن سبقه ذكر ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وبهذا المعنى (العبودية والطاعة) جاء في حديث الامام الصادق (ع) حيث قال: (مَنْ أَطَاعَ رَجُلًا فِي مَعْصِيَةٍ فَقَدْ عَبْدَهُ) ^(٢).

وقول الإمام الرضا (ع):

(مَنْ أَضْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبْدَهُ فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبْدَ اللَّهَ، وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنْ إِبْلِيسَ فَقَدْ عَبْدَ إِبْلِيسَ) ^(٣).

والعبادة تكون بالاختيار لذوي النطق، وبالتسخير لغيرهم، مثل قوله

تعالى:

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم ٩٣).

وهذا مثل قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ

وَالْآصَالِ﴾ (الرعد ١٥).

وللعبد أربعة معانٍ:

(٢) أصول الكافي ٣٩٨/٢.

(٣) عيون أخبار الرضا ١/ ٣٠٣، ح ٦٣، وسائل الشيعة ٩٢/١٨ ج ١٣.

١ - العبد بالرق مثل قوله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ (النحل ٧٥).

وجمعه العبيد مثل قول رسول الله (ص) من خرج إلينا من العبيد فهو

حر^(٤).

٢ - العبد بالإيجاد. وأوضح مثل له - أيضاً - قوله تعالى:

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم ٩٣).

ويجمع - أيضاً - على العبيد مثل قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال ٥١).

٣ و ٤ - العبد بالعبادة والخدمة ويقال له العابد ابلغ وينقسم الى قسمين:

أ - عبدٌ لله مخلصاً وحقيقةً وجمعه: العُباد مثل قوله تعالى في ما حكاه عن

موسى وفتاه:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ (الكهف ٦٥).

ب - عبدٌ للدنيا يعكف على طلب الدنيا ويجمع على العبيد مثل قول

النبي (ص): (تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الدِّينَارِ).

ومثل قوله (ص): (مَنْ خَرَجَ إِلَيْنَا مِنَ الْعَبِيدِ فَهُوَ حُرٌّ).

ولما كان الربُّ تصدر منه الأوامر والنواهي لهداية الناس يقال لمن اطاعه

عَبَدَ الرَّبَّ يعبده عبادةً وهو عابدٌ، أي أطاعه ويطيعه وهو مطيعٌ للربِّ، ولما كان

الإله بمعنى المعبود، وتُجرى له الطقوس الدينية يقال: عبد فلان الإله يعبده

عبادةً فهو عابد أي أجرى الطقوس للإله...^(٥).

(٤) مسند أحمد، ١/ ٢٤٨.

(٥) ذكرنا موجز ما ورد في مادة عبد من كتاب الصحاح للجوهري، ومفردات القرآن

للاغب، وقاموس اللغة للفيروزآبادي، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم للهيئة المصرية العامة للتأليف، وأدبنا عباراتهم وذكرناها سياقاً واحداً.



كلّ ما ذكرناه في بحوث الالهية من صفات الإله وفي بحوث الربوبية
من صفات الربّ من صفات الله ربّ العالمين ومن صفات ربّ العالمين، أنّ كلّ
شيء يحري بمشيئته كما سنشرحها في البحث الآتي بإذنه تعالى:

ونقلنا حديث الرسول الأوّل من سنن ابن ماجة ص ١٣٨٦، كتاب الزهد، باب في المكترين،
والحديث الثاني في مسند أحمد (٢٤٨/١)، وقد قاله يوم الطائف، وما ذكرناه من المجموع هو
الأغلب، وقد يأتي خلافه في القرآن والحديث مجازاً.

(١٦)

مشيئة الله ربّ العالمين

أ- معنى المشيئة

ب- مشيئة الله في الرزق

ج- مشيئة الله في الهداية

د- مشيئة الله في الرحمة والعذاب.

من صفات الله ربّ العالمين مشيئته في الهداية والرزق والعذاب والرحمة،
كما يأتي بيانها في أربعة بحوث:

أولاً - المشيئة في اللغة والقرآن الكريم:

أ - المشيئة في اللغة.

في لغة العرب. شاء يشاء مشيئة: أراد إرادة، وبهذا المعنى أسندت المشيئة
الى الناس في قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (المزمل ١٩) و(الإنسان ٢٩).
أي إن الانسان إذا أراد أن يتخذ الى ربّه سبيلاً فإنه قادر على أن يفعل
ذلك بكامل حرّيته ومحض اختياره، وورد نظيره - أيضاً - في: سورة المدثر (٥٥)
وسورة عبس (١٢) والتكوير (٢٨) والكهف (٢٩) وغيرها من الموارد في القرآن
الكريم.

وبالمعنى اللغوي - أيضاً - أسندت المشيئة الى الله سبحانه وتعالى في قوله:

١ - في سورة الفرقان:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ (الآية ٤٥).

٢ - في سورة هود:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي
الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ

مَجْذُودٌ ﴿ (الآيات ١٠٦ - ١٠٨) .

وجاء نظيرهما - أيضاً - في سورة الإسراء (٨٦) والفرقان (٥١) .

المعنى في الآيات الماضية:

١ - في المورد الأول قال سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ شيئاً فشيئاً بعد الظهيرة من المغرب الى المشرق حسب اقتراب الشمس من الأفق، حتى اذا غربت كانت في نهاية الامتداد في الليل ولو شاء لجعل الظل ساكناً دائماً، أي ان تمدد الظل وتحركه يجري بقدرة الله ووفق إرادته وليس خارجاً عن ارادته.

٢ - في المورد الثاني قال سبحانه وتعالى:

إِنَّ أَهْلَ النَّارِ خَالِدُونَ فِي النَّارِ أَبَدًا، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا وَإِنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَارَادَتِهِ وَلَيْسَ خَارِجًا عَنْ إِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.
كان ذلكم من موارد اسناد المشيئة الى الله والى الناس بمعناه اللغوي.

ب - مشيئة الله في الاصطلاح القرآني:

اذا اسندت المشيئة في القرآن الكريم إلى الله بعد مادة: الرزق والهداية والعذاب والرحمة أريد بها جريان الرزق والهداية وأمثالهما للإنسان وفق سننٍ قررها لها الله وفق حكمته وإنَّ سُنَّةَ اللَّهِ في ذلكم الأمر لن تتبدل وهي إذاً من مصاديق قوله تعالى في سورتي الأحزاب (٣٨) و (٦٢) والفتح (٢٣):

﴿سُنَّةَ اللَّهِ... وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

وقوله تعالى في سورة فاطر:

﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (الآية ٤٣).

كما يأتي بيانها بحوله تعالى.

ثانياً - مشيئة الله في الرزق:

جاء ذكر مشيئة الله في أمر الرزق في قوله تعالى:

١ - في سورة الشورى:

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الآية ١٢).

ونظيره في سورة الرعد (٢٦).

٢ - في سورة العنكبوت:

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ*

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ* اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ* وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا

لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الآيات ٦٠ - ٦٣).

٣ - في سورة سبأ:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِن

شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الآية ٣٩).

٤ - في سورة الإسراء:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

مَحْسُورًا* إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا*

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا

كَبِيرًا*.... وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا

بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا* وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُم وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ

الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (الآيات ٢٩ - ٣١ و ٣٤ - ٣٥).

٥ - في سورة آل عمران:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الآيتان ٢٦ - ٢٧).

ما هي مشيئة الله في أمر الرزق؟

لقد مرّ بنا في بحث «جزاء الأعمال» أنّ الله سبحانه وتعالى جعل توسعة الرزق في صلة الرّحم، وجعل الولد يرث أثر صلاح أبيه، كما مرّ بنا في خبر موسى والعبد الصّالح عندما بنى جداراً يريد أن ينقضّ ليقبض الكنز المدفون لليتيمين لأنّ أباهما كان صالحاً وليستخرجاه عندما يبلغان أشدهما، وهذان مثالان لمشيئة الله في أمر الرزق وإنّها تجري وفق سنن لا تتبدل.

ثالثاً - مشيئة الله في الهداية:

يأتي ذكر هداية الإنسان في القرآن بمعنيين:

١ - بمعنى تعليم الإنسان عقائد الاسلام وأحكامه:
ويسنده القرآن غالباً الى الأنبياء الذين بعثهم الله لتبليغ الانسان عقائد
الإسلام وأحكامه.

وأحياناً يسنده الى الله جلّ اسمه لأنه الذي أرسل الأنبياء بدين الإسلام.

٢ - بمعنى توفيق الله الإنسان الى الإيمان بعقائد الاسلام والعمل
بأحكامه. وهذا مايسنده القرآن إلى الله وحده، تارة مع وصف أن هذه الهداية من
مشيئة الله، وأخرى بدون ذكر مشيئة الله.
وفي ما يأتي أمثلة من مواردها في القرآن الكريم:

وقد اشترط الله لهذا النوع من الهداية أن يرضاها الناس ويختاروها
ويباشروا العمل من أجل الوصول إليها كما يأتي بيانها في ثلاثة بحوث بحوله
تعالى.

أ - الهداية بمعنى التعليم:

أسند القرآن هداية الناس بمعنى تبليغ الاسلام الى الأنبياء في موارد منها
الآيات الآتية:

١ - في سورة الشورى:

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الآيتان ٥٢ - ٥٣).

وأحياناً يأتي اسناد عن الأنبياء في الهداية الى الله تعالى كما قال سبحانه:

١ - في سورة الأنبياء:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾ (الآية ٧٣).

٢ - في سورة الفتح:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (الآية ٢٨).

وبهذا المعنى - أيضاً - اسندت الهداية الى الكتب السماوية مثل قوله تعالى:

١ - في سورة البقرة:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ

وَالْفُرْقَانِ﴾ (الآية ١٨٥).

٢ - في سورة آل عمران:

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (الآيتان ٣-٤).

وقد يأتي في القرآن اسناد الهداية التعليمية إلى الله جلَّ اسمه مثل قوله

تعالى:

١ - في سورة البلد في وصف الانسان:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (الآيتان ٨-١٠).

٢ - في سورة فصلت:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ (الآية ١٧).

إذاً فإنَّ الله تبارك وتعالى يسند الهداية بمعنى تعليم الإسلام إلى أنبيائه وكتبه تارة، وإلى نفسه تبارك وتعالى تارةً أُخرى؛ لأنَّه الذي أرسل الرُّسل بتلك الكتب لتعليم الناس، ثم يأتي بعد ذلك دَوْرُ الإنسان في قبول الهداية أو رفضها كالآتي بيانه بحوله تعالى.

ب - اختيار الإنسان الهداية أو الضلالة وآثارهما:

بعد إرسال الله الأنبياء بالكتب الى الناس فإنَّ الناس ينقسمون الى

فريقين: فريق يختارون الهداية على الضلالة، وفريق يختارون الضلالة على الهداية كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم في الآيات الآتية وقال عز اسمه:

١ - في سورة النمل:

﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الآية ٩٢).

٢ - في سورة يونس:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (الآية ١٠٨).
ونظيرها في سورة الإسراء (١٥).

ويأتي بعد ذلك توفيق الله سبحانه وتعالى للمهتدي، كما أخبر الله عز اسمه وقال:

١ - في سورة مريم:

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (الآية ٧٦).

٢ - في سورة محمد:

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (الآية ١٧).

إن الذين اختاروا الهداية بعد ارسال الرسل، وجاهدوا في سبيل الله، استحقوا توفيق الله لهم، والذين كذبوا الرسل واتبعوا هوى النفس حقت عليهم الضلالة، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنها وقال:

١ - في سورة العنكبوت:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الآية ٦٩).

٢ - في سورة النحل:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عاقبة المكذبين* إن تخرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين* وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت... ﴿ (الآيات ٣٦ - ٤٢).

٣ - في سورة الأعراف:

﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ (الآية ٣٠).

وهذا النوع من الهداية هي التي تأتي بمشيئة الله، كما يأتي بيانه بحوله تعالى:

ج - الهداية بمعنى توفيق الايمان والعمل مسندة الى مشيئة الله
جاء ذكر الهداية بمعنى توفيق الايمان والعمل مسندة الى مشيئة الله في قوله تعالى:

١ - في سورة البقرة:

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة ١٤٢ و ٢١٣) و (النور ٤٦) و (يونس ٢٥).

٢ - في سورة الأنعام:

﴿... مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الآية ٣٩).

٣ - في سورة القصص:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (الآية ٥٦).

شرح الكلمات

صراط مستقيم:

الصراط من السبيل الواضح والمستقيم بلا التواء فيه.
والصراط المستقيم من أمر الدين ما شرحه الله تعالى في سورة الفاتحة

وقال:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الآية ٧).
وقد بين الله تعالى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ في سورة مريم وقال بَعْدَ ذكره خبر زكريا
ويحيى ومريم وعيسى (ع): واذكر في الكتاب إبراهيم... وأذكر في الكتاب
موسى... وإسماعيل... وإدريس) ثم قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ... وَمِنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ (مريم
١ و ٦٣).

وصراطهم هو دين الإسلام الذي كانوا يدعون إليه، وسيرتهم في عملهم
بالإسلام.

والمغضوب عليهم هم اليهود خاصة كما وصفهم الله تبارك وتعالى في سورة
البقرة وقال عزَّ اسمه:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾
(الآية ٦١).

وكذلك في سورة آل عمران الآية (١١٢).

﴿وَالَّذِينَ لَا الضَّالِّينَ﴾ الضَّالُّونَ هم الذين لا يتخذون الإسلام ديناً كافّة كما
صرّح بذلك تبارك وتعالى في سورة آل عمران وقال عزَّ من قائل:

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ... وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾
(الآيات ٨٥ - ٩٠).

يهدي: راجع شرحه في بحث هداية رب العالمين للأصناف الأربعة من الخلق.

رابعاً - مشيئة الله في العذاب والرحمة:

قد جاء ذكر مشيئة الله في العذاب والرحمة في موارد من القرآن الكريم منها الآيات الآتية:

أ - في سورة الأعراف حكاية قول كليم الله موسى (ع):

﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الآيتان ١٥٦ - ١٥٧).

ب - في سورة الأنبياء:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ * مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ * ثُمَّ

صَدَقْنَاهُمْ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ * لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ (الآيات ١ - ١٠).

ج - في سورة الإسراء:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿ (الآيات ١٨ - ٢٠).

د - في سورة الإنسان:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿ (الآيات ٢٧ - ٣١).

* * *

كان ذلك معنى مشيئة الله رب العالمين، ومن صفات الله تعالى أنه يقضي
ويقدر كما يأتي معناه في البحث الآتي بإذنه تعالى.

(١٧)

البَداء

أو

يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ

أ - معنى البداء.

ب - البداء في مصطلحات علماء العقائد الإسلامية.

ج - البداء في القرآن.

د - روايات مدرسة الخلفاء في البداء.

هـ - روايات أئمة أهل البيت (ع) في البداء.

أولاً - البداء في اللغة

للبداء في اللغة معنيان:

أ - بدا الأمر بُدُوًّا وَبَدَاءً: ظهر ظهوراً بيّناً.

ب - بدا له في الأمر كذا: جدّ له فيه رأي، نشأ له فيه رأي.

ثانياً - البداء في مصطلح علماء العقائد الاسلامية:

بدا لله في أمر بداء أي ظهر له في ذلك الأمر ما كان خافياً على العباد. وأخطأ من ظنّ أن المقصود من بدا لله في أمر بداء جدّ له في ذلك الأمر غير الأمر الذي كان له قبل البداء، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

ثالثاً - البداء في القرآن:

أ - قال الله تعالى في سورة الرعد:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الآيتان ٧ و ٢٧).

ثم قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ * وَإِنْ مَا نُزِّلَ عَلَيْكَ مِنْ بَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الآيات ٣٨ - ٤٠).

شرح الكلمات

١ - آية:

الآية في اللغة: العلامة الظاهرة كما قال الشاعر:
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
وسُميت معجزات الأنبياء آية لأنها علامة على صدقهم وعلى قدرة الله
الذي مكّنه من الإتيان بتلك المعجزة، مثل عصا موسى وناقّة صالح، كما جاءت
في الآية (٦٧) من سورة الشعراء والآية (٧٣) من سورة الأعراف.
وكذلك سمى القرآن أنواع العذاب الذي أنزله الله على الأمم الكافرة
بالآية والآيات، كقوله تعالى في سورة الشعراء عن قوم نوح:
﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ (الآيتان ١٢٠ - ١٢١).

وعن قوم هود:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ (الآية ١٣٩).

وعن قوم فرعون في سورة الأعراف:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ

مُفَصَّلَاتٍ﴾ (الآية ١٣٣).

٢ - أجل:

الأجل: مدّة الشيء والوقت الذي يحدّد لحلول أمرٍ وأنتهائه، يقال: جاء
أجله إذا حان موته، وضربت له أجلاً: أي وقتاً محدّداً لعمله.

٣ - كتاب:

للكتاب معانٍ مُتَعَدِّدَةٌ، والمقصود منها هنا: مقدار مكتوب أو مقدّر، ويكون
معنى (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ): لوقت إتيان الرسول بآية زمان مقدّر معيّن.

٤ - يمحو:

محاه في اللّغة: أزاله وأبطله، أو أزال أثره مثل قوله تعالى:

أ - في سورة الإسراء:

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الآية ١٢).

وآية الليل هي الليل، ومحو الليل: إزالته.

ب - في سورة الشورى:

﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ (الآية ٢٤).

أي يذهب بآثار الباطل.

تفسير الآيات

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أن كفار قريش طلبوا من رسول الله (ص) أن يأتيهم بآيات، كما بين طلبهم ذلك في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا *... أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (الآيتان ٩٠ و ٩٢). وقال في الآية (٣٨) من سورة الرعد: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ مقترحة عليه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وأن لكل أمر وقتاً محدداً سجّل في كتاب. واستثنى منه في الآية بعدها وقال: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من ذلك الكتاب ما كان مكتوباً فيه من رزق وأجل وسعادة وشقاء وغيرها ﴿وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ﴾ مما لم يكن مكتوباً في ذلك الكتاب ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يتغير ما فيه ولا يبدل.

وبناء على ذلك قال بعدها: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فحسب... ويدل على ما ذكرناه مارواه الطبري والقرطبي وابن كثير في تفسير الآية وقالوا ما موجهه:

إن الخليفة عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت ويقول: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كُتِبْتَنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ فَأَثْبِتْنِي فِيهَا، وَإِنْ كُنْتُ كُتِبْتَنِي فِي أَهْلِ الشَّقَاوَةِ وَالذَّنْبِ فَامْحِنِي وَأَثْبِتْنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتَثْبِتُ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ.

وروي عن الصحابي ابن مسعود أنه كان يقول:

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كُتِبْتَنِي فِي السَّعْدَاءِ فَأَثْبِتْنِي فِيهِمْ، وَإِنْ كُنْتُ كُتِبْتَنِي فِي الْأَشْقِيَاءِ فَامْحِنِي مِنَ الْأَشْقِيَاءِ وَأَكْتُبْنِي فِي السَّعْدَاءِ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتَثْبِتُ،

وعندك أم الكتاب.

وروي عن أبي وائل أنه كان يكثر أن يدعو: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامح وأكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب^(١).

وفي البحار: وإن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني من السعداء، فإنك قلت في كتابك المنزل، على نبيك صلواتك عليه وآله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢).

واستدل القرطبي - أيضاً - على هذا التأويل بما روى عن صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله (ص) قال:

(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ - أَجَلُهُ - فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ).
وفي رواية: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمُدَّ اللَّهُ فِي عُمُرِهِ وَيَبْسُطَ لَهُ رِزْقَهُ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)^(٣).

ونقل عن ابن عباس أنه قال في جواب من سأله وقال: كيف يزداد في العمر والأجل؟

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ فالأجل الأول أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته، والأجل الثاني - يعني المسمى عنده - من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه إلا الله، فإذا أتقى العبد ربه ووصل رَحِمَهُ، زاده الله في أجل عمره الأول من أجل

(١) أخرج الأحاديث الثلاثة الطبري بتفسير الآية، وأبو وائل شفيق بن سلمة الأسدي الكوفي. قال في ترجمته بتهذيب التهذيب: ثقة مخضرم، أدرك عهد الصحابة والتابعين، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وله مائة سنة، أخرج له جميع أصحاب الصحاح والسنن (١٠ / ٣٥٤).
(٢) البحار (٩٨ / ١٦٢).

(٣) صحيح البخاري (٣ / ٣٤) كتاب الأدب، باب ١٢ و ١٣، وصحيح مسلم ص ١٩٨٢ الحديث ٢٠ و ٢١ من باب صلة الرحم، ومسند أحمد ١٥٦ / ٣ و ٢٤٧ و ٢٦٦ و ٧٦ / ٥.

البرزخ ما شاء، وإذا عصي وقطع رَحِمَهُ، نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء، فزيده من أجل البرزخ... الحديث^(٤).

وأضاف ابن كثير على هذا الإستدلال وقال ما موجزه:
وقد يستأنس لهذا القول ما رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن النبي (ص) أنه قال:
(إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ وَلَا يَرُدُّ الْقَدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ)^(٥).

وقال: وفي حديث آخر:
(إِنَّ الدُّعَاءَ وَالْقَضَاءَ لَيَعْتَلِجَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)^(٦).
كان ما ذكرناه وجهاً واحداً مما ذكروه في تأويل هذه الآية وذكرها معها وجوهاً أخر في تأويل الآية مثل قولهم:

إنَّ المراد محو حكم وإثبات آخر، أي نسخ الأحكام، والصواب في القول،
أنَّه يعمُّ الجميع وهذا ما اختاره القرطبي - أيضاً - وقال:

(..الآية عامّة في جميع الأشياء وهو الاظهر والله أعلم)^(٧).

وروى الطبري والسيوطي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: يُقَدِّرُ اللَّهُ أَمْرَ السَّنَةِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَّا السَّعَادَةَ وَالشَّقَاءَ^(٨).

يمحو الله ما يشاء ويثبت قال: من أحد الكتابين هما كتابان يمحو الله من

(٤) تفسير القرطبي (٩ / ٣٢٩ - ٣٣١).

(٥) والرواية في سنن ابن ماجه، المقدمة، باب ١٠، الحديث ٩٠.

(٦) تفسير ابن كثير (٢ / ٥١٩).

(٧) تفسير القرطبي (٩ / ٣٢٩).

(٨) تفسير الطبري (١٣ / ١١١) والسيوطي واللفظ للطبري.

أحدهما ويثبت وعنده أم الكتاب أي حملة الكتاب^(٩).

ب - قال سبحانه وتعالى في سورة يونس:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ

عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الآية ٩٨).

شرح الكلمات

أ - كَشَفْنَا:

كشف عنه الغم: أزاله، وكشف العذاب: أزاله.

ب - الْخِزْيُ:

خزي خزيًا: هان وأفتضح.

ج - حِين:

الحين: الوقت والمدة من غير تحديد في معناه بِقَلَّةٍ أو كَثَرَةٍ.

تفسير الآية

قصة يونس بايجاز كما في تفسير الطبري والقرطبي ومجمع البيان^(١٠): «أَنَّ قَوْمَ يُونُسَ كَانُوا بَنِيوَيْ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَرَكَ مَا هُمْ عَلَيْهِ فَأَبَوْا، وَتَبِعَهُ مِنْهُمْ عَابِدٌ وَشَيْخٌ مِنْ بَقِيَّةِ عُلَمَائِهِمْ وَكَانَ الْعَابِدُ يَشِيرُ عَلَى يُونُسَ بِالْدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ وَالْعَالَمُ يَنْهَاهُ وَيَقُولُ لَهُ: لَا تَدْعُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُسْتَجِيبُ لَكَ وَلَا يَحِبُّ هَلَاكَ عِبَادِهِ. فَقَبِلَ يُونُسَ قَوْلَ الْعَابِدِ فَأَخْبَرَ اللَّهَ تَعَالَى أَنَّهُ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فِي شَهْرٍ كَذَا

(٩) تفسير السيوطي (٤/ ٦٥) عن ابن جرير الطبري والحاكم قال وصححه.

(١٠) مجمع البيان (٣/ ١٣٥)، القرطبي (٨/ ٣٨٤)، الطبري (١١/ ١١٨)، والدر المنثور

(٣/ ٣١٧).

في يوم كذا فاخبرهم يونس بذلك فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم وقال قومه:

لم نجرب - يونس - عليه كذبا فانظروا فإن بات فيكم الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم ولما علموا ذلك ورأوا آثار العذاب وأيقنوا بالهلاك ذهبوا الى العالم فقال لهم: افزعوا الى الله فانه يرحمكم ويرد العذاب عنكم، فاخرجوا الى المفازة وفرّقوا بين النساء والأولاد وبين سائر الحيوان وأولادها ثم ابكوا وادعوا، ففعلوا. خرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة وأخلصوا النية وفرّقوا بين كل والدة وولدها من الناس والأنعام، فحنّ بعضها الى بعض وعلت أصواتها واختلطت أصواتها بأصواتهم وتضرّعوا الى الله عزّ وجلّ وقالوا آمنا بما جاء به يونس، فرحمهم ربّهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعدما اظلمهم، بعد أن بلغ من توبتهم الى الله، ردّوا المظالم بينهم حتى أن كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيقتله ويرده وكذلك محا الله العذاب عن قوم يونس بعد ان تابوا وكذلك يمحّو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

ج - قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ

لَيْلَةً﴾ (الآية ١٤٢).

وقال في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾

(الآية ٥١).

رابعاً - البداء في روايات مدرسة الخلفاء:

روى الطيالسي وأحمد وابن سعد والترمذي واللفظ للطيالسي بإيجاز.

قال قال رسول الله (ص):

إِنَّ اللَّهَ أَرَىٰ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ فَرَأَىٰ رَجُلًا أَزْهَرَ سَاطِعًا نُورُهُ.

قَالَ: يَا رَبُّ مَنْ هَذَا؟

قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدَ!

قَالَ: يَا رَبُّ فَمَا عُمرُهُ؟

قَالَ: سِتُّونَ سَنَةً!

قَالَ: يَا رَبُّ زِدْ فِي عُمرِهِ!

قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ تَزِيدَهُ مِنْ عُمرِكَ!

قَالَ: وَمَا عُمرِي؟

قَالَ: أَلْفُ سَنَةٍ!

قَالَ آدَمُ: فَقَدْ وَهَبْتُ لَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمرِي.

..... فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَجَاءَتْهُ الْمَلَائِكَةُ قَالَ: قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمرِي أَرْبَعُونَ

سَنَةً.

قالوا: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لِداود.. (١١).

هذه الرواية بالاضافة الى ما سبق إيرادها من أخبار آثار صلة الرحم

ونظائرها بمدرسة الخلفاء من مصاديق ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ

(١١) الطيالسي ص ٣٥٠، الحديث ٢٦٩٢، ومسند أحمد (١/ ٢٥١ و ٢٩٨ و ٣٧١)، وطبقات

ابن سعد ط. أوروبا (ج ١/ ق ١/ ٧ - ٩)، وسنن الترمذي (١١/ ١٩٦ - ١٩٧) بتفسير سورة الأعراف.

وفي البحار (٤/ ١٠٢ - ١٠٣) عن الإمام الباقر (ع) باختلاف يسير في اللفظ.

وقد سَمِيَ أئمة أهل البيت (ع) المَحْوُ والاثبات بالبداء كما سندرسه إن شاء الله تعالى في ما يأتي.

خامساً - البداء في روايات أئمة أهل البيت (ع):

في البحار عن أبي عبدالله (الإمام الصادق) (ع) قال: (مابَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ: الإِقْرَارَ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَخَلْعَ الْأَنْدَادِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ) ^(١٢).

وفي رواية أخرى وصف الإمام الصادق (ع) هذا الأمر بالمحو والاثبات وقال: (مابَعَثَ نَبِيًّا قَطُّ حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا: الإِقْرَارَ لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ وَخَلْعَ الْأَنْدَادِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ) ^(١٣).

وفي رواية ثالثة سَمِيَ المحو والاثبات بالبداء، وقال ماموجزه: (ماتَّبَعَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يُقَرَّ لِلَّهِ تَعَالَى... بِالْبَدَاءِ) الحديث ^(١٤). وعن الإمام الرضا (ع) أنه قال: (مابَعَثَ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَأَنْ يُقَرَّ لَهُ بِالْبَدَاءِ) ^(١٥).

وفي رواية أخرى أخبر الإمام الصادق (ع) عن زمان المحو والاثبات وقال: (إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدَرِ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ وَالْكِتَابَةُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَكْتُبُونَ مَا يَكُونُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تِلْكَ السَّنَةِ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْدَّمَ شَيْئًا أَوْ يُؤَخِّرَهُ أَوْ يَنْقُصَ شَيْئًا أَمَرَ الْمَلِكَ أَنْ يَمْحُو مَا يَشَاءُ ثُمَّ أُثْبِتَ الَّذِي أَرَادَ) ^(١٦).

(١٢) البحار (٤ / ١٠٨) نقلًا عن توحيد الصدوق.

(١٣) البحار (٤ / ١٠٨) نقلًا عن المحاسن.

(١٤) البحار (٤ / ١٠٨) نقلًا عن توحيد الصدوق.

(١٥) المصدر السابق نقلًا عن توحيد الصدوق.

(١٦) البحار (٤ / ٩٩) عن تفسير علي بن إبراهيم.

وأخبر الإمام الباقر (ع) عن ذلك وقال ما موزجه: (تنزل فيها الملائكة والكتب إلى سماء الدنيا فيكتبون ما هو كائن في أمر السنة وما يصيب العباد فيها. قال: وأمر موقوف لله تعالى فيه المشيئة يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء، وهو قوله تعالى: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (١٧).
وفي حديث آخر له قال: (في قول الله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾).

إن عند الله كتباً موقوتة، يقدم منها ما يشاء ويؤخر فإذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كل شيء يكون إلى ليلة مثلها، وذلك قوله: ﴿لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ إذا أنزل، وكتبه كتاب السموات وهو الذي لا يؤخره) (١٨).
وروى المجلسي في هذا الباب خبر هبة آدم (ع) أربعين سنة من عمره لداود (ع) الذي أوردناه آنفاً في روايات مدرسة الخلفاء (١٩).
هذه البداء في أخبار أئمة أهل البيت (ع) وأما البداء بمعنى أن الله جَدَّ له رأي في الأمر لم يكن يعلمه - معاذ الله - فقد قال أئمة أهل البيت (ع) فيه مارواه المجلسي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْدُو لَهُ فِي شَيْءٍ لَمْ يَعْلَمْهُ أَمْسٍ فابْرؤُوا مِنْهُ) (٢٠).

أثر الاعتقاد بالبداء

لو اعتقد الإنسان أن من الناس من كتب في السعداء فلن تتبدل حاله ولن يكتب في الأشقياء، ومنهم من كتب في الأشقياء فلن تتبدل حاله ولن يكتب في

(١٧) البحار (٤/ ١٠٢) نقلاً عن أمالي الشيخ المفيد.

(١٨) البحار (٤/ ١٠٢) نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم.

(١٩) البحار (٤/ ١٠٢) عن علل الشرايع.

(٢٠) البحار (٤/ ١١١) نقلاً عن اكمال الدين.

السعداء، وجف القلم بما جرى لكل إنسان، عندئذ لا يتوب العاصي من معصيته بل يستمرّ في ما هو عليه لاعتقاده بأن الشقاء قد كتب عليه ولن تتغير حاله، ومن الجائز أن يوسوس الشيطان الى العبد المنيب أنّه من السعداء ولن يكتب في الاشقياء. وتؤدي به الوسوسة الى التساهل في الطاعة والعبادة ، وعدم استيعاب بعض المسلمين معاني الآيات والروايات المذكورة في المشيئة، اعتقد بعضهم أنّ الإنسان مجبور على ما يصدر منه وآخرون على أنّ الأمر كلّه مفوض للإنسان، كما سندرسه في البحث الآتي لنعرف الحق في ذلك بإذنه تعالى.

(١٨)

الجبر والتفويض

معنى الجبر والتفويض والإختيار

الجبر والتفويض والإختيار:

أ - الجبر في اللغة:

جَبَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ وَأَجْبَرَهُ: قَهَرَهُ عَلَيْهِ، وَأَكْرَهَهُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهِ.

ب - الجَبْرُ في مصطلح علماء العقائد الإسلامية:

الجَبْرُ: إجبارُ الله تعالى عباده على ما يفعلون، خيراً كان أو شراً، حسناً كان أو قبيحاً، دون أن يكون للعبد إرادة واختيار الرفض والإمتناع، ويرى الجبرية الجبر مذهباً يرى أصحابه أن كل ما يحدث للإنسان قدر عليه أزلاً، فهو مسير لا مخير وهو قول الأشاعرة^(١).

ج - التفويض في اللغة:

فَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ تَفْوِيضاً: جَعَلَ لَهُ التَّصَرُّفَ فِيهِ.

د - التفويض في مصطلح علماء العقائد الإسلامية:

هو أن الله تعالى فَوَّضَ أفعال العباد إليهم، يفعلون ما يشاؤون، على وجه الإستقلال، دون أن يكون لله سلطان على أفعالهم، (هو قول المعتزلة)^(٢).

(١) راجع تعريف الأشاعرة في الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ١١٩ - ١٥٣).

(٢) راجع تعريف المعتزلة في الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ٥٥ - ٥٧).

هـ - الإختيار في اللّغة:
خَيْرُهُ: فَوْضُ إِلَيْهِ الإختيار بين أمرين أو شيئين أو أكثر.

و - الإختيار في مصطلح علماء العقائد الاسلاميّة:
إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ كَلَّفَ عِبَادَهُ بِوَاسِطَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ بَعْضَ الْأَفْعَالِ وَنَهَاهُمْ عَنْ بَعْضِ آخَرٍ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ فِي مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ بَعْدَ أَنْ مَنَحَهُمُ الْقُوَّةَ وَالْإِرَادَةَ عَلَى الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ وَجَعَلَ لَهُمُ الْإِخْتِيَارَ فِي مَا يَفْعَلُونَ دُونَ أَنْ يُجْبَرَ أَحَدٌ عَلَى الْفِعْلِ، وَسَيَأْتِي الِاسْتِدْلَالُ عَلَيْهِ بِحَوْلِهِ تَعَالَى.

100-443887-100

[illegible]

Journal of Management Education 30(6)

(١٩)

القضاء والقدر

أ - معاني القضاء والقدر.

ب - روايات من أئمة أهل البيت (ع) في القضاء والقدر.

ج - أسئلة وأجوبة.

- ١ -

معاني القضاء والقدر

تستعمل مادّتا القضاء والقدر لعدّة معان منها: في ما يخص البحث من مادّة القضاء.

أ - قضى أو يقضى بين المتخاصمين كقوله تعالى:
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس ٩٣)
و (الجاثية ١٧).

ب - قضى الله الأمر: أنبأه به كقوله تعالى في ما أخبر به لوطاً عن مصير قومه في سورة الحجر / ٦٦: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَايِرَ هَوْلًا مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ أي أنبأناه.

ج - قضى الله الشيء، وبه: أوجبه، أمر به كقوله تعالى في سورة الإسراء / ٢٣: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.
أي أمر ربك وأوجب عليكم ألا تعبدوا إلا إياه.

د - قضى الله الأمر أو الشيء: تعلّقت إرادته به، قدره كقوله تعالى في سورة البقرة / ١١٧: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.
أي إذا أراد أمراً.

وقوله تعالى في سورة الأنعام / ٢: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾.

أي قدر لكل انسان مدة يحيا فيها.

ومن مادة القدر:

أ - قدر على الشيء أو العمل: استطاع أن يفعله، يتغلب عليه فهو قادر،
والقدير: ذو القوة كقوله تعالى:

١ - في سورة يس:

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ (الآية

(٨١).

٢ - في سورة البقرة:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية

(٢٠).

أي ذو القدرة على فعل كل شيء على قدر ما تقتضي الحكمة.

ب - قدر:

١ - قدر الرزق عليه ويقدر: ضيقه كقوله تعالى في سورة سبأ:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الآية ٣٦).

٢ - قدر الله الأمر بقدره: دبره أو اراد وقوعه، كقوله تعالى في سورة

المرسلات:

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (الآية ٢٣).

ج - قدر:

١ - قدر الله الأمر: قضى به أو حكم بأن يكون، كقوله تعالى في شأن زوجة

لوط، في سورة النمل / ٥٧: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

أي حكمنا، أو قضينا عليها بأن تكون من الهالكين.

٢ - قدر في الأمر: تمهل وتروى في إنجازه كقوله تعالى في سورة سبأ / ١١

مخاطباً داود (ع): ﴿وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ﴾.

أني تمهل وترؤ في صنعه كي تحكم عمله.

د - القدر:

١ - القدر: المقدار والكمية، كقوله تعالى في سورة الحجر/ ٢١ ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

أني بمقدار وكمية معلومة.

٢ - قدر الشيء: زمانه أو مكانه، كقوله تعالى في سورة المرسلات/ ٢٠ - ٢٢: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

أني إلى زمان محدد معلوم.

٣ - قدر الله: قضاؤه المحكم، أو حكمه المبرم على خلقه، كقوله تعالى في سورة الأحزاب/ ٣٨: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ أي قضاء محكماً، وحكماً مبرماً.

لعل تعدد معاني ما ينسب إلى الله من مآدتي القضاء والقدر، قد أدى إلى لبسٍ معنى ماورد منها في القرآن والحديث واعتقاد بعض المسلمين بأن الإنسان يسير في حياته، في كل ما يعمل من خير أو شر وفق ما قضى الله عليه وقدر قبل أن يخلق. ويطلق في الأخبار لفظ القدر على الجبري والتفويضي كليهما^(١). وعليه فإن القدر اسم للشيء وضده كالقرء، اسم للحيض والطهر معاً. ولأنطيل البحث بإيراد أقوال المعتقدين بذلك، والإجابة عليها، وأنا نكتفي بإيراد الأحاديث التي نجد فيها جواباً لتلك الأقوال توضيحاً وبياناً للأمر بحوله تعالى.

(١) البحار (٥/٥).

روايات من أئمة أهل البيت (ع) في القضاء والقدر

أولاً: عن أول أئمة أهل البيت علي بن أبي طالب (ع) روي في توحيد الصدوق بسنده إلى الإمام الحسن (ع)، وفي تاريخ ابن عساكر بسنده إلى ابن عباس واللفظ للأول قال:

دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين (ع): أجل يا شيخ، فوالله ما علوتم تلة ولا هبطتم بطن وإلا بقضاء من الله وقدر فقال الشيخ: عند الله أحسب عنائي^(٢) يا أمير المؤمنين، فقال: مهلاً يا شيخ، لعلك تظن قضاء حتماً وقدرًا لازماً^(٣) لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعيد والوعد، ولم يكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمدة، ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب والمذنب أولى بالإحسان من المحسن^(٤) تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء

(٢) أي ان كان خروجنا وجهادنا بقضائه تعالى وقدره لم نستحق أجراً فرجائي أن يكون عنائي عند الله محسوباً في عداد أعمال من يتفضل عليهم بفضله يوم القيامة.

(٣) بالمعنى الذي زعمته الجبرية.

(٤) لأنها في أصل الفعل سيان، اذ ليس بقدرتها وارادتها مع أن المحسن يمدحه الناس وهو يرى ذلك حقاً له وليس كذلك فليستحق اللائمة دون المذنب، والمذنب يذمه الناس وهو يرى ذلك حقاً عليه وليس كذلك فليستحق الإحسان كي ينجبر تحمله لأذى ذم الناس دون المحسن.

الرَّحْمَنُ وَقَدْرِيَّةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَجُوسُهَا. يَأْشِيخُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّفَ تَخْيِيرًا، وَنَهَى تَحْذِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُطْعَ مُكْرَهًا، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ^(٥).

قال: فنهض الشيخ وهو يقول:

«أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بَطَاعَتَهُ يَوْمَ النِّجَاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانًا»
«أَوْضَحْتَ مِنْ دِينِنَا مَا كَانَ مُلْتَبَسًا جَزَاكَ رَبُّكَ عَنَّا فِيهِ إِحْسَانًا»
«فَلَيْسَ مَعْذِرَةً فِي فِعْلٍ فَاحِشَةٍ قَدْ كُنْتُ رَاكِبَهَا فَسْقًا وَعَضِيَانًا»^(٦)

ثانيًا: عن السادس من أئمة أهل البيت (ع)، الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع): إِنَّ النَّاسَ فِي الْقَدَرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوَاجِهٍ: رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَجْبَرَ النَّاسَ عَلَى الْمَعَاصِي فَهَذَا قَدْ ظَلَمَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

ورجلٌ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ مَفُوضٌ إِلَيْهِمْ فَهَذَا قَدْ أَوْهَنَ اللَّهَ فِي سُلْطَانِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

ورجلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ كَلَّفَ الْعِبَادَ مَا يَطِيقُونَ وَلَمْ يَكْلُفْهُمْ مَا لَا يَطِيقُونَ وَإِذَا أَحْسَنَ حَمْدَ اللَّهِ وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فَهَذَا مُسْلِمٌ بِالْغِ^(٧).

ثالثًا: وعن الثامن من أئمة أهل البيت الإمام أبي الحسن الرضا (ع) قال:
أ - إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُطْعَ بِإِكْرَاهٍ، وَلَمْ يُعْصَ بِغَلَبَةٍ، وَلَمْ يُهْمَلِ الْعِبَادُ فِي مُلْكِهِ، هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ فَإِنْ أَتَمَرَ الْعِبَادُ بِطَاعَتِهِ

(٥) كما في سورة ص: ٢٧.

(٦) توحيد الصدوق (٣٨٠) وترجمة الإمام علي (ع) في تاريخ ابن عساكر (٢٣١ / ٣)

تحقيق الشيخ المحمودي.

(٧) توحيد الصدوق ص ٣٦٠ - ٣٦١.

لم يكن الله منها صَادًّا، ولا منها مانعاً، وإن أئتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فَعَلَ وإن لم يَحُلْ وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه^(٨).
يعني أن الانسان الذي اطاع الله لم يكن مجبراً على الطاعة، والانسان الذي عصاه لم يغلب مشيئة الله بل الله شاء أن يكون العبد مختاراً في فعله.
ب - قال:

قال الله تبارك وتعالى:

يا ابن آدم أبعثيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتي أديت إلي فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك^(٩).
وفي رواية عملت بالمعاصي بقوتي التي جعلتها فيك^(١٠).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) قال:

أ - لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين قال: قلت: وما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية^(١١).

ب - ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه وما لم تستطع ان تلوم العبد عليه فهو من فعل الله.

يقول الله للعبد لم عصيت؟ لم فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لم زנית؟ فهذا فعل العبد، ولا يقول له لم مرضت؟، لم قصرت؟، لم ابيضضت؟ لم اسوددت؟ لأنه من

(٨) توحيد الصدوق ٣٦١.

(٩) توحيد الصدوق ٣٢٨ / ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٦٢ والكافي ١ / ١٦٠.

(١٠) التوحيد ص ٣٦٢.

(١١) الكافي ١ / ١٦٠ والتوحيد ص ٣٦٢.

شرح الروايات

إِنَّ للجبر والتفويض جانبين:

أ - ما كان منهما من صفات الله.

ب - ما كان منهما من صفات الإنسان.

فما كان منهما من صفات الله فينبغي أخذه منه بوساطة الأنبياء، وأوصياء الأنبياء عن الأنبياء، وما كان من صفات الانسان فان قولنا: افعل هذا او لا افعله دليل على أَنَّا نَفْعَلُ ما نفعله باختيارنا، وقد عرفنا مِمَّا سَبَقَ أَنَّ سَيْر الانسان في حياته لا يشابه سَيْر الذرة والكواكب والمجرات المسخّرات بأمر الله في كلّ حرّكاتهما وما يصدر منها من آثار.

ولم يفوض الله إليه أمر نفسه وكلّ ما سَخَّرَ له ليفعل ما يشاء كما يُحِبُّ، وكما تهوى نفسه، بل إِنَّ الله أَرشده بوساطة أنبيائه كيف يؤمن بقلبه بالحق، وهداه الى الصالح النافع في ما يفعله بجوارحه، والضَّارُّ منه، فاذا اتبع هدى الله، وسار على الطريق المستقيم خطوة أخذ الله بيده وسار به عشر خطوات ثُمَّ جزاه بآثار عمله في الدنيا والآخرة سبعائة مرّة اضعاف عمله والله يضاعف لمن يشاء بحكمته ووفق سُنَّتِهِ.

وقلنا في المثل الذي ضربناه في ما سبق، بأنَّ الله أَدْخَلَ الانسان المؤمن والكافر في هذا العالم في مطعم له من نوع (سلف سروس) كما قال سبحانه في سورة الإسراء/ ٢٠: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

فلولا إمداد الله عبيده بكل ما يملكون من طاقات فكرية وجسدية، وما سَخَّرَ لهم في هذا العالم لما استطاع المؤمن أن يعمل عملاً صالحاً، ولا الضالُّ الكافر أن يعمل عملاً ضاراً فاسداً، ولو سلبهم لحظة واحدة أي جزء مما منحهم من الرؤية والعقل والصحة... ولما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً، إذاً فإنَّ الإنسان يفعل ما يفعل بها منحه الله بمحض اختياره، وبناءً على ما بيَّناه، أنَّ الإنسان لم يفوّض إليه الأمر في هذا العالم، ولم يجبر على فعلٍ بل هو أمر بين الأمرين، وهذه هي مشيئة الله وسنته في أمر أفعال العباد، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

- ٣ -

أسئلة وأجوبة

وفي هذا المقام ترد الأسئلة الأربعة الآتية:

السؤال الأول والثاني: كيف يكون الانسان مختاراً في ما يصدر منه من فعل، مع تسلط الشيطان عليه من حيث لا يراه، واغوائه بما يوسوس إلى قلبه ويدعوه الى فعل الشر؟

وكذلك شأن الإنسان الذي يعيش في المحيط الفاسد الذي لا يرى فيه غير الشر والفساد أمراً؟

السؤال الثالث: ماذا يستطيع أن يفعل الإنسان الذي لم تبلغه دعوة الأنبياء في بعض الغابات؟

السؤال الرابع: ما ذنب ولد الزنا، وما جُبل عليه من حب فعل الشر بسبب فعل والديه؟

ونجد الجواب عن السؤالين الأول، والثاني في ما أوردناه في بحث الميثاق بأول الكتاب، بأن الله تبارك وتعالى أتمَّ الحجة على الإنسان بما اودع فيه من غريزة البحث عن سبب وجود كل ما رآه والتي توصله الى معرفة مُسبب الأسباب، ولذلك قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف/١٧٢: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. فكما أن الإنسان لن يغفل عن غريزة الجوع في حال من الأحوال حتى يملأ جوفه بالطعام كذلك لن يغفل عن غريزة طلب

المعرفة حتى يعرف مُسَبَّب الأسباب وفي الجواب عن السؤال الثالث نقول: قال الله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦).

أما السؤال الرابع، فجوابه: إنَّ ولد الزنا - أيضاً - ليس مجبوراً على فعل الشرِّ، وكلَّ ما في الأمر أنَّ الحالة النفسيَّة للوالدين في حال ارتكابها الزنا وما يريان من نفسيهما بأنَّهما باشرا بفعلهما خيانة المجتمع وإن المجتمع يتقدَّر من فعلهما ويحتقرهما ويعاديهما لو أطلع على فعلهما وأنَّهما عند ارتكابها الرذيلة في حالة معاداة للنزيهين من تلك الفعلة في المجتمع والذين هم أبرار المجتمع وأخياره والمتمسِّكون بفضائل الأخلاق والمعروفون بكل ذلك في المجتمع؛ وعليه فإنَّ تلك الحالة النفسيَّة العدائيَّة منهما للمجتمع وأبراره تؤثر على النطفة حين انعقادها وتنتقل بالوراثة إلى ما يتكوَّن من تلك النطفة، فإنَّه يجبل على حبِّ الشرِّ والعداء للخيرين والمعروفين بالفضيلة في المجتمع، ومن الأمثلة على ذلك زياد بن أبيه وولده ابن زياد في ما ارتكباه زمان امارتهما في العراق^(١٣)، وخاصَّة ما فعله ابن زياد بعد استشهاد الإمام الحسين (ع)، مع جسده الشريف وأجساد المستشهدين معه من آل الرسول (ص) وأنصارهم من التمثيل بهم وحمله رؤوسهم من بلد إلى بلد وسوقه بنات الرسول (ص) سبايا إلى الكوفة وسائر ما عاملهم بها في حين أنَّه لم يبق بعد استشهاد الإمام الحسين (ع) أيِّ مقاوم لحكمهم ولم يكن أي مبرر له عندئذ في كل ما فعل من ظلم واستهانة بمقامهم في المجتمع عدا حبه في كسر شوكة أشرف بيت في العرب وأفضله وتوهينهم وحبه للشرِّ وعدائه الجبليِّ الفطري للأكرمين في المجتمع.

وبناءً على ذلك يكون حبُّ الشرِّ والرغبة في إيذاء الخيرين والمعروفين

(١٣) راجع بحث استلحاق زياد في المجلد الأوَّل من كتاب عبدالله بن سبا للمؤلف، وبحث استشهاد الإمام الحسين (ع) في المجلد الثالث من معالم المدرستين.

بالفضيلة في المجتمع فطري في ولد الزنا على عكس ولد الزواج الحلال والذي ليس من فطرته حب الشر والرغبة في إيذاء الخيرين في المجتمع ولكنهما مع كل ذلك ليسا مجبورين على القيام بكل ما يفعلانه ويتركانه من خير وشر وإنما مثلهما في ما جُبلَا عليه مثل شاب مكتمل الرجولة في الجسد وما يتمتع به من حيوية دافقة وشهوة عارمة للجنس مع شيخ هرم ناف على التسعين وتهدمت قواه، يعاني الفتور وفقدان القوى الجسدية، منصرف عن الشهوة الجنسية وفي عدم تمكن الأخير من ارتكاب الزنا وتوفر القوى الجنسية في الأول؛ فإن الشاب القوي مكتمل الرجولة - أيضاً - غير مجبور على ارتكاب الزنا في ما إذا ارتكب ذلك ليكون معذوراً في ارتكابه الرذيلة، وأما إذا تيسر له ارتكاب الزنا وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى^(١٤) على عكس الشيخ الهرم فإنه لا يُثاب على تركه الزنا لأنه لم يترك الزنا مع قدرته عليه.

وهكذا كلما تعمقنا في دراسة أي جانب من جوانب حياة الانسان، وجدناه مختاراً في ما يصدر منه من فعل، عدا ما يصدر منه عن غفلة وعدم تنبه.



إلى هنا كان محور البحوث في بيان عقائد الإسلام من آيات القرآن الكريم، وفي ما يأتي ندرس بإذن تعالى سيرة المبلغين عن الله من القرآن الكريم أولاً، ومما نجد فيه شرحاً وبياناً للآيات الكريمة في التوراة والإنجيل وكتب السيرة.

(١٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النازعات / ٤٠: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَبِإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾.

الملاحق

الملحق رقم (١)

بدء الخلق وبعض صفات المخلوقين في الروايات

أولاً - روى أحمد وابن سعد وأبو داود والترمذي بسندهم عن رسول الله قال:

(إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك...) الحديث^(١).

وروى ابن سعد عن رسول الله (ص) ما موجه:
(لما ركب آدم الخطيئة بدت له عورته فكان لا يراها قبل ذلك)^(٢).

ثانياً - ورد عن الإمام علي في بدء الخلق:
أ - ما رواه المسعودي بسنده عن الإمام علي (ع) في كلام أوجز فيه بدء الخلق وقال (ع):
(...فسطح الأرض على ظهر الماء، وأخرج من الماء دخاناً فجعله السماء،

(١) سنن الترمذي (١١/١٦) ج ١ من تفسير سورة البقرة وسنن أبي داود كتاب السنة باب ١٦ ومسند أحمد (٤/٤٠٠ و ٤٠٠٦) وطبقات ابن سعد ط.اروبا (١/١ ق ٦٠٥) واللفظ للترمذي.
(٢) طبقات ابن سعد ط.اروبا ج ١/١ ق ١٠.

ثم استجلبها الى الطاعة فأذعنتا بالاستجابة، ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها، وأرواح اخترعها، وقرن بتوحيده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فشهرت في السماء قبل بعثته في الأرض، فلما خلق الله آدم أبان فضله للملائكة، وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفه عند استنبائه إياه أسماء الأشياء، فجعل الله آدم محراباً وكعبة وباباً وقبلة أسجد إليها الأبرار والروحانيين الأنوار، ثم نبه آدم على مستودعه، وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه، بعدما سباه إماماً عند الملائكة^(٣).

ب - وذكر لك الخلق مفصلاً في الخطبة الأولى من نهج البلاغة وقال:
(... أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا هامة نفس اضطرب فيها أحال الأشياء لأوقاتها ولآلام بين مختلفاتها وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها عالماً بها قبل ابتدائها، مُحيطاً بِحُدُودِها وانتهائها عارفاً بقرائنها وأحنائها. ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء، وسكائك الهواء فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره متراكباً زخاره. حملة على متن الريح العاصفة، والززعز القاصفة. فأمرها برده وسلطها على شده، وقرنها إلى حده. الهواء من تحتها فتق والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها وأدام مربها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفاً بالفضاء ترد أوله إلى آخره وساجيه إلى مائره. حتى عب عبابه. ورمى بالزبد

(٣) مروج الذهب (١/ ٤٣).

رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوْ مُنْفَتِقٍ فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ
مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَسَمَكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا
دِسَارٍ يَنْظُمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً
مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيراً: فِي فَلَكَ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ
السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ
لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ. لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمٌ الْعَيْنِ،
وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النُّسَيَانِ. وَمِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ،
وَالسِّنَّةُ إِلَى رُسُلِهِ، وَمَخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ
لَأَبْوَابِ جَنَانِهِ. وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ
الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ.
نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنَحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ
حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ. لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ
صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحِدِّثُونَ بِالْأَمَاكِينِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا تَرْبَةً سَنَهَا
بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ. وَلَا طَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ فَجَعَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَحْنَاءِ
وُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَاصِلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ
لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَمِدٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَاناً ذَا أُذْهَانٍ
يُجِيلُهَا، وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ
بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ
الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَشْيَاءِ الْمُتَوَلِّفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنْ

الْحَرُّ وَالْبَرْدُ، وَالْبَلَّةُ وَالْجُمُودُ، وَاسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (أَسْجُدُوا لِأَدَمَ) فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ وَاسْتَهَوْنَ خَلْقَ الصَّلَاحِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ.... الخطبة.

ج - روى المجلسي في البحار في أنه (ع) ذكر تفصيل خلق الملائكة وقال (ع): وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سمواتك، فليس فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا فيهم معصية هم أعلم خلقك بك، وأخوف خلقك منك، وأقرب خلقك إليك، وأعملهم بطاعتك ولا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، لم يسكنوا الأضلاب ولم تضمهم الأرحام، ولم تخلقهم من ماء مهين، أنشأتهم إنشاء فأسكنتهم سمواتك وأكرمتهم بجوارك واثمنتهم على وحيك، وجنبتهم الآفات، ووقيتهم البليات وطهرتهم من الذنوب، ولولا تقويتك لم يقووا، ولولا تثبيتك لم يشبوا، ولولا رحمتك لم يطيعوا، ولولا أنت لم يكونوا، أما إنهم على مكانتهم منك وطواعيتهم إياك ومنزلتهم عندك وقلة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا ما خفي عنهم منك لاحتقروا أعماهم، ولأزروا على أنفسهم، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حقَّ عبادتك، سبحانه خالقا ومعبوداً ما أحسن بلاءك عند خلقك^(٤).

(٤) البحار (٥٩ / ١٧٥ - ١٧٦) نقلاً عن تفسير القمي (٥٨٣)

شرح الكلمات

أ - الرَوِيَّة:

النظر والتفكير.

ب - هَمَامَةُ النفس:

أهمُّ الأمر إذا اقلقه وأحزنه.

ج - أَحَالَهَا:

حوَّلَهَا من العدم الى الوجود في اوقاتها.

د - لَأَمَّ:

لَأَمَّ بين الشيئين: جمع بينهما ووافق كما قرن النفس الروحانية بالجسد

المادّي في الإنسان.

هـ - غَرَّزَ الْغَرَائِزَ:

الغرائز جمع الغريزة: الطبيعة وغرَّز الغرائز: اودع في كل مخلوق طبيعته.

و - أَلَزَمَهَا أَشْبَاحَهَا:

شَبَّحَ الشَّيْءَ: بدا غير جليّ والشبح ما بدا لك شخصه غير جليّ من بعد

وَشَبَّحَ الشَّيْءَ: ظلّه وخياله، يقال: هم اشباح بلا ارواح.

والزم الغرائز أشباحها أي ألزم صاحب الطبيعة طبيعته فهي تلازمه

ولا يكون الشجاع مثلاً: جباناً.

ز - عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا:

القرائن جمع القرين المصاحب والأحناء جمع الحنو: الجانب وما اعوج

من كل شيء، جسداً كان او غير جسد والحنو عندئذ كناية عما خفي من الشيء

وأحناء الأمور: مشتبهاتها ويكون المعنى عارفاً بجميع ما يقترن بالخلق ويخفى

فيهم من طبائع وصفات.

ح - أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكاسك الهواء فتق الشيء: شَقَّهُ.

والأرجاء: جمع رَجَأ: الجانب.
وَسَكَاثُك جمع سُكَاكَة مثل ذَوَائِب: الهواء الملاقي عنان السماء والمعنى: خلق الفضاء المنبسط والهواء الذي علا الفضاء في جميع جوانب هذا الكون.
ط - فاجرى منها ماءً متلاطماً، تياره متراكماً زخاره.

والزخار: شديد الجري والامتداد والارتفاع، والمعنى أجرى في الفضاء ماء يضرب بعض موجه بعضاً الآخر راكباً بعضه، فوق بعض الآخر الشديد الجري.
ي - حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ العاصِفَةِ والزُّعْزَعِ: زَعَزَعَهُ: حَرَّكَه بشدة والزُّعْزَعِ: من الريح: الشديدة والقاصِفة، قصف الرعد: اشتدَّ صوته.

ك - فَأَمَرَهَا بِرُدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شِدِّهِ وقرنها الى حدّه: أي أمر الريح برّد الماء من الهبوط وسلط الريح على شد وثاقه كأنه سبحانه اوثق الماء بالريح وقرنها الى حدّه اي جعل الماء مماساً لسطح الريح.

ل - الهواء من تحته فتيق، والماء من فوقها دفيق فتق الشيء: شقه فهو فتيق ودفق الماء: صبّه فهو دقيق والمعنى: الهواء تحت الماء منبسط والماء فوق الهواء مصبوب.

م - أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مَهَبُهَا وأدام مِرْبُهَا وأغصف مجراها وأبعد منشأها.

اعتقم: الريح العقيم التي لا تلحق سحاباً ولا شجراً أي جعل هبوب الريح لتحريك الماء حسب.

ومِرْبُهَا: أَرَبَتْ الريح: دامت اي ادام هبوبها بلا توقف.
وَأَغْصَفَ: عصفت الريح اشتد هبوبها والمعنى جعل سبحانه جريان الريح شديداً.

س - فأمرها بتصفيق الزخار واثارة موج البحار:

صَفَقَ الشَّيْءَ: ضربه ضرباً يسمع له صوت وصفقة مبالغة في الضرب والاثارة. اثارُهُ إثارة: هبَّجه ونشره فمحسه محض السقاء للماء.

ع - وعصفت بها عصفا بالفضاء ترُدُّ أوله إلى آخره وساجيه الى مائره حتَّى عبَّ عبابه ورمى بالزبد ركامه:

محض السقاء التي فيها اللبن حركه تحريكاً شديداً ليخرج الربد من اللبن.

ساجيه: الساجي، الساكن والمائر الذي يذهب ويجيء او المتحرك وعبَّ عبابه: ارتفع اعلاه، وركامه ماتراكم مِنْهُ بَعْضُهُ على بعض المعنى عصفت الريح الماء بالفضاء ومخضته كما يُمَخَضُ اللبن بالسقاء ورمته بالفضاء ترُدُّ أوله إلى آخره وساكنه الى متحركه حتى ارتفع اعلاه ورمى بالزبد ما تراكم منه.

ف - فرفعه في هواء منفق وجوَّ منفق فسوى منهن سبع سموات. منفق: مفتوح واسع والمعنى: رفع زَبَدَ الماء في هواءٍ مفتوقٍ وجوٍّ واسعٍ وسوى سبحانه من ذلك الركام سبع سماوات.

ص - جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهنَّ سقفا محفوظاً وسمكا مرفوعاً بغير عمد يدعمها ولا دِساٍ ينظمها.

المكفوف: المنوع من السيلان، والسَّمَك: السَّقْف المرتفع والدِّساٍ جمع الدُّسر: المسامير أو الخيوط تشد بها الواح السفينة من ليف ونحوه والمعنى جعل الله سبحانه سماء الدنيا من أول أمره موجاً ممنوعاً من السيلان وعليها السموات: سقفاً محفوظاً عالياً بلا عمد ولا مسامير يشد بعضها الى بعض.

ق - ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مَنيَراً.

الثوابق: جمع الثاقب المنير المشرق والمستطير منتشر الضياء والمقصود

منه الشمس.

ر - في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر:

الرقيم: المرقوم: المكتوب والمائر: المتحرك أسمى مدار الكواكب ومنطقة سيرها من السماء فلّكاً والمعنى: جعل الشمس سراجاً منيراً في فلكها أي مدارها في الجو والقمر كوكباً منيراً في فلكه أي مداره في الجو وسقف سائر ولعلّ المعنى ان الشمس والقمر مع فلكيهما في سقف سائر أي في المجرة التي تحويهما وتسير بهما في مجراها.

الملحق رقم (٢)

مُقتبس من مَقال لحافظ محمد سليم في مجلّة الثقافة
الباكستانية إصدار سفارة جمهورية باكستان الإسلامية في
دمشق، العدد: ٢٦ شباط - آذار / ١٩٩١ م.

أصل الكون في القرآن الكريم

الكون كلمة تعبرُ عما هو موجود خارجاً عبر الظواهر الطبيعية بما في ذلك كافة الخلق والنجوم والكواكب وتوابعها وما إلى ذلك من ظواهر أُخرى. ويتألف الكون، حسب ما هو مبين في موسوعة ماكميلان (Macmillan Encyclopedia)، من كل الأجسام التي يمكن التعرف عليها كالأرض والشمس وأجسام المجموعة الشمسية والمجرات وما بينها من أشياء.

كما يضم الكون الصخور والمعادن والغازات والتراب والحيوانات والكائنات الإنسانية وما إلى ذلك من أجسام ثابتة ومتحركة. ويلجأ الفلكيون إلى استعمال كلمة «الكون» للإشارة إلى الفضاء وكل ما يحويه من أجرام سماوية. أما فيما يتعلق باتساع وفساحة الكون فإن الأرض والشمس والكواكب ما هي سوى نقاط بالغة الصغر، والشمس هي نجم منفرد ضمن مجرات تضم ما يقارب المائة ألف مليون نجم.

أما الأرض والكواكب الأخرى التي تدور حول الشمس فتشكل أبعاداً دنيوية منتظمة تبدو في منظرنا البشري ضخمة هائلة.

فالأرض تبعد عن الشمس بما يُقارب ثلاثة وتسعين مليون ميلاً، وهذا الرقم في منظار البشر يشكل مسافة هائلة؛ إلا أنه صغير جداً إذا ما قورن بالمسافة التي تفصل الشمس عن أبعد الكواكب ضمن المجموعة الشمسية. فعلى سبيل المثال تقدّر المسافة بين بلوتو والأرض بأربعة أضعاف المسافة بين الأرض والشمس أي

ما يُقارب ٣٦٧٢ مليون ميلاً. إنَّ مسافة كهذه إذا ما ضوعفت فإنَّها تمثِّل الأبعاد الأكثر ضخامة لنظامنا الشمسي.

هناك نظريات عديدة معلنة حول أصل الكون غير أنَّ أحدثها هي التي تُعرف بنظرية بنغ بانغ (Big Bang Theory)، التي تقدِّم بها جورج لامبتر عام ١٩٢٠م والتي تنصُّ على أنَّ كلَّ المادَّة والإشعاعات في الكون جاءت نتيجة انفجار هائل تشكَّل الكون بعده بصورته الفسيحة وما زالت تلك العملية في حالة إستمرار. وحسب هذه النظرية فإنَّ الانفجار حدث قبل حوالي ١٠ - ٢٠ ألف مليون سنة، ونظراً إلى أنَّ درجة الحرارة الأولى العالية للهيدروجين والهيليوم كانت كافية لتشكيل الوفرة الكونية الملحوظة من الهيليوم، فإنَّ ذلك يتوافق بشكل حسن مع القيمة التنبؤية. وفي نهاية الأمر حدث تفاعل لهذه المادَّة ممَّا أدَّى إلى تشكُّل المجرَّات. وقد كانت تلك الكتلة الضخمة موجودة في الكون في الماضي السحيق، ثمَّ لسبب ما انفجرت تلك المادَّة، قاذفةً المواد المتفجرة نحو الخارج كما يحدث عند انفجار القنبلة، وكان ذلك الانفجار أصل الخلق بالنسبة للكون.

وهناك اكتشاف مدهش آخر لافَت للنظر حول الكون يُدعى قانون هوبل حول توسيع الكون (Hubble's Law of Expanding Universe). وحسب هذه النظرية فإنَّ توسُّع الكون عملية مستمرة وأنَّ هذا التوسُّع موحد الخواص أي أنَّ خصائصه متساوية في كلِّ الإتجاهات.

وتبيِّن هذه النظرية أنَّ الضوء القادم من المجرَّات البعيدة خاضع لما يُعرف بالنقلة الحمراء (Red Shift)، أي الانزياح الشامل نحو أطوال موجات أكثر سعة لخطوط الطيف المتعلِّقة بالأجسام السماوية. وينجم ذلك عن ارتداد المجرَّات عنَّا.

وقد ظهر مؤخراً أنَّ العلماء كشفوا النُّقاب عن مجرَّات عملاقة تبدو أكبر حجماً بكثير من المجرة التي تُعرف باسم درب اللبَّانة (Milky Way). وتبعد تلك

المجرات عن أرضنا عشر بلايين من السنين الضوئية. وقد تمّ التعرف على هذه المجرات للمرّة الأولى، وربما ساعدت العلماء على تحديد فيما إذا كان الكون في حالة من التوسّع اللانهائي أو أنّه محتوم عليه أن يتداعى نحو الداخل.

أمّا القرآن الكريم - وهو خاتمة الرّسالات من جانب الخالق - فإنّه يكشف بوضوح كامل عن حقائق أساسية حول خلق الكون، وهو يشرح أنّ كل ما في الكون ناجم عن عملية الخلق التي قام بها الخالق عزّ وجلّ.

وقد خلق الله الشمس والقمر والسّموات والأرض وما بين ذلك بتقدير وتناسب. وحول ذلك يبيّن القرآن الكريم بقوله:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(البقرة / ١١٧)

وتشير هذه الآية الكريمة إلى أنّ الله هو خالق السّموات والأرض.

وكلمة بديع تدلّ على وجود شيء من العدم. وفي كتابه «المفردات» يبيّن العلامة راغب بأنّ كلمة بدع تعني تكوين شيء ما دون الحاجة إلى مادّة أو نموذج. وعندما تستخدم كلمة بديع كصفة من صفات الله الحُسنى فإنّها تعني أنّ الله عزّ وجلّ هو الذي خلق الأشياء من العدم. والقرآن الكريم يقول في موضع آخر:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(الأنعام / ٧٣)

ويقول العلامة راغب أنّ كلمة الحق تستعمل للإشارة إلى شيء جديد لا مثال له. لكنّها عندما ترتبط بوصف الخالق فإنّها تعني خلق شيء جديد من العدم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. كذلك يشير القرآن الكريم إلى خلق الظواهر الكونيّة والفيزيائية بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ وفي موضع آخر: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿يونس / ٥﴾.

كما يبين الله عظمة خلقه بقوله:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾.

(الأحقاف / ٣٣)

إن الآيات الكريمة التي تم ذكرها توضح أن الله عز وجل خلق هذا العالم المحسوس بتقدير وميزان وهو قادر على أن يعيد خلقه، وأن أمره هو الأصل في خلق المادة والطاقة وكل القوانين الفيزيائية والقوى التي تتحكم بحركتها.

طريقة الخلق:

شرح القرآن الكريم طريقة خلق الكون في مواضع مختلفة.

غير أن الآيات الآتية يمكن أن تقدم تلخيصاً موجزاً للظواهر التي تشمل الطريقة الأساسية لخلق الكون.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾.

(الأنبياء / ٣٠)

وتتحدث الآية الثانية عن تشكّل السموات بعد خلق الأرض وتعكس عملية التتالي في عملية الخلق:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

(فصلت / ١١)

تكشف الآية الأولى الحقائق التالية:

١ - أن المادة التي دخلت في خلق الكون كانت ذات كينونة واحدة.

٢ - أن الكون بأكمله كان مترابطاً كقطعة واحدة.

الحقائق قبل ١٤٠٠ سنة، في الوقت الذي لم يكن فيه أي أثر لآية بحوث علمية. كما يكشف القرآن الكريم أيضاً عن الحقائق المذكورة في نظرية هوبل حول توسع الكون، في الآية الكريمة التي تقول: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات/ ٤٧).

وعندما نحاول فهم التوسع الكوني على ضوء المعرفة الحديثة، نعرف أن الهيدروجين الموجود في الشمس في حالة تحوّل مستمر إلى عنصر الهيليوم بفعل الانصهار النووي، وأن الغبار النجمي (Stardust) والذي هو عبارة عن كتل من النجوم تبدو بالغة الصغر وكأنها ذرات غبار، ما هو إلا وقوداً نووياً عالي الدرجة.

وهكذا فإن الكون بأكمله مؤلف أو مبني من قدرة أو طاقة محمّلة وهي في حالة توسع مستمر. وترتكز هذه النتائج على الافتراض الذي يقول بأن الانتقال أو التحوّل الأحمر (Red Shift) ناتج عن تأثير دوبلر على الضوء من الأجسام المتراجعة مع إمكانية قياس سرعة التراجع.

وحول رحابة وتوسع الكون نجد في القرآن الكريم كلمة على جانب كبير من الأهمية في هذا المجال وهي كلمة «العالمين» التي تظهر عشرات المرات في القرآن الكريم كما في الآيات التالية:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

(البقرة/ ٢٥١)

﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(الأنعام/ ١٦٣)

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

(الأعراف/ ٥٤)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

(الأنبياء/ ١٠٧)

٣- أن الانفصال حدث بشكل منتظم كي ينتج عنه القوانين الفيزيائية وترتيب المادّة. وليس الأمر مرتبطاً بالنظام الذي يميّز مجموعتنا الشمسية والكواكب الداخلة في مجرتنا فحسب، بل أن المجرات هي جزء في نظام أعلى. وبدلاً من تناثر المجرات بصورة عشوائية في أرجاء الكون، فإنها مرتبة على شكل مجموعات، وضمن تلك المجموعات تدور المجرات حول كتلتها المركزية المشتركة.

وقد نقل ابن كثير بعض التفسيرات المبكرة للآية، حيث ورد أن السّماء كانت قطعة واحدة متكاملة، وقام الله عزّ وجلّ بتقسيمها إلى سبع سموات، وأنّ الأرض كانت كذلك قطعة واحدة وأنّ الله عزّ وجلّ قسمها إلى سبعة أراضٍ. بينما أوضح بعضهم أن الأرض والسّماء كانتا كلاً واحداً وأنّها انفصلا عن بعضها بواسطة الغلاف الجوّي.

وقد تبنّى الدكتور موريس بوكيل في الآونة الأخيرة موقفاً قريباً جداً من موقف العلماء المسلمين حول تفسير تشكّل الكون على ضوء الآيات القرآنية الكريمة. فهو يشير إلى «فكرة تفكّك الكل إلى أجزاء عديدة بمعنى أن عملية الانفصال من كتلة أحادية رئيسية التحمت عناصرها في بداية الأمر (كانت رتقاً). وكلمة فتق تعني الانفصال أو التفكّك والانتشار، بينما تعني كلمة (رتق) الارتباط والالتحام من أجل تكوين كل متجانس».

وطبقاً للنظرية العلمية المعاصرة فإنّ ما يعرف بالانفجار الكوني (Big Bang) كان قد وقع نتيجة حدث تحفيزي واحد في وقت واحد وفي درجة حرارة عالية بشكل استثنائي. ويفترض بأنّه في تلك الأثناء من الانفجار كان الكون بأكمله عبارة عن جزء واحد في نقطة واحدة حدث فيها الانقسام. غير أن القوانين الفيزيائية لم تحدث نتيجة ذلك الانفجار. وهنا نجد أن هذه النظرية مشابهة من حيث معلوماتها للمعلومات الواردة في القرآن الكريم.

ومما يدعو إلى الدهشة والغرابة أن نجد بأنّ القرآن الكريم كشف عن هذه

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

(القصص / ٢٨)

إِنَّ الْآيَاتِ الْآنِفَةَ الذِّكْرُ تَشِيرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ السَّيِّدُ وَالْخَالِقُ وَالْحَافِظُ وَالْمُنْظِمُ لِلْعَالَمِ بِمَعْنَاهِ الْوَاسِعِ. فَكَلِمَةُ الْعَالَمِينَ تَضِيفُ مَفْهُومَ التَّعَدُّدِ لِلْكَوْنِ. وَهَنَّاكَ بِلَايِينَ مِنَ الْمَجْمُوعَاتِ الْكَوَاكِبِيَّةِ وَأَنَّ كُلَّ مَجْمُوعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَجْرَّاتِ تَضُمُّ بِلَايِينَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ. وَلَوْ أَنَّ نَجْمًا وَاحِدًا مِنْ بَيْنِ ١٠٠٠٠٠٠ رِيبًا مِنْ الْمِائَةِ أَلْفِ مِلْيُونِ نَجْمٍ الْمَوْجُودَةِ فِي مَا يَعْرِفُ بِدَرْبِ اللَّبَّانَةِ كَانَ يَضُمُّ كَوْكَبًا مِثْلَ كَوْكَبِنَا الْأَرْضِيِّ، فَسَيَعْنِي ذَلِكَ وَجُودَ مِلْيُونِ كَوْكَبٍ يُمْكِنُهُ الْإِتِّصَالُ مَعَ الْأَرْضِ. وَعَلَى ضَوْءِ عِلْمِ الْكَوْنِ الْحَدِيثِ يُمْكِنُ التَّوَقُّعُ بِحُدُوثِ اتِّصَالَاتٍ نَاشِطَةٍ مَعَ الْكَوَاكِبِ الْآخَرَى فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْمَنْظُورِ.

لَقَدْ قَدَّمَ الدُّكْتُورُ مَوْرِيْسُ بُوْكِيْلُ مَعْلُومَاتٍ عِلْمِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِضَخَامَةِ الْكَوْنِ وَسَعْتِهِ. فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ تَحْتَاجُ أَشْعَةُ الشَّمْسِ كَيْ تَصِلَ إِلَى بِلُوتُو مَا يُقَارِبُ السَّتَّ سَاعَاتٍ رَغْمَ أَنَّ السَّرْعَةَ فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ تَزِيدُ عَلَى ١٨٦.٠٠٠ مِيلًا فِي الثَّانِيَةِ. وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الضَّوْءَ الْقَادِمَ مِنَ النُّجُومِ الَّتِي تَقَعُ فِي نِطَاقِ عَالَمِنَا السَّمَاوِيِّ قَدْ يَسْتَفِرِّقُ بِلَايِينَ السَّنِينَ كَيْ يَصِلَ إِلَيْنَا. إِنَّ هَذَا التَّحْلِيلَ الْمَوْجُزَ لِعَالَمِ الطَّبِيعَةِ رِيبًا يَسَاعِدُنَا عَلَى فَهْمِ مَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذَّارِيَّاتُ / ٤٧).

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ الرَّمَادِ وَالْدُّخَانِ فِي بَدَايَةِ تَارِيخِ الْكَوْنِ، يَكْشِفُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾. إِنَّ وَجُودَ «الدُّخَانِ» فِي بَدَايَةِ الْكَوْنِ يَشِيرُ إِلَى الْحَالَةِ الْغَازِيَّةِ لِلْمَادَّةِ الْمَكُونَةِ لَهُ. وَفِي الْعِلْمِ الْحَدِيثِ يَطْرَحُ الْبَاحِثُونَ فِكْرَةَ الْغَيْمَةِ السَّيْمِيَّةِ (Nebula) الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْكَوْنُ فِي مَرَاكِلِهِ الْأَوَّلَى.

وَعِنْدَمَا نَقْرَأُ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ وَ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾،

ندرك بأنّ عملية تشكّل الكون جاءت نتيجة تكاثف الغيوم السديميّة الأولى ثم انفصالها. وهذا ما يكشف عنه القرآن بوضوح عندما يشير إلى العمليات التي أحدثت الالتحام ثم الانفصال الذي كان في الأساس «دُخاناً» سماوياً. وهذا ما يحاول العلم الحديث شرحه حول أصل الكون.

ترجمة: فاروق مشهور

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٩	المقدمة
١٥	مخطّط البحوث
١٩	١ - الميثاق
٢١	(١) و (٢) ألسن برئكم وحركة الدماغ
٢٣	(٣) تفسير الآية
٢٣	(٤) المحيط والوالدان لا يجبران الإنسان على أمر
٣١	٢ - بحوث الألوهية
٣٣	أ - هل خلق الخلق مصادقة
٣٥	ب - معنى الإله
٣٨	ج - معنى لا إله إلا الله
٤٠	عود على بدء
٤٧	د - الله بنات وبنون؟
٥٩	٣ - أصناف خلق الله في القرآن الكريم
٦١	١ - الملائكة
٦٨	تخيّلات عن عالم الغيب

٦٨	وسائل العلم والمعرفة
٧١	٢ - السماوات ، والأرض وسماؤها
٧١	أولاً: السماء والسماوات
٧٢	ثانياً: الأرض
٧٣	ثالثاً: بدء الخلق
٨١	أولاً: خلق الأرض
٨٢	ثانياً: خلق الكواكب
٩٤	٣ - الدواب
٩٦	٤ - الجنّ والشیاطین
٩٦	أ - الجنّ والجان
٩٨	ب - الشیطان
٩٩	ج - إبليس
١٠٥	الجنّ في التفسير بالمأثور
١١٢	٥ - الإنسان
١٢٠	إمتحان الله للخلق ذي العقل
١٢١	آدم وحواء
١٢١	أين كانت جنة آدم؟
١٢٤	نقلة من حال إلى حال
١٢٤	أولاً: الملائكة ومعهم إبليس
١٢٥	ثانياً: آدم وحواء
١٢٨	٦ - شرح الآيات وتفسيرها من الروايات
١٢٨	أولاً: عن الرسول (ص)
١٢٩	ثانياً عن الإمام عليّ (ع)

أ - في خلق الملائكة	١٢٩
ب - في بدء الخلق	١٢٩
ج - في خلق الإنسان	١٣٠
د - في خلق الجن والشيطان وإبليس	١٣١
هـ - في أمر الروح	١٣٢
و - معنى سجود الملائكة لأدم (ع)	١٣٣
ثالثاً: عن الإمام محمد الباقر (ع)	١٣٧
رابعاً: عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع)	١٣٧
خامساً: عن الإمام الرضا (ع)	١٣٨
٤ - بحوث الربوبية	١٤١
١ - الرب	١٤٣
٢ - وما رب العالمين؟	١٤٧
أولاً: معنى رب العالمين في القرآن الكريم	١٥٠
ثانياً: حصر الربوبية في الله جلّ اسمه	١٥٣
أولاً: التسوية للإنسان	١٥٤
ثانياً: التسوية للحيوان	١٥٥
ثالثاً: التسوية للمسخرات من خلق الله	١٥٥
رابعاً: التسوية للملائكة	١٥٦
٣ - أنواع هداية رب العالمين لأصناف الخلق	١٦١
أولاً: التعليم المباشر للملائكة	١٦١
ثانياً: التسخير للمسخرات	١٦٦
ثالثاً: الإلهام الغريزي لصنف كل ذي روح حيواني	١٧٠
رابعاً: التعليم بالوحي بواسطة الرسل لصنفي الإنس والجن	١٧٢
٥ - الدين والإسلام	١٧٩

أ - الدِّين	١٨١
ب - الإسلام والمسلم	١٨٢
ج - المؤمن والمنافق	١٨٣
النفاق والمنافق	١٨٤
د - الإسلام إسم لجميع الشرائع	١٨٥
هـ - تحريف الشرائع السابقة وتحريف أسمائها	١٨٧
أ - تسمية اليهود	١٨٧
ب - تسمية النصارى	١٨٧
ج - تحريف الشريعة	١٨٨
أ) تحريف اليهود لشريعة موسى (ع)	١٨٨
ملخص الإصحاح الثاني	١٨٨
الإصحاح الثالث	١٨٩
ب) تحريف النصارى	١٩١
التثليث عند النصارى	١٩١
و - تناسب أحكامه مع فطرة الإنسان	١٩٣
ز - الإنسان والنفس الأمارة بالسوء	١٩٧
ح - مشاركة الجن والإنس في شريعة الإسلام	٢٠١
تفسير الآيات من الروايات	٢٠٣
٦ - مبلِّغون عن الله ومعلّمون للناس	٢٠٧
١ - النّبِيّ والرسول والوصيّ	٢٠٩
أ - النّبِيّ والنّبوة	٢٠٩
ب - الرسول	٢١٠
الوصيّ والوصيّة	٢١٣
٢ - بعض أخبار الأوصياء في كتب العهدين	٢١٨

أ - وصية كليم الله موسى (ع) لنبي الله يوشع (ع)	٢١٨
ب - وصية نبي الله داود (ع) لنبي الله سليمان (ع)	٢١٩
ج - وصية عيسى (ع) للحواري شمعون بطرس	٢١٩
اخبار الرسل والأوصياء في القرآن الكريم	٢٢٠
٣ - الآية والمعجزة	٢٢٢
٧ - صفات المبلغين عن الله	٢٢٩
١ - ابليس لاسلطان له على خلفاء الله في الأرض	٢٣١
٢ ، ٣ - أثر العمل وخلوده وعصمة خلفاء الله	٢٣٦
٤ - روايات مكذوبة	٢٤٠
تأويل الآيات في روايات مدرسة الخلفاء	٢٤١
أ - رواية وهب بن منبه	٢٤١
ب - رواية الحسن البصري	٢٤٣
ج - رواية يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك	٢٤٤
دراسة أسانيد الروايات	٢٤٥
أ - وهب بن منبه	٢٤٥
ب - الحسن البصري	٢٤٥
رأيه	٢٤٦
قيمة رواياته	٢٤٦
ج - يزيد بن أبان الرقاشي	٢٤٧
أ - عن زهده	٢٤٧
ب - عن رأيه	٢٤٨
ج - عن قيمة رواياته	٢٤٨
وفاته	٢٤٨
دراسة متون الروايات	٢٤٩

أولاً - رواية وهب	٢٤٩
ثانياً - رواية الحسن البصري	٢٤٩
ثالثاً - رواية يزيد الرقاشي	٢٥٠
خبر زواج الرسول بزینب بنت جحش في الرواية	٢٥٣
أ - الآيات في خبر زواج الرسول (ص) بزینب بنت جحش	٢٥٣
ب - تأويل الآيات في روايات مدرسة الخلفاء	٢٥٤
دراسة الروایتين	٢٥٤
أ - سندهما	٢٥٤
ب - متنها	٢٥٥
خبر زواج زینب بزيد أولاً ثم بالنبي (ص) بعد طلاق	
زيد إياها	٢٥٥
خبر زواج زيد من زینب ابنة عمّة الرسول (ص)	٢٥٧
ه - آيات أخطأوا في تأويلها	٢٥٩
تعريف المصطلحات البحث	٢٦١
أ - أوامر الله ونواهيه	٢٦١
ب - ترك الأولى	٢٦١
ج - المعصية	٢٦١
د - الذنب	٢٦٢
تأويل الآيات بحسب معنى الألفاظ في لغة العرب	٢٦٨
أ - خبر إبراهيم (ع) في كسر الأصنام	٢٦٨
ب - خبر يوسف مع إخوته	٢٦٨
ج - خبر رسول الله بعد الفتح	٢٦٨
تأويل الآية بحسب معناها اللغوي	٢٦٩
تأويل الآيات في روايات أئمة أهل البيت (ع)	٢٧١

٢٧٧	٨ - معارك الرسل مع أممهم (معارك الأنبياء)
٢٧٨	معارك الأنبياء حول الربوبية
٢٧٩	موسى الكليم (ع) وفرعون
٢٨٥	معارك إبراهيم (ع) حول توحيد الإلهية والربوبية
٢٨٥	أ - جهاده في توحيد الألوهية
٢٨٦	ب - جهاد إبراهيم (ع) في توحيد الربوبية بمعنى تربية الأجسام
٢٨٧	ج - جهاد إبراهيم (ع) في أمر توحيد الربّ المشرع للنظام
٢٨٩	٩ - النسخ في مسيرة الرسل أصحاب الشرائع
٢٩١	١ - وحدة شرايع آدم ونوح وإبراهيم ومحمد (ص)
٢٩١	أولاً - أبو البشر آدم (ع)
٢٩٣	ثانياً - أبو الأنبياء نوح (ع)
٢٩٦	ثالثاً - خليل الله إبراهيم (ع)
٣٠٣	٢ - مصطلحا النسخ والآية ومعناها
٣٠٣	أ - النسخ في اللغة
٣٠٣	ب - آية
٣٠٤	أولاً - آية النسخ
٣٠٦	ثانياً - آية التبديل
٣٠٨	الإصحاح الثالث والثلاثون
٣١٣	أ - آية التبديل التي جاءت ضمن آيات سورة النحل المكية
٣١٤	ب - الآيات التي وردت في ضمنها آية النسخ في سورة البقرة المدنية
٣١٧	٣ - شريعة موسى كانت تخصّ بني إسرائيل
٣١٨	حقيقة النسخ في شريعة موسى (ع)
٣١٨	أولاً - تذكير بني إسرائيل بما أنعم الله عليهم
٣١٩	ثانياً - التوراة وبعض أحكامها

٣٢٠	 ثالثاً - نَعَمَ اللهُ على بني إسرائيل وطغيانهم وتمردهم
٣٣١	 ٤ - معنى النسخ في شريعة نبي واحد
٣٤١	 ١٠ - رب العالمين يجزي الإنسان بآثار عمله
٣٤٢	 ١ - كيف يُجزي الإنسان بآثار عمله في الدنيا؟
٣٤٤	 الجزاء في الدنيا والآخرة
٣٤٦	 ٢ - كيف يُجزي الإنسان بآثار عمله في الحياة الآخرة
٣٤٩	 عود على بدء
٣٥١	 ٣ - كيف يُجزي الإنسان بآثار عمله عند الممات؟
٣٥٤	 ٤ - كيف يُجزي الإنسان بآثار عمله في القبر؟
٣٥٥	 ٥ - كيف يُجزي الإنسان بآثار عمله في المحشر؟
٣٥٥	 أ - عند نفخ الصور
٣٥٧	 ب - مشاهد يوم القيامة
٣٦١	 ٦ - كيف يُجزي الإنسان بآثار عمله في الجنة والنار؟
٣٦٤	 تفسير الآيات بالروايات
٣٦٨	 ٧ - جزاء الصبر
٣٧٠	 أجر الصابرين وجزاؤهم في الروايات
٣٧٣	 ٨ - توارث جزاء العمل
٣٧٤	 أعمال يبقى أثرها بعد حياة المتوفى
٣٧٥	 ١١ - استحقاق الشفاعة جزاء لبعض الأعمال
٣٧٧	 الشفاعة في الروايات
٣٨١	 ١٢ - حبط الأعمال جزاء لبعض الأعمال
٣٨٥	 ١٣ - مشاركة الجن للإنس في جزاء الأعمال يوم القيامة
٣٨٦	 الجن

٣٨٩	١٤ - من صفات ربّ العالمين وأسمائه
٣٩٠	أولاً - ذو العرش وربّ العرش
٣٩١	ثانياً - الرَّحْمَنُ
٣٩١	ثالثاً - الرَّحِيمُ
٣٩٤	الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
٣٩٧	رابعاً: الإِسْمُ
٤٠٥	صفات الربّ وأفعاله
٤١٣	١٥ - والله الأسماء الحسنَى
٤١٤	١ - الله
٤١٥	٢ - الكرسيّ
٤١٨	العبد والعبادة
٤٢١	١٦ - مشيئة الله ربّ العالمين
٤٢٢	أولاً - المشيئة في اللغة والقرآن الكريم
٤٢٢	أ - المشيئة في اللغة
٤٢٣	ب - مشيئة الله في الاصطلاح القرآني
٤٢٤	ثانياً: مشيئة الله في الرزق
٤٢٦	ثالثاً: مشيئة الله في الهداية
٤٢٦	أ - الهداية بمعنى التعليم
٤٢٧	ب - إختيار الإنسان الهداية أو الضلالة وآثارهما
٤٢٩	ج - الهداية بمعنى توفيق الايمان والعمل مسندة إلى مشيئة الله
٤٣١	رابعاً - مشيئة الله في العذاب والرحمة
٤٣٣	١٧ - البداء أو يمحو الله ما يشاء ويثبت
٤٣٤	أولاً - البداء في اللغة
٤٣٤	ثانياً - البداء في مصطلح علماء العقائد الإسلامية

٤٣٤		ثالثاً - البدء في القرآن
٤٤٢		رابعاً - البدء في روايات مدرسة الخلفاء
٤٤٣		خامساً - البدء في روايات أئمة أهل البيت (ع)
٤٤٤		أثر الاعتقاد بالبدء
٤٤٧		١٨ - الجبر والتفويض
٤٤٨		الجبر والتفويض والإختيار
٤٥١		١٩ - القضاء والقدر
٤٥٢		١ - معاني القضاء والقدر
٤٥٥		٢ - روايات من أئمة أهل البيت (ع) في القضاء والقدر
٤٥٨		شرح الروايات
٤٦٠		٣ - أسئلة وأجوبة
٤٦٥		الملحق رقم (١): بدء الخلق وبعض صفات المخلوقين في الروايات
٤٧٣		الملحق رقم (٢): أصل الكون في القرآن الكريم
٤٧٨		طريقة الخلق
٤٨٥		فهرست الموضوعات

استدراك وتصويب

١ - وقعت في صف حروف الكتاب بعض الاخطاء المطبعية راجين تصحيحها كما أضيفت الى الكتاب بعض الايضاحات استدراكا لما فات في طبع الكتاب.

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
١٢	١٧	بعضاً	بعضاً الآخر
٦٦	١٧	الملك	المُلْك
٦٩	١٢	وموت	وموت وإرادة وعقل
٧٣	١	الحد	الجو
١٠٦	٧	نصيبيني	نصيبيني ^(١)
١٠٦	بعد الاخير	-	(تفسير الدر المنثور ٢٧٠/٦)
١٢٩	ما قبل الاخير	ما تفسره	ما تفسره
١٤٩	٦	وموت	وموت وإرادة وعقل
٨	وموت	وموت وإرادة وعقل	وموت وإرادة وعقل
١٠	وموت	وموت وإرادة	وموت وإرادة
١٢	حياة	حياة وإرادة	حياة وإرادة
١٧٧	٤	من الادراك	من الحياة والادراك
١٨٨	٤	ذمهم	ذمهم
١٩٣	٢	وتناسب	تناسب
٢١٤	الهامش ٤	في ب	في نسخة
٢١٦	الهامش ٦	في ب	في نسخة
٢١٧	٢	اثبات الوصية	اثبات الوصية ^(١)
بعد الاخير	-	-	(١) فصلنا القول في نسبة الكتاب في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فصل: عصر الفترة، باب: أبوا النبي (ص)
٢٣٥	٢	لهم	لهم
٢٨١	١٩	قدره	قدرة

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٢٨٦	٢١	الصحابة	الصابئة
٣٢٢	١٧	ومن الناس	ومن ابليس والناس
١٨		المكروه	المكروه، فن ابليس للناس كما
			قال الله تعالى: (يا بني آدم لا
			يفتتكم الشيطان)
			الإعراف/ ٢٧. ومن الناس
			للناس، كما قال سبحانه
			وتعالى: (ان الذين فتوا
			المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا
			فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب
			الحريق) البروج / ١٠.
٣٣٧	٢١	أحكام	حكم
٣٥٥	الاخير	لله	الله
٣٩٧	٢	في هذا الباب	في المصطلح القرآني
٤٠٢	٩	خَمَطٍ	خَمَطٍ
٤٠٥	٢	آياتها	آثارها
٤٠٥	١٣		يحذف السطر لتكراره
٤٢٠	٢	من	من
٤٣٢	١٤	يقضي ويقدر	يمحو ما يشاء ويثبت
٤٥٧	٧	أَمْشِئْتِي	بَمْشِئْتِي
٤٦٦	٨	ب - وذكر لك الخلق	ذكر خلق الخلق
٤٦٦	٣	فحصه محص	فخضه مخض
٤٧١	٦	محص	مخض

٢ - وردت في متن الكتاب نصوص من التوراة قد صفت بالحروف وتجدون أدناه صورة النصوص كما وردت في مصادرها الاصلية.

أ - صورة النص ص ٢١٨.

فَكَتَمَ مُوسَى الرَّبَّ فَأَيْلًا. ١١ لِيُوكِّلِ الرَّبُّ إِلَهُ
 أَرْوَاحَ جَمِيعِ الْبَشَرِ رَجُلًا عَلَى الْجَمَاعَةِ ١٢ يَخْرِجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ
 وَيَدْخُلُهُمْ لِكَيْلَا تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْتَنَمِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا. ١٣ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى
 خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ وَضَعَ يَدَكَ عَلَيْهِ ١٤ وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ الْعِازَارِ الْكَاهِنِ
 وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَغْنِيهِمْ. ١٥ وَاجْعَلْ مِنْ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَسْمَعَ لَهُ كُلُّ
 جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ١٦ فَبَقِيَ أَمَامَ الْعِازَارِ الْكَاهِنِ فَبَسَّالُ لَهُ بِقَضَاءِ الْأُورِيمِ أَمَامَ
 الرَّبِّ. حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ كُلُّ
 الْجَمَاعَةِ. ١٧ فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. أَخَذَ يَشُوعَ وَأَوْقَفَهُ قُدَّامَ الْعِازَارِ الْكَاهِنِ
 وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ ١٨ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا نَكَتَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى

ب - صورة النص ص ٢١٩
 الأصحاح الثاني

وَلَمَّا قَرِئَتْ أَيَّامُ وَفَاةِ دَاوُدَ أَوْصَى سُلَيْمَانُ ابْنَهُ فَأَيْلًا ١ أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ الْأَرْضِ
 كُلِّهَا فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلًا. ٢ احْفَظْ شُعَائِرَ الرَّبِّ إِلَهِكَ إِذْ تَسِيرُ فِي طَرَفِهِ وَتَحْفَظْ
 خَيْرَ أَيْضَهُ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى لِكَيْ تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا
 تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ.

ج - صورة النص ص ٣٠٨ في التوراة العربية.

الأصحاح الثالث والثلاثون

١ فهذه البركة التي بها بارك موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته
 ٢ * وقال جآ ارب من سينا واشرق لنا من ساعير استعلن من جبل
 ٣ فاران ومعه الوف الاطهار في يمينه سنة من نار * احب الشعوب
 جميع الاطهار بيده والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه
 ٥ * موسى امرنا بسنة : ميراثا لجماعة يعقوب

د - صورة النص ص ٣٠٨ في التوراة باللغة الفارسية.

باب سي و سيوم

١ و اينست دعاي خير كه موسى مرد خدا قبل از مردن بر بني اسرائيل خواند

٢ و گفت كه خداوند از سيناي برآمد و از صير نمرودار گشت و از كوه فاران نور افشان شد و با ده هزار مقرران ورود نمود و از دست راستش شريعتي آتسين براي ايشان رسيد

٣ بلكه تبائل را دوست داشت و همگي مقدساتش در قبضه تو هستند و مقرران پاي تو بوده تعليم ترا خواهند پذيرفت

٤ موسى مارا بشريعتي امر كرد كه ميراث جماعت بني يعقوب باشد

هـ - امتازت طبعة جامعة اكسفورد باضافة اللون الاحمر مع الاسود وسميت بـ RED LETTER EDITION و طبعت دون تاريخ و تجد أدناه صورة النص

CHAPTER 33

ص ٣٠٨ فيها.

AND this is the blessing, wherewith Moses the man of God blessed the children of Israel before his death.

2 And he said, The LORD came from Sinai, and rose up from Seir unto them; he shined forth 'from mount Paran, and 'he came with ten thousands of saints: from his right hand went 'a fiery law for them.

3 Yea, 'he loved the people; all his saints are in thy hand: and they 'sat down at thy feet; every one shall 're-ceive of thy words.

4 'Moses commanded us a law, 'even the inheritance of the congregation of Jacob.

٣ - يضاف في ص ٤١٤ السطر ٢ مايلى :-

وأخطأ من علماء اللغة العربية من زعم أن (الله) أصله (اله) الذي هو اسم جنس للالهة ودخلت عليها الالف واللام للتعريف وصار (الاله) ثم خذفت الالف وأدغم اللامان فصار (الله). وعندئذ يكون (اله) و(الله) مثل (رجل) و (الرجل) الا ولان منها اسم جنس لكل الالهة ولكل الرجال، والثانيان منها عُرِّفا بالالف واللام وبهما شُخص الرجل المقصود والاله المقصود. وعليه فان معنى (لا اله الا الله) يكون: لا اله الا اله الذي أقصده وأعنيه.

لقد أخطأ القائلون بهذا القول. فان لفظ (الله) علم مرتجل باصطلاح النحويين سمي به الذات الذي صفاته جميع الاسماء الحسنی، ولا يشاركه في التسمية غيره، كما لا يشاركه غيره في الألوهية والرُّبوبية.